جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة

# يونس عليه السلام ودعوته
## في ظل القرآن الكريم والسنة

إعداد

عبد المحسن قاسم الحاج حمو

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في فرع الكتاب والسنة
من قسم الدراسات العليا الشرعية.

باشراف

الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م



لقد قام الطالب بتصحيح الأخطاء والرد عليها وقعت

الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

الدكتور محمد ابو السعود الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

## شكر وتقدير

قال تعالى[١] (( هل جزاء الاحسان الا الاحسان ))
وروى النسائي[٢] — واللفظ له — وابو داود[٣] والامام احمد[٤] عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال[٥] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(( من آتى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ، فادعوا له حتى تعلموا
ان قد كافأتموه )) .

---

(١) سورة الرحمن الايه (٦٠)

(٢) النسائي — هو احمد بن علي بن شعيب ابو عبدالرحمن النسائي صاحب السنن القاضي الحافظ امام في الحديث اصله من نسا (بخرسان) جال في البلاد ولد عام ٢١٥ هـ وتوفي عام ٣٠٣ هـ (٨٣٠ — ٩١٥ م) . ودفن في بيت المقدس وقيل خرج حاجا فمات بمكة . البدايه والنهايه ١١/١٢٣ — ١٢٤ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٩٨ — ٧٠١ ، الاعلام ١/١٦٤ .

(٣) ابو داود — سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير الازدي السجستاني ابو داود امام اهل الحديث في زمانه اصله من سجستان رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصره له السنن جزءان وله المراسيل وكان من العلماء العاملين ولد سنة (٢٠٢) هـ وتوفي سنة ٢٧٥ هـ (٨١٧ — ٨٨٩ م) تذكرة الحفاظ ٢/٥٩١ — ٥٩٣ ، الاعلام ٣/١٨٢ .

(٤) احمد بن حنبل — احمد بن حنبل ابو عبدالله الشيباني الوائلي امام المذهب الحنبلي واحد الائمة الاربعة اصله من مرو وكان ابوه والي سرخس نشأ منكبا على طلب العلم وسافر في سبيله الى كثير من البلدان وهو احد ائمة الحديث البارزين اشتهر بالزهد والصبر على الاذى في سبيل الله ومن مؤلفاته المسند وكتاب الزهد والرد على من التناقض في القران وغير ذلك ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ وتوفي فيها عام ٢٤١ هـ (٧٨٠ — ٨٥٥ م) . البدايه والنهايه ١٠/٣٢٥ — ٣٤٢ الاعلام ١/١٩٢ — ١٩٣ تهذيب الاسماء واللغات ١/١١٠ — ١١٢

(٥) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ٥/٨٢ سنن ابي داود بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ٤/٣٢٩ حديث رقم ٥١٠٩ مسند الامام احمد بن حنبل بشرح احمد محمد شاكر ٨/١١٦ طبع دار المعارف بمصر عام ١٣٦٩ هـ .

من هذين الدليلين ارى من الجميل بمكان ان ارد الفضل لأهله جزاء وفاقا .

فاقدم خالص شكرى وعظيم تقديرى للاستاذ المشرف الدكتور محمد عبد المنعم القيعي الذي قبل برحابة صدر ان يكون مشرفا على هذه الرساله بالرغم من كثرة اعماله ولم يأل جهدا في التوجيه والارشاد طوال فترة اعداد الرساله حتى ظهرت على هذه الصوره من الرصانة والاناقه .

كما اسجل شكرى وعرفاني بالجميل والاحسان لأساتذتي بقسم الدراسات العليا الشرعيه الذين تفضلوا علي واكرموني بعلمهم وملاحظاتهم القيمة .

كما اتقدم بوافر الشكر والامتنان لسعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلاميه الدكتور عليان الحازمي الذى لم يدخر وسعا في معاونة الطلاب والسعي لما فيه خيرهم .

كما اوجه شكرى وتقديرى لسعادة مدير مركز البحث العلمي الدكتور ناصر سعد الرشيد ولكافة موظفي المكتبة المركزيه ومكتبة مركز البحث العلمي لما قدموه لي من عون ومساعدة في اتمام بحثي واشكر بعض الزملاء الذين اعانوني في ترجمة دائرة المعارف البرطانيه وكذلك قاموس الكتاب المقدس .

كما اشكر كافة موظفي جامعة الملك عبد العزيز والعاملين فيها لما اسدوه لنا من خدمات فجزاهم الله خيرا .

واخيرا ابتهل الى السميع القريب ان يوفقني واياهم جميعا لخدمة الاسلام ورفع منارة وان ينعم علينا بالعافيه والفلاح في الدارين انه نعم المولى ونعم المجيب .

الطالب
عبد المحسن قاسم الحاج حمو

## المقدمـــــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على جميع رسله ومن دعا بدعوتهم الى يوم الديـــن وبعـــد :

فلما كان العمل يستمد قيمته من موضوعه اردت ان اكتب في احد موضوعات القرآن الكريم وهو يونس عليه السلام ودعوته وسالتزم في بحثي بتحري الصواب ما استطعت الى ذلك سبيلا واتعهد بالتزامي بالطرق العلميه الصحيحه فالتفكير الذى لم يعتمد على المعرفه الدقيقة ولم يتقيد بالطرائق العلميه كثيرا ما يعرض صاحبه لان يخطئ وينا ى به عن محجة الصواب والحقد لا يعرف الحقيقه وكبرت الحقيقه ان يكون الحقد لها مصدرا .

اما اسباب اختيارى لهذا الموضوع كثيرة يمكن ايجازها فيما ياتي :

١) حبي علم التفسير لانه اشرف العلوم قاطبة لتعلقه بكتاب رب العالمين والكشف عن اسراره وفوائده ولان الشيء يشرف اما بموضوعه او بغرضه او الحاجة اليه فصناعة التفسير قد حازت الشرف من هذه الجهات الثلاث .

اما الموضـــوع : فهو بيان معاني القرآن الكريم ينبوع الحكمة ومعدن الفضيله

واما غرضـــه : فهو الاستمساك بالعروة الوثقى التي تتحقق بها السعاده الحقيقيه الدائمـــه .

واما الحاجة اليه : فلان كل كمال دنيوى او اخروى مفتقر اليـــه .

ومما يجب الاشارة اليه انني منذ نعومة اظفاري كنت احب مجالس العلم واتردد الى العلماء في مساجد الموصل التي قلما وجد حي فيها يخلو من تلك الحلقات العلميه وذلك بعد طلوع الشمس او بعد صلاة العصر .

ولكن شاء الله سبحانه وتعالى ان ادخل المدارس الاكاديميه واكمل فيها المراحل الدراسيه الثلاث الابتدائيه والمتوسطة والثانويه ( الفرع العلمي ) والح علي اقربائي واصدقائي ان اواصل دراستي الجامعيه في الفروع العلميه الا انني اعرضت عن ذلك بالرغم من توفر كافة المؤهلات لقبولي في الاقسام العلميه كالمعدل وحسن السيره والسلوك واللياقه البدنيه والتحقت بكلية الامام الاعظم ابي حنيفه رحمه الله فـــي بغداد وتخرجت منها بتفوق ولله الحمد ، وكان حب التفسير ينمو في فـــؤادى يوما بعـــد آخـــــر .

ونظرا لعدم توفر الدراسات العليا الشرعيه في العراق ،
لذا شددت الرحالي الى البلد الامين فيسر الله لي القبول في الفرع الذى
اروم التخصص فيه وهيأ الله لي اساتذة اجلاء من فطاحل هذا العصر من
مشايخ الازهر الشريف حيث فتحوا لي ولأمثالي من طلبة العلم باب التفسير
على مصراعيه واتاحوا لنا الفرصه لننهل من معين هذا القرآن بل من محيطه
ماء زلالا ونستخرج دررا كامنة وروائع فريدة وحكما نادرة واحكاما سديدة وصدق تعالى
حيث يقول : (( ما فرطنا في الكتاب من شيء ))(١) . وقال تعالى(٢)
(( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ))
وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه(٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( خيركم
من تعلم القرآن وعلمه )) .

٢) ان الرسل عليهم الصلاة والسلام هم القدوه المثلى للبشريه جمعاء وان لكل رسول
شرعة ومنهاجا يسير عليه وان لكل رسول اسلوبه وخصائصه وطريقته في الدعوه
وان رسول الله يونس عليه السلام من ضمن اولئك الرجال البرره الذين اجتباهم الله
لحمل رسالته ولما كان القرآن يتناول ثلاثة جوانب رئيسيه الاول العقيدة والثاني
التشريع والثالث القصص فاردت الحديث عن جزئية من القسم الثالث وهي قصة
رسول كريم وهو " يونس عليه السلام " لان قصته كما تبدو لي ملخص دقيق
للقصص القرآنية كلها لما فيها من عبر وعظات . يرى الدكتور محمد الراوي حفظه

---

(١) سورة الانعام الايه ( ٣٨ )
(٢) سورة النحل الايه ( ٨٩ )
(٣) اخرجه البخارى في فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه وابو داود في صلاة الوتر رقم ١٤٥٢ والترمذى رقم ٢٩٠٩ و ٢٩١٠ في ثواب القرآن باب ما جاء في تعليم القرآن
ابن ماجه — رقم الحديث ( ٢١١ ) باب فضل من تعلم القرآن وعلمه
وسنن الدارمي باب خياركم من تعلم القرآن وعلمه عن علي كرم الله وجهه

٣) ان رسالة يونس عليه السلام لم تحظ بالعنايه والدراسة الكافيه لا في القديم ولا في الحديث فيما نعلم اذ ان سيرته ودعوته متناثرة في بطون كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ والادب لذلك اردت جمعها وتنسيقها واظهارها للملأ للاستفادة منها في مجال الدعــوه •

٤) لقد اورد كثير من المفسرين وبعض ادعياء الثقافه المعاصره شبهات تتعلق بسيرة سيدنا يونس ودعوته ورسموا ما شاؤوا من طعون واتهامات يتعفف لسان المنصف العاقل عن ذكرها فضلا عن المسلم الورع واشترك بهذه المؤامره بعض المبشرين والمستشرقين ومن هذه الشبه :ـ

١. ان يونس عليه السلام غضب ربه ومغاضبة الرب من اعظم الذنوب قال تعالى[١] (( وذا النون اذ ذهب مغاضبا )) •

٢. ان الله عاقبه على تصرفه ذلك بان القاه في بطن الحوت والعقاب لا يكون الا على ذنب قال تعالى[٢] (( فالتقمه الحوت وهو مليم )) •

٣. انه اقر على نفسه واعترف بانه ظالم فقال كما قال تعالى[٣] (( لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين )) والظلم ذنب والظالم ملعون بنص القران قال تعالى[٤] (( الا لعنة الله على الظالمين ))

٤. ان الله تعالى نهى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم عن التشبه به فقال تعالى[٥] (( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت )) •

٥. ان يونس عليه السلام قد شك في قدرة الله تعالى عليه قال تعالى[٦] (( فظن ان لن نقدر عليه )) •

---

(١) الانبياء الاية ٨٧
(٢) الصافات الايه ١٤٢
(٣) الانبياء الاية ٨٧
(٤) هود الايه ١٨
(٥) القلم الايه ٤٨
(٦) الانبياء الايه ٨٧

٦ـ ما ارادة بعض الزائغين من انكار بقاء ذى روح في بطن حيوان •
وكل هذه الشبه وردت في مراجعنا الاسلاميه • واما الشبه التي وردت في غير مراجعنا الاسلاميه كدائرة المعارف البرطانيه ( بالانكليزيه ) وقاموس الكتاب المقدس للدكتور جون بوست ( بالانكليزيه ) وغيرها فنذكر ما يلي :

٥١ ـ ان قصة يونس اسطوره ترمز عن مهاجمة اسرائيل ودحرها وقهرها في ذلك العصر بواسطة الوثنيين والكفار وان افعوان بابل الاسطورى غالبا ما يشار اليه اويكنى عنه في العهد القديم •
والحرب والقتال ضد ذلك الافعوان الاسطورى ( السمكة الكبيره ) جعلها المبريون لتمثل قتال الرب اللامتناهي اى الذى لا يقف عند حد ضد الشر وضد كل اعداء شعبه المختار • (١)

٥٢ ـ ( غضب يونس اذ انه لم يرد ان تندم نينوى فتنجوا من العذاب لهذا جرى بعيدا لان النبي الذى يحذر من الكارثة هو دائما يدعو للتوبة والندم ولكن يونس لا يزال يرجو حلول الكارثة او العذاب ) (٢)
لذلك اردت ان افند هذه الشبهات وتلك التخرصات وازيل الحجاب عن هذه الاكاذيب والاباطيل لتسطع شمس الحق ويظهر النور النبوى عاليا خفاقا وليتبدد الظلام قال تعالى (٣) (( بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق )) •

---

(١) دائرة المعارف البرطانيه بالانكليزيه ــ ٧٠/١٣ ترجمت بمساعدة الدكتور عبداللطيف الخياط المدرس في كلية التربيه جامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة وقاموس الكتاب المقدس ٩٦٦/٢ ترجم عن الانكليزيه بمساعدة [illegible] سعيد الديوجي المدرس في كلية الاداره والاقتصاد جامعة الموصل •

(٢) دائرة المعارف البرطانيه ٧٠/١٣

(٣) الانبيـاء الايـة ( ١٨ ) •

٥) ومن لطائف قدرة الله وانعامه علي ان ولدت في مدينة الموصل ( محافظة نينوى ) وعلى مقربة من القريه التي ارسل اليها رسول الله يونس عليه السلام فكنت اتمنى ان ادرس جوانب حياته وما ورد عنه من السنة النبويه المطهره واستعرض ما جاء في كتب التفسير عن تفسير الايات التي تحدثت عنه وعندما اردت الكتابه عنه اشار بعض الاساتذة علي بالامساك عن الكتابه عنه بحجة ان هذا الموضوع شائك لندرة مراجعه وقلة مادته ولكنني ارتضيت الكتابة به وبتوفيق الله ومعونته وبتوجيه استاذي الجليل المشرف الدكتور محمد عبد المنعم القيمي حفظه الله ذللت الصعاب ولكن لم لا تذلل الصعاب وانا اكشف النقاب عن حياة نبي حميد ورسول مجيد الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم بحقه(١) (( ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه الى ابيه ))

وعند ذهاب(٢) الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الى الطائف يدعوهم لتوحيد الله وعبادته والتقى مع عدّاس كما سياتي في حديثي عن موطن سيدنا يونس ونشاته فعندما ذكر انه من نينوى قال له من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ٠

حقا كان صالحا وعابدا وداعيا الى الله ونبيا كريما يستحق البحث والدراسه ومن فضل الله علي ان اكرمني بشرف البحث عن قصته ودعوته في ظل القرآن الكريم ٠

---

(١) رواه البخاري في تفسير سورة الانعام باب قوله تعالى (( يونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين )) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والامام مسلم في كتاب الفضائل باب فضائل موسى عليه السلام وابو داود في سننه رقم ٤٦٦٩ في باب التخيير بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يذكر ونسبه الى ابيه ولم يذكر ايضا انا خير بل قال اني والامام احمد في مسنده كتاب المناقب ٤/ ٨١ تحقيق احمد محمد شاكر ٠

(٢) ابن هشام — السيره النبويه ٢/ ٦٢ ، وابن كثير — البدايه والنهايه ٣/ ١٣٦ وابن عبد البر — الدرر في اختصار المغازى والسير ص ٦٦ ٠

والسنة النبوية واظهارها بمظهرها اللائق بعد ان نقحتها مما علق بها من شوائب باطلة وادعاءات فاسدة • واساله تعالى ان يجعل بحثي هذا خالصا لوجهه الكريم وان يحشرني مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا •

## خطة البحث

وخطتي في هذه الرساله اني بداءتها بتلك المقدمة الانفة الذكر بعد ان حمدت الله واثنيت عليه وتشرفت بالصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقد بينت فيها اسباب اختياري لهذا الموضوع والكتابة فيه •

وتشتمل الرساله على بابين وخاتمة :

الباب الاول في يونس عليه السلام ويضم ثلاثة فصول

الفصل الاول : ترجمة لحياة رسول الله يونس ، مولده ، نشاته ، موطنه الحاله الاجتماعيه السائدة في عصره ، وفاته •

الفصل الثاني : يونس عليه السلام في ظل القرآن الكريم حيث استعرض الايات التي ذكر فيها رسول الله يونس سواء بالوصف ام بالاسم وهي في السور الاتيه ( القلم ، يونس ، الانعام ، الصافات ، الانبياء ، النساء •

الفصل الثالث : فضائل سيدنا يونس عليه السلام في ظل القرآن الكريم والسنة النبويه •

الباب الثاني في دعوة يونس عليه السلام ويضم فصلين :

الفصل الاول : دعوته وتتضمن الاسس التي قامت عليها دعوته وطريقته في الدعوة والنتائج التي تمخضت عنها دعوته وكيفية الاستفادة من دعوته في عصرنا الحاضر •

الفصل الثاني : اتناول ما ورد من الاسرائيليات فيما يتعلق بدعوة يونس عليه السلام وابين ما صح منها وما لم يصح •

الخاتمـة : استعرض فيها النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث وحين ترجمت لحياته الكريمة وشرحت رسالته العظيمة وجدته ينبوعـا من ينابيـع الحكمـة ومشكاة من مصابيـح الهدايـة الا انني — والحق يقـال — واجهت في بحثي مصاعب جمة منها قلة المصادر التاريخيه التي تتحدث عن الفترة التي عاش بها رسول الله يونس عليه السـلام في عهد الاشـوريين(١) والبابليين (٢) مما جعلني على اتصال دائم مع زملائـي واصدقائي في محافظة نينوى في العراق لتزويدي بالمراجع والمصادر والمصورات للاستفادة منها في بحثي كما ارسلت رسائل الى مدير متحف اثار نينوى للاستفادة مما كتب عن اثار تلك المدينة فيما يتعلق بالاشوريين •

والغريب ان تلك المراجع التي تحدثت عن سيدنا يونس عليه السـلام لم تذكـر الفترة او القرن الذى عاش فيـه فضلا عن سـنة ولادتـه او وفاتـه الا ما نوهت عنـه دائرة المعارف البرطانيـه ( الكوميديا ) ولكنني لم اقف مكتوفا تجاه هذه المسالـه بل جمعت ما قيل عن ولادة او وفاة الانبيـاء الذين عاصروه وكذلك الملوك حتى توصلت الى القرن الذى عاش فيـه والفترة التي ارسل فيها على وجه التقريب ومن المصاعب كذلك ما واجهته خلال كتابتي عن دعوته ومنهجه في الدعـوه والاسس التي قامت عليها دعوتـه حيث لم يتطرق العلماء القدامى لذلك واما المعاصرون فلم يذكروا الا مقتطفات

---

(١) الاشـوريون — ( نسبة الى الاله آشـور ) وهو الاله القومي للاشوريون ويرجح ان اسم الاشور من اسم هذا الاله وعندما اسس الاشوريون مملكة قويه عظم شان الههم اشور واشهر ملوكهم سنحاريب واشور بانيبال وكانت العاصمة تسمى باسم هذا الالـه •
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة — طـه باقـر ص٢٤٧
والموسوعة العربيـه — اشـراف محمد غربال — ص١٨٧

(٢) البابليـون — نسبة الى بابل مدينة في جنوب العراق تسمى مدينة الحله حاليا لقد اقام البابليون حضارة عريقـه ومن اشـهر ملوكهم نبوخذ نصر الذى بنى احدى العجائب السبع في عصره والتي تسمى بالجنائن المعلقـه •

بسيطة لا تشمل الا جزءا يسيرا لا يستحق الذكر عن دعوته .

ومن المشاكل العويصة التي جابهتها ان الذين كتبوا عن الاسرائيليات مثل الدكتور محمد ابو شهبة والدكتور محمد حسين الذهبي وغيرهما لم يتطرقا بكلمة واحدة عن ما ورد من الاسرائيليات في قصة يونس عليه السلام . مما جعلني امحص كتب التفاسير المشهوره وما جاء في الكتاب المقدس بعهدته القديم والجديد لأتوصل الى تلك الاسرائيليات وابين صحيحها من سقيمها .

وأخيرا هذا الجهد وعلى الله التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

# يونس عليه السلام ودعوته في ظل القرآن الكريم والسنة النبويه

## الباب الاول

### الفصل الاول :

#### يونس عليه الصلاة والسلام

جاء ذكر يونس عليه الصلاة والسلام باسمه في القرآن الكريم اربع مرات في السور الآتية :

١ . سورة يونس ( ٩٨ ) : ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنو كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ) .

٢ . الانعام ( ٨٦ ) : ( واسمعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ) .

٣ . الصافات ( ١٣٩ ) : ( وان يونس لمن المرسلين ) .

٤ . النساء ( ١٦٣ ) : ( واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون و سليمن وآتينا داود زبورا ) .

وذكر بوصفه في سورتين :

١ . القلم ( ٤٨ ) : ( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ) .

٢ . الانبياء (٨٧) : ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ) .

ومن هذا العرض يتبين لنا انه عليه الصلاة والسلام لم يرد ذكره سواء بالاسم او بالوصف الا في ست سور من القرآن الكريم كما تقدم

اســــــمه :

يونســـــبن[1] متى عليـــه الســـــــلام

وقد اختلف المؤرخون بالاسم ( متى ) هـل هـو اسـم ابيـه ام اسم امـه واليــك الاقــــوال

١. قال ابو الفداء[2] : ومتى ام يونس عليه السلام ولم يشتهر نبي باسم امه غير عيسى ويونس عليهما السلام وقال كذا ذكره ابن الاثير في الكامل في ترجمة يونس[3] .

٢. وقال ابن الاثير[4] : قيل لم ينسب احد من الانبياء الى امه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى وهي امه[5] .

---

(١) ويسمى عند اهل الكتاب يونان بن اماتاى وفي اللغة الانكليزية ( جونه )

(٢) ابو الفداء — اسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد صاحب حماه مؤرخ جغرافي قرأ التاريخ والادب واصول الدين ومن مصنفاتــه المختصر في اخبار البشر ويعرف بتاريخ ابي الفداء ولد سـنة ٦٧٢ هـ وتوفي سـنة ٧٣٢ هـ ، الاعــــلام ٣١٧/١ .

(٣) عماد الدين ابو الفـداء — المختصر في اخبار البشر ٣٢/١

(٤) ابن الاثيـــر — هـو علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزرى ابو الحسن المؤرخ الامام من العلماء بالنسب والادب ولد ونشـأ في جزيرة ابن عمر وسكن الموصل وتجول في البلدان وعاد الى الموصـل . من تصانيفه الكامل في التاريخ واسـد الغابـه فـي معرفـة الصحابـة خمس مجلدات وتاريخ الموصـل لم يتمه وتحفة العجائب ولـد سـنة ٥٥٥ هـ وتوفي سـنة ٦٣٠ هـ ، الاعــلام ١٥٣/٥ .

(٥) ابـن الاثيـر الجزرى الملقب بعز الديـن — الكامل في التاريـخ ٢٠٨/١ .

٠٣ وقال القرطبي (١): يونس هو ذو النون وهو ابن متى وهو ابن العجوز التي نزل عليها الياس فاستخفى عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبي يرضع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها (٢) وفي هذه الروايه نظر وستجد الرد عليها في الباب الثاني من فصل الموضوعات والاسرائيليات ٠

٠٤ وقال النيسابوري (٣) قيل متى امه ولم ينسب احد من الانبياء الى امه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام (٤).

---

(١) القرطبي — محمد بن ابي بكر الانصاري الخزرجي الاندلسي ابو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين صالح متعبد من اهل قرطبه رحل الى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمال اسيوط بمصر) وتوفي فيها ومن كتبه الجامع لاحكام القران عشرون جزء يعرف بتفسير القرطبي وقمع الحرص بالزهد والقناعه والتذكره باحوال الموتى واحوال الاخره توفي سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٣ م) ، الاعلام ٦/٢١٧ — ٢١٨ ٠

(٢) القرطبي — الجامع لاحكام القران — ١٥/١٢١ واحمد بن محمد الصاوي المالكي — ج ٣ — حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ص ٣٤٦ وذلك بصدد تفسير سورة الصافات ٠

(٣) النيسابوري — هو احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي — ابو اسحق مفسر من اهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ من كتبه عرائس المجالس وقصص الانبياء والكشف والبيان في تفسير القرآن يعرف بتفسير الثعلبي توفي سنة ٤٢٧ هـ — ١٠٣٥ م الاعلام ١/ ٢٠٥ — ٢٠٦ ٠
واضاف الفيروز ابادي انه امام عصره وله المصنفات الجليله كالامثال والهادي والسامي في الاسامي وغير ذلك — البلغه في تاريخ ائمة اللغه ، تحقيق محمد المصري ص ٣٠

(٤) احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري — قصص الانبياء المسمى بعرائس المجالس ص ٤٠٦ ٠

٥. وجاء في تفسير عبدالرزاق المخطوط (١) عن ابي العاليه عن ابن عباس عن النبي عليه السلام قال : " لا ينبغي لاحد ان يقول اين هو من يونس بن متى نسبه الى امه اصاب ذنبا اجتباه ربه " وذلك بصدد تفسير ٥ وان يونس لمن المرسلين في سورة الصافات . (٢)

قال الشيخ عبدالرحمن الميداني : لم يذكر المؤرخون ليونس عليه السلام نسبا وجل ما اثبتوه انه يونس بن متى قالوا ومتى هي امه ولم ينسب الى امه من الرسل غير عيسى ويونس عليهما السلام ويسمى عند اهل الكتاب يونان بن امتاى وذكر الاستاذ محمد فريد وجدى في موسوعته والتي تعرف بدائرة معارف القرن العشرين قول ابن الاثير ولم ينقل غيره حيث قال : يونس احد انبياء بني اسرائيل نسب الى امه حتى قال ابو الفداء ومتى ام يونس ولم يشتهر نبي بامه غير عيسى ويونس عليهما السلام كذا ذكره ابن الاثير في الكامل في ترجمة يونس المذكور .

---

(١) هو عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني من حفاظ الحديث الثقات من اهل صنعاء كان يحفظ نحو من سبعة عشر الاف حديث له ( الجامع الكبير ) في الحديث قال الذهبي : وهو خزانة علم وكتاب في تفسير القرآن ولد عام ١٢٦ هـ وتوفي عام ٢١١ هـ ( ٧٤٤ ـ ٨٢٧ م ) الاعلام ٤ / ١٢٦ .
وتاريخ خليفة بن خياط رواية بقيّ بن مخلد تحقيق سهيل زكار ص ٧٧٢

(٢) تفسير عبدالرزاق ـ مكتبة الميكروفيلم مركز البحث العلمي في مكة المكرمة مخطوطه ومصوره تحت رقم ( ٢٤٢ ) تفسير دار الكتب المصريه ( مخطوط ) .

(٣) عبدالرحمن حبنكة الميداني ـ العقيده الاسلاميه واسسها ٢ / ٢٠٨ والتاريخ العابوني ـ النبوه والانبياء ، ٣٠٢ .

(٤) الاستاذ محمد فريد وجدى ـ دائرة معارف القرن العشرين ١٠ / ١٠٥٥

وقال القاضي مجير الدين الحنبلي (١) : ومتى ابو يونس وقيل امه والذى عليه اكثر العلماء انه ابوه وقد ورد في الحديث الشريف ان رسول الله (٢) صلى الله عليه وسلم قال : " لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه الى ابيه " ولكن نسب الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه ان متى امه قال : ولم يشتهر نبي باسمه غير عيسى ويونس عليهما السلام .

وقال ابن حجر (٣) في فتح الباري قول الله " وان يونس لمن المرسلين " الصافات الاية ( ١٣٩ ) هو يونس بن متى بفتح الميم وتشديد المثناة مقصور ووقع في تفسير عبد الرزاق انه اسم امه وهو مردود بما جاء في حديث ابن عباس في هذا الباب ونسبه الى ابيه فهذا اصح ولم اقف في شيء من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل انه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس (٤)

---

(١) القاضي مجير الدين الحنبلي ـ الانس الجليل بتاريخ القدس والجليل ١/١٥٦

(٢) اخرجه الطبراني في كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/٢٠٩ مكتبة القدس لصاحبها حسام الدين المقدسي سنة ١٣٥٣ هـ واخرجه الترمذى في كتاب تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ـ باب ما جاء في كراهية الصلاة بعد العصر وبعد الفجر ١/٥٤٢ الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م واخرجه الامام احمد في مسنده في المناقب ٤/٢٧٠ تحقيق احمد محمد شاكر دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦ م . اخرجه الحاكم في مستدركة ٢/٥٨٤

(٣) ابن حجر ـ هو احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ابو الفضل شهاب الدين اصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهره ولع بالادب والشعر ثم اقبل على الحديث ورحل الى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ وعلت شهرته فقصده الناس للاخذ عنه واصبح حافظا للاسلام في عصره وله مصنفات منها الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنه اربعة مجلدات ولسان الميزان ، ستة اجزاء وديوان الشعر ، واسماء رجال الحديث ، والاصابه في تمييز اسماء الصحابه ، وتهذيب التهذيب في رجال الحديث اثنا عشر مجلدا وتعجيل المنفعة بزوائد رجال الائمة الاربعة وبلوغ المرام من ادلة الاحكام ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر وغير ذلك ، ولد عام ( ٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ ) ( ١٣٧٢ ـ ١٤٤٩ م ) ، الاعلام ١/١٧٣ ـ ١٧٤

(٤) ابن حجر العسقلاني ـ فتح الباري ـ ٦/ ٣٢٤

وذكر العلامه آلالوسي[١] كلا القولين ولم يرجح حيث قال :
وهو ابن متى بفتح الميم وتشديد التاء الفوقيه مقصور وهل هذا اسم امه او ابيه فيه خلاف فقيل اسم امه وهو المذكور في تفسير عبدالرزاق وقيل اسم ابيه وهذا كما قال ابن حجر اصح[٢].
والقول الذي اميل اليه هو ان متى اسم ابيه وليس اسم امه لاعتبارات لا تتجاوز الظن الراجح عندي ولا ترتقي الى درجة اليقين ، اذ ان الاصل النسبة الى الاب كما قال تعالى[٣] (( ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله )) والنسبة الى الام مدعاة للشكوك وهي ايضا لا يلجأ اليها الا لحكمة كاظهار فضلها في نحو عيسى بن مريم ولانه لا اب له يمكن ان ينسب اليه .
ومما يؤيد هذا القول : ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قال :
(( [٤] ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه الى ابيه )) .

---

(١) العلامة الآلوسي ـ هو محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي شهاب الدين ابو الثناء مفسر محدث اديب ، ولد في بغداد عام ١٢١٧ ( ١٨٠٢ ـ ١٨٥٤م ) انقطع للعلم ثم سافر سنة ١٢٦٢ هـ الى الموصل فالاستانه ومر بماردين وسيواس فغاب (٢١) شهرا وعاد الى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته فاستمر الى ان توفي عام ( ١٢٧٠ هـ ) من كتبه روح المعاني في التفسير تسع مجلدات كبيرة ونشوة الشمول الى السفر الى اسلامبول ونشوة المدام في العود الى دار السلام وغرائب الاغتراب ونسبة الاسرة الآلوسيه الى جزيرة آلوس في وسط نهر الفرات فر اليها جد هذه الاسره من وجه هولاكو التترى عندما دهم بغداد ، الاعلام ٨/٥٣ ـ ٥٤ .

(٢) الآلوسي ـ روح المعاني ـ ٧/٣١٣ ـ ٣١٤

(٣) سورة الاحزاب ـ الاية ( ٥ )

(٤) سبق تخريجه .

## نسبـــــه :

لم يذكر المؤرخون نسبا لسيدنا يونس عليه السلام وانما اتفقوا جميعا على اسمه فقط فقالوا يونس بن متى وقالوا انه من بني (١) اسرائيل ويتصل نسبه ببنيامين احد اولاد اسرائيل ( يعقوب ) عليه السلام وبنيامين هو اخو يوسف الشقيق عليه السلام كما سنرى الا ما ذكره ياسين بن خير (٢) الله الخطيب العمري من انه من نسل يهوذا عليه السلام بن يعقوب حيث قال : هو يونس بن متى بن سلمون بن عوده بن جابر بن عسران بن دارم بن عمرو بن قارى بن يهوذا عليه السلام بن يعقوب اسرائيل عليه السلام بن اسحق عليه السلام بن الخليل ابراهيم عليه السلام ولكن لم اعثر في مصدر آخر على اتصال نسبه والقول الاول اقرب للأخذ به لكثرة قائليه ولان معظمهم اقدم من ياسين العمري هذا من جهة ومن جهة ثانية فان من العلماء المعاصره من لم يعثروا على اتصال نسبه وستأتي اقوالهم .

١ - قال عماد الدين ابو الفداء (٣) : وقد قيل : انه من بني اسرائيل وانه من سبط بنيامين

٢ - وقال ابن خلدون (٤) : ويونس من الجرامقة (٥) من سبط بنيامين بن اسرائيل من ابنه (٦)

---

(١) بنو اسرائيل : هم اولاد يعقوب وهم ( أوبين ، شمعون ، لاوى ، يهوذا ، يساكر ، زبولون ، دان ، يوسف ، بنيامين ، نفتالي ، جاد ، اشير ) العهد القديم - الاصحاح الثاني - ص ٦٢٥

(٢) ياسين بن خير الله العمري : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ص ٩٢

(٣) ابو الفداء - المختصر في اخبار البشر ١ / ٣٢

(٤) ابن خلدون - هو عبدالرحمن بن محمد بن خلدون فيلسوف مؤرخ اصله من اشبيليه مولده ومنشأه بتونس ، توفي في القاهره ومن مصنفاته العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر في سبعة مجلدات اولها المقدمة التي تعد من اصول علم الاجتماع ومن كتبه شرح البرده ورسالة في المنطق ، الاعلام ٤/١٠٦ - ١٠٧

(٥) الجرامقة - نسبة الى جرموق بن اشوذ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل من نسل جرموق الجرامقة واهل الموصل .

(٦) ابن خلدون - تاريخ ابن خلدون - ٢ / ٦٨ .

٠٣ وقال القاضي مجير الدين الحنبلي (١) : قيل ان يونس من بني اسرائيل وانه من سبط بنيامين ٠

٠٤ وقال الشيخ الصابوني (٢) : ويونس عليه السلام من بني اسرائيل ويتصل نسبه ببنيامين احد اولاد يعقوب عليه السلام وهو اخو يوسف الشقيق ٠

٠٥ وقال الاستاذ محمد فريد وجدى (٣) : وقد قيل انه من بني اسرائيل وانه سبط بنياموس ( بنيامين ) وجاء في سفر التكوين (٤) : ابنا راحيل امرأة يعقوب يوسف وبنيامين ٠

واليك اقوال الذين لم يعثروا على اتصال نسبه عليه السلام وكل ما قالوه انه من بني اسرائيل فقط ٠

٠١ قال ابو حيان (٥) : هو يونس بن متى من بني اسرائيل روى انه نبي وهو ابن ثلاثين وعشرين سنة (٦) ٠

٠٢ قال ابن الجوزى (٧) : يونس اسم اعجمي وفيه ست لغات ضم النون وفتحها وكسرها والهمز مع اللغات الثلاث وكان يونس من ولد يعقوب وكان عابدا من عباد بني اسرائيل ٠ (٨)

---

(١) القاضي مجير الدين الحنبلي ـ الانس الجليل ـ ١/١٥٦

(٢) محمد علي الصابوني ـ النبوه والانبياء ـ ص٣٠٢ ـ ٣٠٣

(٣) محمد فريد وجدى ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ ١٠/٥٥ـ١

(٤) العهد القديم ـ سفر التكوين ـ الاصحاح السادس والاربعون ـ ص ٧٩

(٥) ابو حيان : هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الاندلسي ، ابو حيان من كبار العلماء بالعربيه والتفسير والحديث والتراجم واللغات ٠ ولد في احدى جهات غرناطه ( ٦٥٤ ) هـ ورحل الى مالقة واقام بالقاهره وتوفي فيها سنة ( ٧٤٥ هـ ) اشهر مصنفاته البحر المحيط في تفسير القران و ( مجاني العصر ) في تراجم رجال عصره وطبقات نحاة الاندلس وتحفه الاديب في غريب القرآن وغيرها ، الاعلام ٨/٢٦ ٠

(٦) ابو حيان ـ البحر المحيط ـ ٧/٣٧٤

(٧) ابو الفرج ابن الجوزى ـ هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى القرشي البغدادى علامة عصره في التاريخ والحديث كثير التصانيف مولده في بغداد ( ٥٠٨ هـ ) ووفاته فيها ( ٥٩٧ ) هـ له ثلاثمائة مصنف منها ( تلقيح فهوم اهل الآثار ) ، ( الاذكياء واخبارهم ) ، ( المدهش ) ، ( مناقب عمر بن عبد العزيز ) ، ( الناسخ والمنسوخ ) و ( تلبيس ابليس ) وغيرها الاعلام ٤/٨٩

(٨) ابو الفرج ابن الجوزى ـ التبصره ـ ص ٣٤٧

٣٠ وقال الامام الآلوسي[١] : ولم نقف في شيء من الاخبار على اتصال نسبه .

٤٤٠ وقال الامام الحافظ ابن حجر[٢] : ولم اقف في شيء من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل انه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس .

٥٠ قال الشيخ عبد الوهاب النجار[٣] : ولم يعلم من نسبه في كتب التفسير والحديث الا انه يونس بن متى ، ويقول اهل الكتاب انه يونان بن امتاى والظاهر من امره انه من اليهود .

مولـــــده :

ولد رسول الله يونس عليه السلام في قرية من قرى فلسطين وقيل في قرية المشهد كما ذكر ذلك مصطفى مراد الدباغ[٤] عند حديثه عن منطقة جت حافر بمعنى ( معصرة البئر ) قال : يرجع ان بقعة خربة في قرية المشهد الواقعة على مسيرة ثلاثة اميال للشمال من الناصره تقوم على بقعتها وذكر بان النبي يونس ولد في هذه البلدة الكنعانيه .

واما مولده عليه السلام فصمتت المصادر التاريخيه عن ذلك ويظن انه من رجال القرن الثامن قبل الميلاد ويمكن ان يستأنس ببعض المصادر التي تؤيد هذا منها .

٠١ ما جاء في دائرة المعارف البرطانيه : وحسب ما جاء في السفر الثاني يكون ذلك البطل ابنا للمدعو متى الذى ذكر في الجزء الثاني من كتاب الملوك ( ٢٥ )

---

(١) محمود الآلوسي — روح المعاني — ٢١٣/٧ — ٢١٤ .
(٢) الحافظ ابن حجر — فتح البارى — ٣٢٤/٦ .
(٣) عبد الوهاب النجار — قصص الانبياء — ص ٣٥٥ — ٣٥٦ .
(٤) مصطفى مراد الدباغ — بلادنا فلسطين — ١/ ٤٣٨ .
(٥) دائرة المعارف البرطانيه — ١٣/ ٧٠

والذى تنبأ بالاحياء الكامل لامجاد اسرائيل على يد جيروبوم الثاني (٧٨٥) ق.م.(١)

٢. وفي قاموس الكتاب المقدس(٢): ان كتاب النبي يونان هو اكثر من رواية تاريخية فلو اعتبر كرواية تاريخية يجب ان نعرف التاريخ بين حكم الملك جيروبوم الثاني وسقوط نينوى عام (٦١٢) م وكان ذلك قبل المسيح بثمانية قرون.

٣. ما ذكره بعض المفسرين(٣) من انه كان في زمن النبي شعيا(٤) (اشعيا) والملك حزقيا.

وذكر الدكتور احمد شلبي الفترة التي كان فيها اشعيا النبي حيث قال تحت عنوان(٥) - اشعيا - (القرن الثامن قبل الميلاد كان من مستشاري الملك حزقيا ملك يهوذا (٧٢٩ - ٦٩٨ ق.م) الذى حاصر سنحاريب ملك اشور اورشليم في عهده.

٤. وجاء ذكر فترة حكم حزقيا في كتاب التوراة والتاريخ بالفرنسية وترجمه للعربية الأب عطا نوئيل رئيس(٦) حزقيا (٧١٨ - ٦٩٨ ق.م) يشجعه النبي اشعيا بالمقاومة وعدم الاستسلام وذلك عندما اراد سنحاريب الهجوم على اورشليم.

---

(١) لم يرد ذكره بهذا الاسم الا في دائرة المعارف البريطانية وقاموس الكتاب المقدس.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ٢/٩٦٦

(٣) القرطبي - الجامع لاحكام القران - ١١/٣٢٠ والرازى - التفسير الكبير ٢٢/٢١٢ حيث ذكر شعيب والصحيح شعيا والآلوسي - روح المعاني ٥/٣٨٣ - ٣٨٤. على الخازن - تفسير الخازن ٤/٢٥٧ - ٢٥٨، النويري - نهاية الارب ١٤/١٧٣

(٤) شعيا - هو احد انبياء بني اسرائيل وذكر ابن كثير ان اسمه شعيا بن امصيا من رجال القرن الثامن قبل الميلاد كان من مستشاري الملك حزقيا ملك يهوذا (٧٢٩ - ٦٨٨ ق.م) الذى حاصر سنحاريب ملك آشور اورشليم في عهده، ولاشعيا نبوءة امتازت بشدة لهجتها فقد كان يحمل على من يتظاهر بالورع مع جمع الاموال والسيطرة على الاقوات وحرمات الفقراء. احمد شلبي مقارنة الاديان ١/١٦٢، وابن كثير - قصص الانبياء ٢/٣١٥

(٥) الدكتور احمد شلبي - مقارنة الاديان - ١/١٦٢

(٦) الاب عطا نوئيل رئيس - التوراة والتاريخ - ص ٥١

وحكم سنحاريب ما بين (١) ( ٧٠٥ — ٦٨١ ق ٠ م ) (٢) ٠

٥٠ وقيل ان النبي يونس بعث الى زان بن ساطرون ابن اخي سنحاريب الذى (٣) اعقبهما في الحكم ٠ وكان ذلك في نفس القرن ٠

٦٠ قال ابو الفداء (٤) — قيل ان يونس كانت بعثته بعد يوشم بن عزيا هو احد ملوك بني اسرائيل (٥) وكانت وفاة يوشم سنة خمس عشره وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام وبعث الله يونس في تلك المده الى اهل نينوى اى في حوالي ستمائة وثمانين قبل الميلاد ٠

٧٠ قال عبد الرحمن جبنكه الميداني (٦) : والذى يظهر ان رسالته ( اى يونس عليه السلام ) كانت خلال القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد سبق ان الياس واليسع عليهما السلام قد ارسلا خلال القرن التاسع قبل الميلاد والله اعلم ٠

---

(١) اشهر ملوك الآشوريين جدد ابنية نينوى وشيد فيها قصوره وغرس فيها الرياض والبساتين وجلب لها ماء عذبا من موضع قريب من منبع نهر الكومل وفتح بابل عنوة سنة ( ٦٨٩ ق ٠ م ) — مقدمة في تاريخ الحضارات ص ١٩٣ ٠

(٢) الاستاذ طه باقر — مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص ١٩٣

(٣) ابن خلدون — تاريخ ابن خلدون — ٢ / ٦٨

(٤) ابو الفداء — المختصر في اخبار البشر — ١ / ٣٢

(٥) عزياهو هو احد ملوك بني اسرائيل كان عمره لما ملك ست عشره سنة وملك اثنتين وخمسين سنة ولحقه البرص وتنغصت عليه ايامه وضعف امره في آخر وقت وتغلب عليه ولده يوشم ، فيكون وفاة عزياهو في آخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة لوفاة موسى وقيل ان في ايامه كان يونس النبي عليه السلام ، ولما توفي يوشم ملك بعده ابنه آخر ابو الفداء — المختصر في آخبار البشر — ١ / ٢٧

(٦) عبد الرحمن جبنكه الميداني — العقيدة الاسلاميه واسسها ص ٢٠٩

## نشـــــأتـه :

نشأ سيدنا يونس عليه السلام من شجرة طيبة مباركة فهو من اهل بيت النبوه كما ذكرت ذلك المصادر التاريخيه فانبته الله نباتا حسنا .

قال الكسائي (١) رحمه الله قال وهب بن منبه (٢) : كان متى رجلا صالحا من اهل بيت النبوه ولم يرزق الولد الى آخر عمره بعد ان أسن هو وزوجه فسأل الله تعالى الولد فنودى : ان الله قد استجاب دعاءك فانطلق الى حضيرة التوبة وهو الموضع الذى امر الله تعالى بني اسرائيل ان يقتلوا انفسهم فيه لما عبدوا العجل فسار الى هناك واذا بملك قد هبط من السماء فضرب قبة على باب حضيرة التوبه وذلك في ليلة عاشوراء وامرهما ان يدخلاها فدخلا وواقعها فحملت بيونس ثم انصرفا الى منزلهما فلما صار لها اربعة اشهر توفي متى وبقيت امراته ارملة ليس لها الا قصعة كانت لآل هارون ، فكانت تصيب رزقها في المساء والصباح من عند الله .

فلما وضعت يونس لم يكن لها لبن بكفيه فكانت تأتي الرعاة وتسألهم اللبن فلا يجيبونها فكانت تقول : اللهم هذا الولد هبتك فلا تهلكه جوعا " .

---

(١) هو ابو الحسن علي بن حمزة الاسدى امام في اللغه والنحو والقراءة من اهل الكوفة وتعلم بها وتنقل في البادية وسكن بغداد وهو مؤدب الرشيد وابنه الامين ، له تصانيف منها : معاني القرآن ، المصادر ، الحروف ، القراءات ، النوادر . سمي بالكسائي لانه كان يتشح بكساء او لكونه كان يبيع الاكسية في حداثته ، توفي عام (١٨٩ هـ) ، الاعلام ٥/٩٣ ـ ٩٤ البلغة في تاريخ ائمة اللغه ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٢) وهب بن منبه ـ هو ابو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني من ابناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن ، مات بصنعاء سنة (١١٤ هـ) روى عن ابن عباس وابي هريرة وغيرهما وولي القضاء لعمر بن عبد العزيز وكان شديد الاعتناء بكتب الاولين واخبار الامم وقصصهم وله مصنف في ذكر ملوك حمير ـ شذرات الذهب ١/١٥٠ .

فكانت المواشي تاتيه وتمع عليه بضرعها حتى يشبع فاذا شبع يقول الحمد لله الذى سقاني وآواني فكانوا يدهشون اليه من فصاحته على صغر سنه . فآمن به في ذلك الوقت سبعون راعيا يقولون آمنا بالذى اسقى هذا الغلام من هذه الغنم فبقى كذلك حتى فطمته امه وكان يسمى يتيم بني اسرائيل حتى اتت عليه سبع سنين فأقبل على امه فقال يا اماه لا ينبغي ان تذهب ايامي بالبطالة واريد ان تلبسيني من الصوف حتى الحق بالعباد واكون معهم فقالت يا بني انت صغير ولم يأن لك ان تسيح فلم يزل بامه حتى اجابته الى ذلك ولحق بالعباد واشتهر ذكره فيهم بكثرة العباده (١) .

لم يثبت من ذلك شيء في كتب السنة

ودرس التوراة ومما يذكر عنه انه كان حسن القراءة يستمع لقراءته (٢) الوحش كما كان لداود في زمانه حتى اثمرت شجرة ايمانه العلم والحلم والتقى . فكان الدرة اليتيمة والعقد الفريد في عصره وتولته العنايه الالهية بكرمها وحنانها ولطفها وهو في عنفوان شبابه .

وما ان بلغ ثمان وعشرين سنة او ثلاثين حتى البسه الله تاج النبوه وخلع عليه حلة الرساله فكان توراة حقيقية تمشي على الارض بقدمين وتنظر بعينين وتتكلم بشفتين .

كما قال احد الشعراء :

هي الاخلاق تنبت كالنبات
اذا سقيت بماء المكرمات

---

(١) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى - نهاية الارب في فنون الادب - ١٤/١٧١ - ١٧٢

(٢) احمد النيسابورى - قصص الانبياء - ص٤٠٧

## زواجه عليه السلام :

وعندما استكمل من العمر خمساً وعشرين سنة فرأى في منامه (١) ان الله يامره ان تمضي الى مدينة الرملة (٢) فان فيها ولياً من اوليائي وله ابنة عفيفة فتزوجها منه .

فلما اصبح عزم على المسير وصحبه جماعة من بني اسرائيل من اصحابه وسار حتى دخل مدينة الرملة وسأل عنه فقيل انه في السوق يبيع ويشترى فعجب يونس من ذلك وجاء الى السوق فرآه وهو يبيع الطيب ويكثر الضحك فقال يونس : ليس هذا من صفات الاولياء والعباد فنظر اليه زكريا ( ابن عدان ) وقام اليه وصافحه وسلم عليه باسمه واسم ابيه قال : وكيف عرفتني ؟ قال رأيتك في المنام وامرت ان ازوج ابنتي منك وتوجه به الى منزله وقدم له الطعام فاكلا وذكر له رؤياه وانها سبب مسيره الى الرملة ثم سأله عن مكسبه بالبيع والشراء فقال :

اما البيع والشراء فمباح ، والتاجر فاجر الا من اخذ الحق واعطاه واتقى الله ولمن يمدح سلعته .

فلما اقبل الليل نزع زكريا ما كان عليه من الثياب ولبس الصوف ودخل محرابه ولم يزل في صلاته ودعائه وتضرعه حتى اصبح فنزع الصوف ولبس ما كان عليه بالامس وبرز الى السوق ويونس معه فكان ذلك دأبه .

ثم زوج ابنته من يونس ووهب لهما بعض ماله واقام يونس عنده ورزق الله يونس من زوجته ولدين ومات زكريا فاحتمل يونس زوجته الى بيت المقدس يعبد الله سبحانه وتعالى في تلك البقعة التي وصفها الله تعالى بالبركة

---

(١) النويري ـ نهاية الارب ـ ١٤/١٢٧ ـ ١٧٣ ، وذكر مجير الدين الحنبلي قصة زواجه في كتاب الانس الجليل ١/١٥٦

(٢) الرملة ـ مدينة عظيمة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا نهاية الارب ١٤/١٧٢

حيث قال تعالى (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا " من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله [1]) .

ليؤدي صلاته ويكثر من العبادة المضاعفة الاجر هناك .

قال النويري[2] : واقام هناك يعبد الله تعالى ـ وشمعيا يومئذ ببيت المقدس وهو نبي في بني اسرائيل الى ان بعث الله تعالى يونس نبيا .

بعثته الى اهل نينوى :

ارسل الله يونس عليه السلام الى اهل نينوى بخلاف من قال انه من اهل نينوى[3] .

قال القاضي[4] مجير الدين الحنبلي : وبعث الله يونس الى اهل نينوى وهي قباله الموصل بينهما دجلة وكانوا يعبدون الاصنام .

قال ابن كثير[5] : بعث الله يونس عليه السلام الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل[6] .

وقال الشيخ[7] طنطاوي جوهري في تفسير قوله تعالى : وارسلناه الى مائة الف او يزيدون (١٤٧ الصافات) هم قومه اهل نينوى

---

(١) سورة الاسراء ـ الاية (١)

(٢) النويري ـ نهاية الارب ـ ١٧٣/١٤

(٣) ابن الجوزي ـ التبصره ـ ص ٣٢٧ وابن خلدون ـ تاريخ ابن خلدون ٤ / ٦٨

(٤) القاضي مجير الدين الحنبلي ـ الانس الجليل ـ ١٥٦/١ وابو الفداء اسماعيل ـ المختصر في اخبار البشر ـ ٣٢/١ وعبدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبه ـ المسالك والممالك ص ٩٤

(٥) ابن كثير ـ هو اسماعيل بن عمر بن كثير ابو الفداء حافظ مؤرخ فقيه ولد سنة ٧٠١ هـ في قرية من اعمال بصرى في الشام وانتقل مع ابيه الى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ (١٣٠٢ ـ ١٢٧٣) م ومن مؤلفاته البداية والنهاية وتفسير القرآن الكريم وجامع المسانيد والباعث الحثيث الى معرفة علوم الحديث والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل في رجال الحديث الاعلام ٣١٧/١ ـ ٣١٨ .

(٦) ابن كثير ـ قصص الانبياء ٣٨٦/١ ـ ٣٨٧

(٧) الشيخ طنطاوي جوهري ـ تفسير الجوهري ٢٢/١٨

قال ابن قتيبه (١) : وبعث الله تبارك وتعالى من بعد اليسع (٢) يونس بن متى الى اهل نينوى من بلاد الموصل (٣)

وقال الشيخ الصابوني (٤) : ارسله الله تعالى الى اهل نينوى من ارض الموصل بالعراق .

وجاءت العباره الآتية في الكتاب المقدس (٥) : وصار قول الرب الى يونان بن امتاى قائلا قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمه وناد عليها لانه قد صعد شرهم امامي .

---

(١) ابن قتيبه ـ هو عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري ابو محمد من ائمة الادب ومن المصنفين المكثرين ، ولد ببغداد عام ( ٢١٣ هـ ) وسكن الكوفة ثم ولي قضاء دينور ( مدة فنسب اليها وتوفي في بغداد عام ( ٢٧٦ هـ ) له تاويل مختلف الحديث وادب الكاتب والمعارف وعيون الاخبار والشعر والشعراء ـ الاعلام ٤/٢٨٠ .

(٢) اليسع ـ هو احد انبياء بني اسرائيل ورد ذكره في سورة الانعام الاية ( ٨٦) واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ) وورد ذكره في سورة (ص ) الايه ( ٤٨) ( واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار ) وذكر ابن كثير عن الحسن قوله : كان بعد الياس اليسع عليهما السلام فمكث ما شاء الله ان يمكث يدعوهم الى الله مستمسكا بمنهاج الياس عليه السلام وشريعته حتى قبضه الله عز وجل اليه ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الاحداث والخطايا وكثرت الملوك الجبابره وقتلوا الانبياء ويذكر بعض المؤرخين ان دعوته ظهرت في مدينة تسمى بانياس احدى مدن الشام ولا تزال حتى الان موجودة وهي قريبة من بلدة اللاذقية والله اعلم .
ابن كثير ـ قصص الانبياء ـ ٢/٢٥٢ والصابوني ـ النبوه والانبياء ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٣) ابن قتيبه ـ المعارف ـ ص ٥٢

(٤) الشيخ محمد علي الصابوني ـ النبوة والانبياء ـ ص٣٠٢

(٥) العهد القديم ـ الاصحاح الاول ـ ص١٣١٥

ومن الجدير بالذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى مدينة نينوى قرية الرجل الصالح يونس بن متى كما ذكر ذلك بعض المؤرخين في قصة عداس النصراني بعد ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فاغروا صبيانهم وعبيدهم لايذائه عليه الصلاة والسلام فرموه بالحجارة حتى سالت الدماء من قدميه الشريفتين ولجأ الى بستان ابني ربيعة عتبه وشيبه قال ابن هشام (١) : ولما رآه ابنا ربيعة عتبه وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عدّاس فقالا له : خذ قطفا ( من هذا ) العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل . فلما وضع رسول الله ( ص ) فيه يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اهل اى البلاد انت يا عداس وما دينك ؟ قال نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله يقبل راسه ويديه وقدميه .

وقال الاستاذ محمد كامل حتة (٢) : وفي المكان الذى لجا اليه محمد من ذلك البستان يقوم الان مسجد صغير في بستان الشيخ عبدالله الحسين .

ويتضح مما تقدم ان الرسول نسبه الى مدينة نينوى ولكن يحتمل ان الرسول عليه الصلاة والسلام نسبه الى تلك المدينة باعتبار انه ارسل اليها واقام بها ودعا اهلها للايمان . وتوفي بها والله اعلم

---

( ١ ) ابن هشام ـ السيره النبويه ـ ٢ / ٦٢ وابن كثير ـ البدايه والنهايه ـ ٣ / ٦٦ وابن عبدالبر الدرر في اختصار المغازى والسير ص ٦٦

( ٢ ) الشيخ محمد كامل حتة ـ في ارض المعجزات ص ٣٠٢ دار الكتاب المصرى

ومما يرجح انه من اهل فلسطين وارسل الى نينوى كثرة القائلين بهذا اولا وقوة ادلتهم ثانيا من حيث زواجه في الرملة وسفره الى بيت المقدس ووجود قبر ابيه في قرية بيت أمر (١) ثالثا بخلاف من قال انه من اهل الموصل حيث لم يذكر المؤرخون مولده فيها ولا نشاته ولا زواجه وقد ذكر ياقوت الحموي ان قومه هم اهل نينوى وذلك بصدد حديثه عن نينوى حيث قال (٢) بلد قديم كان مقابل مدينة الموصل خرب وقد بقي من آثاره شيء وبه كان قوم يونس وجرجيس (٣) عليهما السلام .

ومن هذا النص يتبين لنا ان قوم يونس هم اهل نينوى وليست مدينته الاصليه التي ولد بها ونشأ وترعرع فيها والله اعلم .

---

(١) بيت أمّر ـ قرية تقع على بعد (١١) كم للشمال من الخليل ترتفع ٩٨٧ م عن سطح البحر مساحتها (٥٥) دونما اقرب قريه لها (بيت فجار) من اعمال بيت لحم يرجح ان بلدة معاره بمعنى موضع مكشوف او موضع عار من الا... العربيه الكنعانيه كانت تقوم على بقعة بيت امر .
مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ ١٨٦/٥

(٢) ياقوت الحموي ـ المشترك وضعا والمفترق صقعا ـ ص ٤٣

(٣) جرجيس ـ كان جرجيس من الانبياء الذين كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما افضل الصلاة والسلام من اهل فلسطين بعثه الله تعالى الى ملك الموصل يدعوه الى الاسلام فقتله بالعذاب مرات واحياه الله عز وجل آية لهم وعبره ونشره قطعا ورماه الى الاسد الضاريه فخضعت الاسد برؤوسها وظل يومه كذلك فلما ادركه الليل جمع الله تعالى اوصاله ورد روحه ثم اقبل عليهم اليوم الثاني يعظهم ويغلظ عليهم فلما استمروا في عتوهم وكفرهم بعث الله تعالى عليهم نارا فاحرقتهم عن آخرهم .
والنفس من ثبوت هذه الاخبار عن انبياء بني اسرائيل تتردد ايما تردد في قبولها وانما اوردتها لصلتها بما تترجم لهم .

وقال المسعودي (١) : نينوى في وقتنا هذا وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة مدينة خراب فيها قرى ومزارع لاشلها والى اهلها ارسل يونس بن متى وآثار الصور فيها بينة واضحة وا م من حجارة مكتوبة على وجهها (٢).

وقال النويري : فاوحى الله تعالى الى شعيب (٣) بني اسرائيل ان يختار من عباد بني اسرائيل امينا قويا يبعثه الى بلاد نينوى رسولا الى من بها من الملوك وغيرهم فانهم قد جحدوا حقي وانكروا معرفتي فدخل شعيا على حزقيا الملك وامره ان ينادى في عباد بيت المقدس وبها يومئذ عشرة آلاف عابد لباسهم الشعر والصوف ونعالهم الخوص فنادى فيهم بالاجتماع فاجتمعوا فاختار منهم ثلاثة واختار من الثلاثه يونس بن متى ثم قال له حزقيا ان الله اوحى الى نبيه شعيا ان يختار من جملة العباد والزهاد اعبدهم واتقاهم وقد وقع اختياره عليك لتبعث الى اهل نينوى . وهذا الكلام ينفي علم يونس الرسالة

قال النويري (٤) : فانصرف يونس الى امه واخبرها الخبر (خبر ارساله) واستشارها فقالت ان الله انطق الملك في حقك بالرساله فسر كما امرت ولا تعصي الله ونبينا شعيا وملكنا حزقيا فعزم على المسير وودع امه .

---

(١) المسعودي — مروج الذهب — ١٦١/١
(٢) النويري — نهاية الارب — ١٧٣/١٤
(٣) الظاهر ان في كلمة شعيب تصحيف لان شعيب كان في زمن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .
(٤) النويري — نهاية الارب — ١٧٤/١٤

تمهيد عن مدينة يونس عليه السلام :

وارى قبل الحديث عن الحالة الاجتماعية ان اذكر اقوال المؤرخين والرحالة عن القريه التي ارسل اليها يونس عليه السلام وهي مدينة نينوى ورب سائل يعترض فيقول هناك فرق بين المدينة والقريه فانت قلت آنفا قرية وثنيت بقولك مدينة فاقول للاخ السائل ذلك تفريق سلكه علماء الاجتماع والا في الاصل تطلق المدينة على القريه والقريه على المدينة ، قال تعالى في سورة الكهف الآية ( ٧٧ ) فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما ٠٠٠٠٠ الخ وقال تعالى في نفس السوره الايه ( ٨٢ ) واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما

مدينة نينوى :

قال الحموى [(١)] : نينوى بكسر اوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو بوزن طيطوى وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل فيها الحسين رضي الله عنه وذكر ابن ابي طاهر ان الشعراء اجتمعوا بباب عبدالله بن طاهر فخرج اليهم رسوله وقال من يضيف الى هذا البيت على حروف قافيته بيتا هو :

لم يصح للبين منهم صرد وغراب لا ولكن طيطوى

فقال رجل من اهل الموصل

واستقلوا بكرة يقدمهم رجل يسكن حصني نينوى

وفي الموسوعة العربية [(٢)] : جاء ذكر نينوى : مدينة قديمة عاصمة الامبراطوريه الاشوريه على نهر دجلة تقابل مكان الموصل الحديثه بالعراق ، ويبدو ان نينوى انشئت في مكان كالاه التي كانت قد حلت محل آشور العاصمة القديمه •

---

( ١ ) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٥/ ٣٣٩

( ٢ ) الموسوعة العربيه : اشراف محمد غربال ـ ص ١٨٧٠

قال الدكتور احمد سوسه (١) : نينوى ثالثة عواصم المملكة الاشوريه خلفت العاصمة القديمة آشور والعاصمة الثانيه كالح المعروفه بنمرود الان تقع اطلالها على مسافة كيلو متر من الموصل على الجانب الايسر من نهر دجلة على الموضعين المعروفين بالنبي يونس وتل قوينجق (٢) والسور الذى يحيط بالمدينة اسمها سومري الاصل .

وقال الرحال ابن بطوطه (٣) عندما زار الموصل واطلع على معالمها : وهنالك تل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبه (٤) اليه يقال انه امر قومه بالتطهر فيها ثم صعدوا التل ودعا ودعوا فكشف الله عنهم العذاب . وبمقربة منه قريبة كبيره يقرب منها خراب يقال انه موضع المدينة المعروفه نينوى مدينة يونس عليه السلام واثر السور المحيط بها ظاهر ومواضع الابواب التي كانت متبينة .

---

(١) الدكتور احمد سوسه - العرب واليهود في التاريخ ص ٥٠٠ - ٥٠١

(٢) تل قوينجق - احد التلين الكبيرين في نينوى يطل على نهر الخوصر كان قد شيد عليه الملوك الاشوريون عدة قصور في ازمنة مختلفة واكتشف بقايا هذه القصور وسمي هذا التل باسم القريه التي كانت عليه وهي قرية قوينجق
جامع النبي يونس - سعيد الديوه جي
مستل من مجلة سومر : المجلد العاشر ج ٢

(٣) ابن بطوطه - رحلة ابن بطوطه ١ / ١٤٨ - ١٤٩

(٤) عين يونس - يسميها اهل الموصل ( عين الدملماجه ) وهي كما ذكر الاستاذ عباس العزاوي محرفة عن ( داملمه جه ) التركيه وتعني هذا الترشيح لان ماءها يكون في الصيف قليلا ويترشح من جوانبها اما في الربيع فيزيد ماؤها وربما ملأ قسط من الوادى الذى تقع فيه العين . وتبعد عين الدملماجة ( عين يونس ) عن شرقي تل التوبه بمسافة كيلو متر واحد تقع على يسار الذاهب من نينوى الى برطلة ولم تزل من المنابع التي يزورها اهل الموصل ويعتقدون انها عين يونس ، وان شجرة اليقطين التي اظلته كانت فوق هذه العين ، يقصدونها في فصل الربيع خاصة ويتبركون بمائها ويلقون قليلا من الملح في العين وبهذا يعقمون الماء فلا يتغير طعمه .
جامع النبي يونس - سعيد الديوه جي ص ١٠ - ١١
مستل من مجلة سومر - المجلد ١٠ ج ٢

وفي التل بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومقامر ومطاهر وسقايات
يضم الجميع باب واحد وفي وسط الرباط بيت عليه ستر حرير وله
باب مرصع يقال انه الموضع الذي به موقف يونس عليه السلام
ومحراب المسجد الذي بهذا الرباط يقال انه كان بيت متعبده عليه
السلام واهل الموصل يخرجون في كل ليلة جمعة (١) الى هذا الرباط
يتعبدون فيه واهل الموصل لهم مكارم اخلاق ولين كلام وفضيلة
ومحبة في الغريب واقبال عليه .

(١) الخروج في كل ليل جمعة الى رباط المعين للتعبد فيه لم يثبت بدليل
من كتاب او السنة .

واما الرحال ابن جبير قال : وما خص الله به هذه البلدة ان في الشرق منها (١) اذا عبرت دجلة دون نحو ميل تل التوبه (٢) وهو التل الذى وقف به يونس عليه السلام بقومه ودعا ودعوا حتى كشف الله عنهم العذاب ومقربة منه على قدر الميل ايضا العين المباركة المنسوبه اليه ويقال انه امر قومه بالتطهر فيها اضطار التوبه ثم صعدوا على التل داعيـن •

وفي هذا التل بناء عظيم هو رباط يشتمل على بيوت كثيرة ومقاصر ومطاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد وفي وسط ذلك البناء بيت ينسدل عليه ستر وينغلق دونه باب كريم مرصع كله يقال انه كان الموضع الذى وقف فيه يونس صلى الله عليه وسلم ومحراب هذا البيت يقال انه كان بيته الذى كان يتعبد فيه ويطيف بهذا البيت شمع كأنه جذوع النخل عظما فيخرج الناس الى هذا الرباط كل ليلة جمعة ويتعبدون فيه وحول هذا الرباط قرى كثيرة ويتصل بها خراب عظيم يقال انه كان مدينة نينوى وهي مدينة يونس عليه السلام واثر هذا السور المحيط بهذه المدينة ظاهر وفرج الابواب فيه بينه واكوام ابراجه مشرفة •

---

(١) ابن جبير _ رحله ابن جبير _ ص ٢١١ _ ٢١٢

(٢) تل التوبه _ هو احد التلين الكبيرين في نينوى فهو الذى تقع عليه قرية نينوى في الوقت الحاضر ويسمى تل التوبه وعلى سفحه الغربي يقع جامع النبي يونس وقد انشئت عدة قصور ومعابد في فترات مختلفة على هذا التل وكانت تشهد بعضها على انقاض ما كان قبلها • سمي تل التوبه لان قوم رسول الله يونس عليه السلام صعدوا عليه واعلنوا توبتهم وجاروا الى الله تعالى بالدعاء طالبين كشف البلاء عنهم وقد استجاب الله دعائهم عليه •
جامع النبي يونس _ سعيد الديوه جي ص ١
مستل من مجلة سومر المجلد العاشر الجزء الثاني

والذي يبدو لي ان ما ذكره ابن بطوطه وابن جبير في رحلتيهما من ان يونس عليه السلام وقومه صعدوا تل التوبه ودعا ودعوا هناك لا شيء فيه من الصحة لانه ثبت انه عليه السلام ترك قومه بعد ان لم يجد منهم آذانا صاغية لدعوته فلم يكن معهم وقت دعائهم وقبول توبتهم واظن ان ما ذكراه قد اخذاه من افواه عامة الناس في المدينة عند زيارتهما لها والله اعلم .

وقال القزويني (١) : نينوى بلاد وقرى كانت بشرقي دجلة عند الموصل في قديم الزمان بعث الله تعالى اليهم يونس النبي عليه السلام فدعاهم الى الله تعالى فكذبوه فخوفهم بعذاب الله في وقت معين وفارقهم فلما دنا ذلك الوقت وشاهدوا اثار عذاب الله خرجوا بالنساء والذراري الى تل هناك في شرقي دجلة وكشفوا رؤوسهم وتابوا وامنوا فكشف الله عنهم العذاب والتل باقي الى الان ويسمى تل التوبه وعليه مشهد مقصور يقصده الناس كل ليلة جمعة .

حكى صاحب تحفة الغرائب (٢) ، انه كان بها طاحونة جميع آلاتها من الحجر وكانت سبيلا فاذا اراد الطحان وقوف الحجر قال اسكن بحق يونس فوقف الحجر والماء يجرى على حاله ولا تدور حتى يفرغ الطحان من شغله فاذا فرغ قال اني فرغت من شغلي فتشرع في الدوران .

---

(١) الامام زكريا بن محمد بن محمود القزويني - اثار البلاد واخبار العباد ص٧ دار صادر للطباعة والنشر بيروت سنة ١٣٨٠ هـ سنة ١٩٦٠ م

(٢) والظاهر ان صاحب تحفة الغرائب هو ابن الاثير الجزرى المؤرخ المعروف الذى سكن الموصل وتوفي بها وكتب عن تاريخها وعن تاريخ الدوله الاتابكيه وله مصنف اسمه تحفه العجائب وطرفة الغرائب والله اعلم .

وفي النفس من هذا الخبر اشياء كيف تكون طاحونة وجميع آلاتها من الحجر وكيف تقف وتتحرك لأي شخص فيهم الصالح والطالح وكيف تدرك بعد انتهاء الطحان من عمله فتشرع في الدوران على ان هذا لم يرد فيه خبر عن معصوم كنبي او رسول •

وتقدر مساحة نينوى بمائة وخمسين فرسخا (١) طولا وتسعين فرسخا عرضا قال حمس (٢) بكنفهام في كتابه رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦ اما ديودورس الصقلي فانه يقدر مساحة نينوى بمائة وخمسين فرسخا اولا وتسعين فرسخا عرضا او نحو تسعة عشر ميلا من الجهة التي تمتد بامتداد النهر واحد عشر ميلا وربع عرضا ابتداء من ضفة النهر حتى سفوح الجبال •

وقال حمس (٣) بكنفهام : النبي يونس هو المعروف لدى الاوربيين باسم يونان وهو نفسه ذو النون صاحب الحوت الذى ورد ذكره في القرآن الكريم ويقع مرقده في الجانب الشرقي (٤) من الموصل وعلى تل كان يؤلف احد التلال التي تكونت منها نينوى القديمة وانتشرت الان حول المرقد بيوت عديده مأهولة واستطرد في كلامه حتى قال : تل التوبة من المواقع الاثريه في شرقي الموصل وهو واحد من التلال التي كانت تتالف منها مدينة نينوى الآشوريه وقد عرفه بهذا الاسم تل التوبة عدد من المؤرخين والبلدانيين العرب الاقدمين بعد الفتح الاسلامي للعراق •

واستطرد كذلك في كلامه حتى ذكر ص ٩٦ من كتابه رحلتي الى العراق قوله ويقوم القبر الذى يفترض فيه انه قبر النبي يونس على رأس التل وقد تجمعت حوله قرية كبيره يسكنها المسلمون وقد ظهر لي انه اشبه ببقية قبور الائمة المعروفين المنتشره في الشرق وقد تأثرت لانني لم ازره وذلك بسبب اضطراري للعودة الى الموصل في وقت اسرع •

---

(١) الفرسخ الاغريقي : استعمله اليونانيون لقياس الاطوال ويبلغ مائتين وثلاث ياردات القزويني ـ اثار البلاد ص ٤٧٧

(٢) حمس بكنفهام ـ ترجمة سليم طه التكريتي ـ رحلتي الى العراق ١ / ٨٦ ـ ٨٧ مطبعة اسعد في بغداد سنة ١٩٦٨ م

(٣) المؤرخ حمس بكنفهام : ترجمة سليم طه التكريتي ـ رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦ م

(٤) الظاهر ـ شرقي دجلة وموقع الموصل على الضفة الغربيه

## الحالـــــة الاجتماعيـــه في عصـره عليــه الســـلام :

مما قدمه المؤرخون عن مدينة نينوى يتضح لنا ان الحاله السياسيه كانت مستقره والحاله الاجتماعيه في غاية الهدوء والاطمئنان وكان الناس يتمتعون بحالة اقتصاديه جيدة وذلك بفضل خصوبة اراضيهم التي كانت سببا في كثرة مواشيهم مما ادى الى نشاط تجارتهم التي كانت سببا في غناهم وبطرهم حتى ادى ذلك الى ظلمهم لارتكابهم المحرمات واتباع الشهوات والانغماس في الملذات بعدم وجود شرعة ومنهاج ديني لتنظيم تلك الموارد وحسن التصرف بها •

ولما كان ملوكهم قد بلغوا القمة في الدهاء والشجاعة اتخذهم عامة الناس اربابا " من دون الله وسأتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل في الباب الثاني في دعوة يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام ان شاء الله تعالى •

وكان الشعب الاشوري محبا للعمران متفننا في البناء ونذكر على سبيل المثال بلاط سرجون (١) في خرصاباد ( خرسباد (٢) ) الذى عثرت عليه مديرية الاثار العراقيه قبل فترة غير بعيدة فلقد شيد في سبع سنين على قاعدة يبلغ ارتفاعها ما بين اربعة عشر وثمانية عشر مترا ومساحتها تنيف على التسعين هكتار (٣) فكان الصرح بمثابة حصن ضخم منيع (٤) يشمل على مائتين وتسع قاعات واحدى وثلاثين ساحة أوباحه يتوسطه هيكل متوج بمنارة مدرجة مكونة من سبعة طوابق زاهية الالوان متنوعة الابيض والاسود والاحمر والازرق والقرمزى والفضي والذهبي والهيكل الواحد مؤلف من ستة معابد على اسم الآلهه : اداد ، ايا ، شماش نيتورتا ، نينجال (٥) •

---

(١) سرجون — هو ابن سنحاريب احد ملوك الاشوريين اعقب اباه في الحكم ويسمى ( اسرحدون )
التوراة والتاريخ — الاب عمانوئيل رئيس ص ٦٢
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة — طه باقر ص ١٩٣

(٢) خرسباد — منطقة اثريه تابعة لمحافظة نينوى تبعد حوالي ٢٥ كم الى الشمال منها عن مركز مدينة الموصل فيها بلاط سرجون واثار اخرى

(٣) الهكتار : وحدة حسابيه تستعمل في مساحة الاراضي وخاصة الاراضي الزراعيه وهي تساوى ( ١٠٠ × ١٠٠ ) م٢ اي ان الهكتار يساوى ٤ دونم

(٤) الظاهر ( يستمل ) لان يشمل متعد بنفسه لا بحرف على

(٥) الاب عمانوئيل رئيس — التوراة والتاريخ — ص ٥٥

اما اللغة والكتابة الاشوريتان فبقيتا معمولا بهما منذ الفي سنة من قبل بابل القديمة ونقلت الينا الالواح الطينيه نصوصا دعية دينيه واتفاقيات وعقود تجاريه واخبار حربيه اشادت بالفتوحات والانتصارات (١) .

وفي عام ( ٧١٨ ) ق . م دعا حزقيا بن آحاز الى نهضة ثلاثية (٢) ، نهضة دينيه باجتثاث جذور العبادات الاشوريه والكنعانيه ونهضة سياسيه بعقد تحالف واتفاقيات غير موفقه مع مصر ثم نهضة عسكريه ، اذ ان حزقيا نظم خزينة الدولة ورمم الاسوار وحفر نفقا عميقا ليضمن الماء للبلدة اثناء الحصار ومن وراء تلك الاصلاحات نشعر بوجود اشعيا النبي والمستشار الملكي .

وبعد ذلك الاستقرار حدث الاضطراب بسبب ما تقدم وفي هذه الفترة بعث رسول الله يونس الى اهل نينوى .

قال الاستاذ عبدالفتاح طبارة (٣) : كانت نينوى من ارض الموصل عاصمة دولة اشور تلك الدولة التي بسطت سلطانها على معظم بلاد اسيا وكانت من اغنى واعظم المدن الشرقيه ، في ذلك الزمن وادت سعة الرزق بها وغناها الفاحش الى ضلالها بارتكاب الموبقات والمعاصي وبالاضافة الى هذا فقد كان اهل نينوى يعبدون الاصنام ولا يؤمنون بالله تعالى فكان هلاكهم امرا مقضيا لولا ان الله تعالى تداركهم برحمته فارسل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله والتوبة عن سيئاتهم ولكنهم اصروا على ما هم عليه ولم يستجيبوا لدعوته فاوعدهم يونس بنزول العذاب عليهم بعد مدة من الزمن .

---

(١) الاب عمانوئيل رئيس — التوراة والتاريخ ص ٥٦

(٢) الاب عمانوئيل رئيس — التوراة والتاريخ ص ٦٢

(٣) الاستاذ عفيف عبدالفتاح طباره — مع الانبياء في القرآن الكريم ص ٣٠٦

وفاتـــــــــــــــه :

قال ابـو حيان (١) : روى انـه نبـي ، وهو ابن ثمان وعشرين سـنة وذلك بصـدد تفسـير ( وان يونس لمن المرسـلين (٢) ) وقال علي بن ابي طالـب (٣) كرم الله وجهـه : بعث اللـه يونس بن متى وهو ابن ثلاثيـن سـنة فاقام فيهـم يدعوهم الى اللـه تعالى ثلاثا وثلاثين سـنة فلم يؤمن بـه الا رجلان احدهما روبيل وكان عالما حكيما والاخر تنوخا وكان عابدا زاهدا .
واذا صح هذا الخبر عن الامام علي كرم اللـه وجهـه يكون عمره وقتئذ ثلاثا وستين سـنة ومكث مع قومه بعد ذلك ما شاء الله تعالى بعد توبتهم وهو من رجال القرن الثامن قبل الميلاد واللـه اعلـم (٤) .
اما مواطن وفاتـه فتذكر المصادر التاريخيه اماكن كثيرة منها ، حلحول (٥) ، الكوفـه (٦) طرسـوس (٧)

---

(١) ابو حيان ـ البحـر المحيـط ـ ٣٧٤/٧
(٢) سـورة الصافات الايـة ١٣٩
(٣) احمد النيسـابورى ـ قصص الانبيـاء ـ ص ٤٠٨
(٤) المصادر ـ عبدالوهاب النجار ـ قصص الانبيـاء ص ٣٥٦
جامع النبي يونس ـ سـعيد الديوه جي ص ٨ ـ ٩ مستل من مجلة سـومر المجلد العاشـر الجزء الثانـي )
بلادنا فلسـطين ـ مصطفى مراد الدباغ ٤٢٥/١ ، ١٨٧/٥ ، ١٠٣/٤
منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ـ ياسـين بن خير الله العمري ص ٩٣
الاشـارات الى معرفـة الزيارات للهروى ص ٥٧ .
(٥) حلحول : قرية من قرى فلسطين بمعنى ارتجاف وهي من قرى مدينة الخليل تقع على طريق الكيلو متر (٣٠) من طريق القدس وتبعـد حوالي ٤ كم للشـمال من الخليل وفيها قبر متى والد النبي يونـس عليه السـلام .
بلادنا فلسـطين ـ مصطفى مراد الدباغ ٤٢٥/١
(٦) الكوفـة ـ البلدة العظيمة المعروفة في العراق مصرها عمر بن الخطاب واختلف في سـبب تسميتها بذلك فقيل لاستدارتها وقيل سـميت الكوفة لاجتماع الناس من قول العرب تكوف الرمل اذا ركب بعضه بعضا "
تهذيب الاسـماء واللغات ـ الجزء الثاني من القسم الثاني ص ١٢٥
(٧) طرسوس ـ مدينة معروفة في بلد الارمن مجاوره للشام من ناحية الفرات تهذيب الاسماء واللغات ـ الجزء الاول من القسم الثاني ص ١٦٢

جبل صهيون (١) ، قريـة كفركنا (٢) ، منطقة النبي يونس التي تقع على البحر في اراضي قريـة اسـدود في الجنوب من نهر صقرير ، قريـة النبي يونس تقع على البحر للشـمال من صيدا وعلى بعد (١٥) كم منها بالقرب من قريـة الحيـة .

وقـد ردّ على معظم هذه الاقـوال مصطفى مراد فقال : ان خروج يونس من بطن الحوت ونزولـه الى البـر الفلسـطيني جعل النـاس يشـيرون الى مواقـع مختلفة من السـاحل الشـامي بانها المكان الذى نزل هذا النبي فنسـبوها اليـه فقالـوا النبـي يونـس .

والذى اراه انـه عندما هجـر قومـه وجاء الى سـاحل شـاطئ نهر دجلة وركـب السـفينة مشـت قليلا وتوقفت ثم قرع عليـه الصلاة والسـلام فالقى بنفسـه وقيض اللـه لـه حوتا فابتلعـه وتاه ورجـع الى نينـوى بعد ان عافاه اللـه مما ابتلاه بـه داعيا الى اللـه ومشـرعا و هاديا ، ثـم توفاه اللـه ودفن على ما ذكره جمهرة من المؤرخيـن في مكان مواز لمكانـه الحالي (٣) وهم محمد امين بن خير الله العمـري ، احمد الخياط الموصلي ، ياسـين بن خيراللـه العمرى ، وغيرهـم كثيـر .

---

(١) جبل صهيون — جبل في ارض فلسطين وينسب اليه الان الصهاينـة

(٢) قريـة كفركنا — قرية من قرى فلسطين بجانبها تل بنيت على قمتـه صومعة جميلة بها قبر النبي يونس كما زعم ناصر خسرو وعليها باب متين بقربها بئر ماؤها عذب . سفرنامـة ص ٩٥ — ٩٦
وسفرنامـة هذا هو كتاب للشاعر الفارسـي ناصر خسرو حيث دون فيه رحلته وترجمت هذه الرحلة الى العربيـه في مصر عن اللغة الفارسـيه سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م وعلّق على ما تقدم الاسـتاذ مصطفى مراد الدباغ فقال ان هذا التل هو الذى تقوم عليه قريـة المشهد الواقعة على بعد نحو الميل في الجنوب الغربي من كفركنا ذكر بعضهم ان النبي يونس ولـد فيها .

(٣) احمد الخياط الموصلي — ترجمة الاولياء — ص ٣٩
ياسين بن خير اللـه العمرى — منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ص ٣
محمد امين بن خير اللـه العمرى — منهل الاوليـاء — ص ١٦

قال محمد امين العمرى (١) — نبي الله يونس بن متى عليه الصلاة والسلام مدفون في قرية نينوى في بيعة في بطن الجبل الذى فيه القريه معلوم مكانه قبل الاسلام وقد بنى بعض الملوك على متن البيعة مسجدا جامعا ووضع له عليه السلام قبة على قبته الاصليه ووضع له صندوقا وقبرا على موازاة ذلك القبر القديم .

ومما يؤكد الذى قاله المؤرخون سابقا ما جاء في رسالة جامع النبي يونس للاستاذ سعيد الديوه جي (٢) ! ويظهر لنا ان جلال الدين ابراهيم الختني (٣) عندما كان يقوم بتجديد المشهد فانه عثر على قبر النبي يونس فاظهره وبنى فوقه قبة ووضع عليه صندوقا ومن ذلك الوقت صار يعرف المشهد بجامع النبي يونس ، نجد هذا في حجة الوقف التي كتبها جلال الدين ابراهيم الختني بعد ان انتهى من عمارة المشهد وجعله جامعا تقام به الجمع ويسمى جامع النبي يونس واوقف له ما يكفيه .

والذى اراه انه عليه السلام في هذه البقعة المباركة لان الرسول الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم قد نسبه الى هذه المدينة كما مر سابقا في بعثته الى اهل نينوى ، ولما تقدم من اقوال المؤرخين والله اعلم .

---

(١) محمد امين بن خيرالله العمرى — منهل الاولياء ومشرب الاصفياء — ص ١٦

(٢) سعيد الديوه جي — جامع النبي يونس ص ٧ ( مستل عن مجلة سومر مجلد (١٠ ج ٢ ) .

(٣) ابراهيم الختني — هو وزير تيمورلنك له حجة الوقوف التي كتبها سنة ٧٦٧ هـ وهو اول من اظهر القبر وبنى عليه القبه ، جامع النبي يونس ص ٦ — ٧ ( مجلة سومر ١٠/٢ ) .

# الفصـــل الثانـــــي

## يونس عليه السلام في ظل القرآن الكريم :

وابدأ بعون الله وتوفيقه بالسور المكية واول سوره يتعلق بها بحثي هي سورة القلم قال تعالى (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)[١] . وقبل ان اتحدث عن تفسير هذه الايات المباركات اذكر مناسبتها لما قبلها لان القرآن العظيم كالعقد المنظوم تناسقت حباته وتألقت لآلئه ونظم في سلك من الذهب الخالص بل اعلى كما قال الدكتور محمد ابو شهبه في كتابه المدخل لدراسة القرآن الكريم[٢] : والقرآن كله مكية ومدنية معانيه متآلفة وافكاره منسجمة وآياته متآخية آخذ بعضها بحجز بعض لا تنقطع آية عن سابقتها ولاحقتها ولا يخصر معنى من آخر .

قال تعالى[٣] (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون) . يخاطب الله رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ويقول له دعني ومن يكذب بهذا القران المجيد فسآخذهم قليلا قليلا من حيث لا يشعرون بل يعتقدون ان ذلك مني فضلا وكرامة وهو في الواقع مذلة ومهانة وامهلهم وذلك من مكري بهم ان مكري شديد لايطاق لمن خالف امري واجترأ على معصيتي وكذب رسلي ثم يقول لرسوله الرحيم ام تسالهم اجرا على نصحك وارشادك بخصوص تبليغ الرسالة وهذا من باب التهكم بهم فهم من غرامة يحملها مثقلون فيعرضون عنك ام عندهم اللوح والمغيبات فهم يكتبون منها ما يحكمون به فيستغنون به عن علمك واما م هذه الحقائق يوصي الله رسوله المعصوم بالصبر فيقول له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت) .

---

(١) سورة القلم الآية (٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠)

(٢) الدكتور محمد ابو شهبة - المدخل لدراسة القرآن الكريم - ص ٢٣٤

(٣) سورة القلم الآية (٤٤)

سبب نزول هذه الايات الكريمات

لقد اورد الفخر الرازي (١) والآلوسي وابو حيان (٢) والزمخشري والبيضاوي (٣) وابو السعود (٤) في تفاسيرهم سببين لنزول هذه الايات واليك النصوص

قال الفخر الرازي (٥) : انها نزلت باحد حين حل برسول الله ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقال بهذا ايضا ابو حيان وابو السعود والزمخشري •

---

(١) الفخر الرازي : هو محمد بن عمر بن الحسن ابو عبد الله فخر الدين الرازي الامام المفسر اوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل اصله من طبرستان وهو قرشي النسب ولد في الري سنة ٥٤٤ هـ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ ومن تصانيفه مفاتيح الغيب في تفسير القرآن الكريم ولوامع البينات في شرح اسماء الله تعالى والصفات ، الاعلام ٧/٢٠٣ •

(٢) الزمخشري : هو محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ابو القاسم من ائمة العلم بالدين وفي التفسير واللغة والاداب ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ هـ وسافر الى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله ثم عاد الى الجرجانيه فتوفي فيها سنة ٥٣٨ هـ ومن اشهر كتبه الكشاف في تفسير القرآن واساس البلاغة والمفصل ، الاعلام ٨/ ٥٥ •

(٣) البيضاوي : هو عبد الله بن عمر الشيرازي قاضي ومفسر علامة له كثير من التصانيف المفيدة توفي سنة ٦٨٥ هـ ومن اشهر مصنفاته انوار التنزيل واسرار التاويل • البداية والنهاية ١٣/٣٠٩

(٤) ابو السعود : هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ابو السعود مفسر شاعر من علماء الترك المستعربين ولد بالقرب من القسطنطينيه سنة ٨٩٨ هـ وتوفي فيها سنة ٩٨٢ هـ وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ومن كتبه تحفة الطلاب في المناظره • الاعلام ٧/ ٢٨٨

(٥) الرازي ـ تفسير الرازي ٣٠/٩٩ وابو حيان ـ البحر المحيط ٨/٣١٧ والزمخشري ـ الكشاف ٤/١٤٨

وقال الآلوسي (١) : روى انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يدعو على ثقيف لما آذوه حين عرض عليه الصلاة والسلام نفسه على القبائل بمكة فنزلت وقيل اراد عليه الصلاة والسلام ان يدعو على الذين انهزموا باحد حين اشتد بالمسلمين الامر فنزلت وعليه تكون الاية مدنيه وقال بهذا البيضاوى ايضا .

واقول ان ما ذكره علماء التفسير رحمهم الله تعالى وهم الرازى والآلوسي والزمخشرى وابو حيان والبيضاوى وابو السعود فيه نظر لما يأتي :

اولاً - بالنسبة لنزول هذه الايات بسبب الذين انهزموا من المسلمين في احد عندما اراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم فلا يصح لان الامام السيوطي (٢) رحمه الله رجل طلعه باقعه لم يدع شارده ولا وارده في كتابه الاتقان في علوم القرآن فيما يتعلق بالمكي والمدني الا ذكره وذكر اقوال العلماء وكانت سورة القلم موطن اجماع في نزولها بمكة المكرمة زادها الله تشريفا ولم يخالف في ذلك احد من العلماء الا السخاوي .

---

(١) الآلوسي - روح المعاني - ١٠/٤٥ البيضاوى - تفسير البيضاوى - ١٤٦/٥

(٢) السيوطي - هو عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي جلال الدين امام حافظ مؤرخ اديب له نحو (٦٠٠) مصنف ولد سنة ٨٤٩ هـ ونشأ في القاهره وتوفي سنة ٩١١ هـ وسمي بالسيوطي نسبة الى اسيوط ومن اشهر مؤلفاته الدر المنثور في التفسير بالمأثور والاتقان في علوم القرآن والاشباه والنظائر وتدريب الراوي الاعلام ٧١/٤

واطلعت ايضا على كتاب اسباب النزول لأبي الحسن علي بن احمد (١) (٢) الواحدى النيسابورى ولم اعثر على نص واحد يفيد نزول هذه الايات بهذه الواقعة وكذلك اطلعت على كتاب اسباب النزول للامام السيوطي (٣) فلم اجد سببا لنزول هاتين الآيتين ومن هنا يتبين لنا ضعف القول الاول ٠

ثانيا ـ اما القول بنزول هذه الآيات حين اراد الرسول عليه الصلاة والسلام ان يدعو على ثقيف لم يثبت ذلك لا عند السيوطي ولا عند الواحدى ولا عند احد من المحدثين الثقات بل ثبت العكس وهو ان الرسول الكريم لم يرد الدعاء عليهم وانما انزل الله عليه جبريل ومعه ملك الجبال وابلغاه ان اراد اى شيء فهو رهن طاعته وبخاصة ملك الجبال حتى ان ملك الجبال ابلغه ان الله قد سمع قول قومه له وقال له ان اردت ان اطبق عليهم الاخشبين (٤) فعلت فأبى ذلك النبي ودعا لهم بان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله ٠

---

(١) علي الواحدى ـ اسباب نزول القرآن ـ ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ تحقيق السيد احمد صقر

(٢) هو علي بن احمد بن محمد ابو الحسن الواحدى مفسر عالم بالادب نعته الذهبي بامام علماء التاويل مولده ووفاته بنيسابور ومن مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز في التفسير واسباب النزول توفي سنة ٤٦٨ هـ ، الاعلام ٥/ ٥٩ ـ ٦٠

(٣) السيوطي ـ تفسير الجلالين وبذيله اسباب النزول ص ٧٥٢ ـ ٧٥٥

(٤) الاخشبين : هما جبلا مكة ابو قبيس والجبل الذى يقابله صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ١٥٥

قال ابن كثير (١) : وثبت في الصحيحين (٢) عن عروة بن الزبير (٣) ان عائشة حدثته انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان اشد عليك من يوم احد ؟ قال : ( ما لقيت من قومك كان اشد منه يوم العقبه اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب (٤) فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذ فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم ثم ناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا

وكان هذا الحديث تحت عنوان فصل في ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطائف يدعوهم الى دين الله .

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ٣/ ١٣٧

(٢) رواه الامام البخاري ٤/ ٨٣ في كتاب بدء الخلق في باب اذا قال احدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت احداهما الاخرى غفر له ما تقدم من ذنبه والامام مسلم ٥/ ١٨١ في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من اذى المشركين والمنافقين

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام كان فقيها عالما ثبتا كثير الحديث روى عن ابيه واخيه عبدالله وامه اسماء بنت ابي بكر الصديق وخالته عائشة وعلي بن ابي طالب وسعيد بن زيد وغيرهم .
تهذيب التهذيب ٧/ ١٨٠ ـ ١٨٤

(٤) قرن الثعالب : هو قرن المنازل وهو ميقات اهل نجد وهو على مرحلتين من مكة واصل القرن كل جبل صغير .
صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ١٥٥

وأرى ان هذه الآيات لم تنزل بسبب يمكن الاعتماد عليه ولكنها مثل كثير من الايات التي نزلت بغير سبب والذين قالوا انها نزلت في ثقيف يمكن ان يدعم رأيهم بالعقل فكل من سيدنا يونس وسيدنا محمد في معرض الدعوه فتشابه المواقف واضح الا ان القول بسبب النزول لا بد ان يستند الى نقل صحيح وصريح ولئن جاز لنا ان نتصور ان ملك الجبال لما عرض المساعدة وآثر النبي الرحمة وابى ان يدعو على قومه ساغ بعد ذلك ان يأمره الله بالصبر الا ان اسباب النزول لا يقال فيها بمثل هذا النحو من الجواز والامكان والتصور وغيره من الاحتمالات فكما هو مقرر في علوم القران ان القول باسباب النزول لا بد ان يعتمد على قول صحيح وصريح والمفسرون الذين ذكروا ان الآيات نزلت في ثقيف لم يزيدوا على قولهم « قيل وهي من صيغ التمريض والتضعيف او روى من غير بيان الراوى ولا مخرج الحديث .

قال سيد قطب (١) : وامام هذه الحقيقة يوجه الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصبر والصبر على تكاليف الرساله والصبر على التواءات النفوس والصبر على الاذى والتكذيب ، والصبر حتى يحكم الله في الوقت المقدر كما يريد ويذكره بتجربة اخ له من قبل ضاق صدره بهذه التكاليف فلولا ان تداركه نعمة الله لنبذ وهو مذموم .

قال تعالى : فاصبر لحكم ربك : قال الرازي في تفسيره (٢) : ثم انه تعالى لما لما بالغ في تزييف طريقة الكفار وفي زجرهم عما هم عليه قال لمحمد صلى الله عليه وسلم فاصبر لحكم ربك وفيه وجهان :

الاول : فاصبر لحكم ربك في امهالهم وتأخير نصرتك عليهم .

والثاني : فاصبر لحكم ربك في ان اوجب عليك التبليغ والوحي واداء الرساله وتحمل ما يحصل بسبب ذلك من الاذى والمحنة .

واخذ بالوجه الاول ابو السعود والالوسي والبيضاوي والزمخشري وابو حيان في تفاسيرهم .

وقال ابن كثير (٣) : بما يفيد هذا المعنى ذاته : اصبر على اذى قومك لك وتكذيبهم فان الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخره .

وقال فسر الحكم بالقضاء كل من الخازن والقرطبي والطبري واليك اقوالهم :

---

(١) سيد قطب — في ظلال القرآن — ٢٩ / ٦٧

(٢) الرازي — تفسير الرازي — ٣٠ / ٩٨ وابو السعود — تفسير ابي السعود — ٩ / ١٩
الالوسي — روح المعاني — ١٠ / ٤٤ البيضاوي — تفسير البيضاوي — ٥ / ٤٦
والزمخشري — الكشاف — ٤ / ١٤٨ واضاف ابو حيان : وامض لما أمرت به من التبليغ واحتمال الأذى — البحر المحيط — ٨ / ٣١٧

(٣) ابن كثير — تفسير القرآن العظيم — ٤ / ٤٠٨

قال الخازن (١) : اصبر على اذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ باية السيف (٢) ( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلواة واتوا الزكواة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ) (٣) .

وقال القرطبي (٤) : اى لقضاء ربك والحكم هنا القضاء ، وقيل فاصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة .

قال قتاده (٥) : اى لا تعجل ولا تغاضب فلابد من نصرك وقيل انه منسوخ باية السيف (٦) .

وقال الطبرى (٧) : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمه فيك وفي هؤلاء المشركين بما آتيتهم به من هذا القرآن وهذا الدين وامض لما امرك به ربك ولا يثنيك عن تبليغ ما امرت بتبليغه تكذيبهم اياك واذاهم لك (٨)

---

(١) هو علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن عالم بالتفسير والحديث من فقهاء الشافعيه ولد ببغداد سنة ٦٧٨ هـ وسكن دمشق مدة وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطيه وتوفي بحلب سنة ٧٤١ هـ له تصانيف منها لباب التأويل في معاني التنزيل في التفسير وعدة الافهام في شرح عمدة الاحكام ، الاعلام ٥/١٥٦

(٢) سورة التوبة الآية ( ٥ )

(٣) الخازن ـ تفسير الخازن ـ ٧/١١٧

(٤) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ـ ١٨/٢٥٣

(٥) هو قتاده بن دعامه السدوسي من حفاظ الحديث وكان الامام احمد يذكر علمه وفقه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ويصفه بالحفظ والفقه . تهذيب التهذيب ـ ٨/٣٥١

(٦) القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن ـ ١٨ / ٢٥٣

(٧) الطبرى ـ هو محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ابو جعفر المؤرخ المفسر الامام ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤ هـ واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠ هـ ومن تصانيفه جامع البيان في تفسير القرآن واخبار الرسل والملوك ، الاعلام ٦/٢٩٤

(٨) الطبرى ـ جامع البيان ـ ٢٩/ ٤٤

واری ان قول الطبری هو الذی یتناسب مع سیاق آیات القرآن التی وردت فی هذه السوره کما اشرت لها سابقا والله اعلم . قال تعالی ( ولا تکن کصاحب الحوت ) . اجمع المفسرون علی ان صاحب الحوت هو سیدنا یونس علیه الصلاة والسلام .

قال ابن منظور :[1] ( الحوت السمکة وفی المحکم الحوت السمك معروف وقیل ما عظم منه والجمع احوات وحیتان وقوله :

وصاحب لاخیر فی شبابه اصبح اصبح مسموم المعیش قد رمی به
علی سبندی[2] طال ما غطی به حوتا اذا ما زاده جعل به

انما اراد مثل حوت لا یکفیه ما یلتهمه ویلتقمه[3]

وقال الدمیری : ( ویکفی الحوت شرفا انه کان وعاء ومسکنا لنبی الله یونس بن متی علیه السلام وذلك ان الله تعالی اوحی الیه انی لم اجعل لك یونس رزقا وانما جعلت لك بطنك حرزا ومسجدا ثم استنقذه الله تعالی من بطنه واختلف فی مدة لبثه فی بطن الحوت فقال مقاتل بن حیان[4] : ثلاثة ایام وقال عطاء[5] سبعة ایام

---

(١) هو محمد بن مکرم بن علی بن منظور الانصاری ولد بمصر سنة ٦٣٠ هـ وتوفی فیها سنة ٧١١ هـ وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد ومن اشهر مصنفاته لسان العرب ، الاعلام ٧/٣٢٩ .

(٢) سبندی : هو النمر وقیل الاسد وقیل الجریء من کل شیء وقیل اللبوة الجریئة وقیل الناقة الجریئة الصدر وکذلك الجمل وفی لغة هذیل الطویل لسان العرب ـ ٢/ ٨٤ .

(٣) ابن منظور ـ لسان العرب ـ ١/٧٤٧

(٤) هو ابو بسطام مقاتل بن حیان البلخی من تابع التابعین کان مفسرا فاضلا اتفق العلماء علی توثیقه والثناء علیه حیث قال عنه الدارقطنی صالح الحدیث وقال ابن معین هو ثقة روی عن سالم بن عبد الله بن عمر وعکرمة مولی ابن عباس وعطاء بن رباح وعمر بن عبد العزیز وغیرهم . تهذیب الاسماء واللغات ٢/ ١١٠ ـ ١١١

(٥) هو عطاء بن اسلم بن صفوان بن ابی رباح تابعی من اجلاء الفقهاء کان عبدا اسود اللون ولد فی جندبالیمن سنة ٢٧ هـ ونشأ بمکة فکان مفتی اهلها ومحدثهم وتوفی فیها سنة ١١٤ هـ ، الاعلام ٥/ ٢٩

وقال الضحاك (١) عشرين يوما وقال السدى (٢) والكلبي (٣) ومقاتل (٤) بن سليمان بعين يوما وقال الشعبي (٥) التقمه ضحى ولفظه عشية (٦) ٠

والذى ظهر لي ان هذه المدد لا سند لها والذى يقتضيه التحقيق العلمي انه لا يعنينا ذكر المدة ، اذ لا فائدة لنا في تحديدها والا لبينها الله تعالى والعلم الحقيقي بتلك المدة عند الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والعبرة لنا ان نبين قدرة الله حيث جعل الحوت الذى كان يمكن ان يكون مقبرة للانسان جعله مأوى وحرزا لحفظ عبد من عباد الله ٠

---

(١) هو ابو القاسم الضحك بن مزاحم البلخي الخراساني مفسر كان يؤدب الاطفال ويقال كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي قال الذهبي : كان يطوف عليهم على حمار ، توفي سنة ١٠٥ هـ ، الاعلام ٣ / ٣١٠

(٢) هو اسماعيل بن عبد الرحمن السدى تابعي عالم بالتفسير ومن رواة الحديث وحفاظه ، توفي سنة ١٢٨ هـ
تهذيب التهذيب ١/٣١٣ - ٣١٤ ، الاعلام ١/٣١٣

(٣) هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي نسابة راوية عالم بالتفسير والاخبار وايام الحرب من اهل الكوفة مولده ووفاته فيها وهو من كلب بن وبرة من قضاعة ، توفي سنة ١٤٦ هـ ، الاعلام ٧/٣

(٤) هو ابو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الاسدى من اعلام المفسرين اصله من بلخ وتوفي في البصره سنة ١٥٠ هـ ومن كتبه التفسير الكبير ومتشابه القرآن ، الاعلام ٨/ ٢٠٦

(٥) هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميرى راوية من التابعين يضرب المثل بحفظه ولد سنة ١٩ هـ ونشأ في الكوفة ومات فيها سنة ١٠٣ هـ وهو من رجال الحديث الثقات كان فقيها وشاعرا الاعلام ٤/ ١٨ - ١٩

(٦) الدميرى - حياة الحيوان الكبرى - ١/ ٢٦٨
وقال ابن الجوزى وفي قدر مكثه في بطن الحوت خمسة اقوال : احدهما اربعون يوما قاله انس وكعب وابن جريج والثاني سبعة ايام قاله سعيد بن جبير والثالث ثلاثة ايام قاله مجاهد [illegible] والرابع عشرون يوما قاله الضحاك والخامس بعض يوم قاله الشعبي ما مكث الا اقل من يوم التقمه الحوت ضحى فلما كان بعد العصر وقاربت الشمس الغروب تثاءب الحوت فرأى يونس ضوء الشمس فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين التبصره ص ٢٦٨

وقال الآلوسي (١) : ولا تكن كصاحب الحوت وهو يونس عليه السلام كما انه المراد من ذى النون الا انه فرق بين ذى وصاحب بان ذى ابلغ من صاحب قال ابن حجر لاقتضائها تعظيم المضاف اليها والموصوف بها بخلافه ومن ثم قال سبحانه في معرض مدح يونس عليه السلام وذا النون النهي عن اتباعه ولا تكن كصاحب الحوت، اذ النون لكونه جعل فاتحة سورة افخم واشرف من لفظ حوت ونقل مثل هذا عن العلامة السهيلي (٢).

والاضافة هنا بمعنى في وأرى ان في الحوت للعهد الذهني

قال الامام الطبرى (٣) : ولا تكن كصاحب الحوت الذى حبس في بطنه وهو يونس بن متى صلى الله عليه وسلم فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك كما عاقبه فحبسه في بطنه . وقال الامام القرطبي (٤) : ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اى لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة وقال قتاده : ان الله تعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت .

وقد وافق السيوطي (٥) القرطبي في تفسيره لهذه الآية حيث قال ولا تكن كصاحب الحوت في الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام وعزز ما قاله في الدر المنثور (٦) في التفسير بالمأثور

---

(١) الآلوسي - روح المعاني - ١٠/ ٤٥

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد السهيلي حافظ عالم باللغة والسير ولد في مالقه سنة ٥٠٨ هـ وتوفي في مراكش سنة ٥٨١ هـ نسبته الى سهيل من قرى مالقه ومن كتبه الروض الأنف في شرح السيره النبويه لابن هشام الاعلام ٤/ ٨٦

(٣) جامع البيان عن تاويل القرآن - ٢٩/ ٤٤

(٤) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ١٨/ ٢٥٣

(٥) السيوطي - تفسير الجلالين - ص ٧٥٤

(٦) السيوطي - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - ٦/ ٢٥٨

فقال : اخرج ابن المنذر (١) عن ابن جريج (٢) في قوله ولا تكن كصاحب الحوت قال تغاضب كما غاضب يونس ، واخرج عبد الرزاق واحمد في الزهد (٣) وابن المنذر عن قتاده ولا تكن كصاحب الحوت لا تعجل كما عجل ولا تغاضب كما غاضب .

واري ان قول القرطبي يقبله العقل ويؤيده النقل والله اعلم .

قال تعالى ( ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ) .

واذ ظرفيه اى اسم زمان ماض بمعنى وقت او حين .

وهو مكظوم : جملة مكونة من مبتدا وخبر جملة حاليه المعنى والحال وهو مكظوم .

وقال البيضاوى والسيوطي (الجلي) وابو السعود وابو حيان والزمخشري والقرطبي (٤) اذ نادى وهو في بطن الحوت .

ورب سائل يسال فيقول بماذا نادى فاقول قال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وذلك لان القرآن يفسر بعضه بعضا حيث قال تعالى في سورة الانبياء ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ) .

قال الرازى (٥) وفيه اى في هذا النص مسالتان :

المسالة الاولى : للعامل في اذ معنى قوله ( كصاحب الحوت ) لا لا تكن كصاحب الحوت حال ندائه وذلك لانه في ذلك الوقت كان مكظوما فكانه قيل لا تكن مكظوما .

---

(١) هو محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري شيخ الحرم فقيه مجتهد كان غاية في معرفة الاختلاف والدليل مات بمكة سنة ٣١٨ هـ تذكرة الحفاظ ٣/٧٨٢ ـ ٧٨٣

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فقيه الحرم المكي كان امام اهل الحجاز في عصره وهو اول من صنف التصانيف في العلم بمكة ولد بمكة سنة ٨٠ هـ وتوفي فيها سنة ١٥٠ هـ ، الاعلام ٤/٣٠٥

(٣) بحثت في كتاب الزهد للامام احمد بن حنبل رحمه الله ولم اعثر على قول قتاده كتاب الزهد للامام احمد بن حنبل ص٣٤ ـ ٣٥ في باب زهد يونس عليه السلام .

(٤) البيضاوى ـ تفسير البيضاوى ـ ٥/١٤٦ السيوطي (الجلي) ـ تفسير الجلالين ـ ص٥٤ ابو السعود ـ تفسير ابي السعود ٩/١٩ ، وابو حيان ـ البحر المحيط ٨/ ٧ والزمخشرى ـ الكشاف ـ ٤/١٤٨ والقرطبي ـ الجامع لاحكام القران ـ ١٨/ ٣

(٥) الرازى ـ تفسير الرازى ـ ٣/٩٨

المسألة الثانية : صاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء اذ ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه .

واخذ بهذا الالوسي (١) فقال : اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم اى مملوء غيظا على قومه اذ لم يؤمنوا لما دعاهم الى الايمان وهو من كظم السقاء اذا ملأه ومن استعماله بهذا المعنى قول ذى الرمة :

وانت من حب مي مضمر حزنا عاني الفؤاد قريح القلب مكظوم

والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذا لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اى لا تكن حالك كحاله وقت ندائه اى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى بنحو بلائه عليه السلام .

مكظوم : رجل مكظوم وكظيم (٢) مكروب قد اخذ الغم بكظمه

وهو مكظوم : قال القرطبي (٣) : اى مملوء غما وقيل كربا الاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني قول عطاء وابي مالك .

قال الماوردى (٤) : والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل مكظوم محبوس .

وقال الطبرى (٥) : اذ نادى وهو مكظوم يقول اذ نادى وهو مغموم قد اثقله الغم وكظمه . اخرج ابن جرير عن ابن عباس قوله ( اذ نادى وهو مكظوم ) يقول مغموم

---

(١) الالوسي ـ روح المعاني ـ ١٠/٤٥

(٢) ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٣/٢٦٥

(٣) القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن ـ ١٨/٢٥٣

(٤) هو ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردى اقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين اصحاب التصانيف الكثيره ولد في البصره سنة ٣٦٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٤٥٠ هـ نسبته الى بيع ماء الورد ومن اشهر كتبه ادب الدنيا والدين والاحكام السلطانيه والحاوى في فقه الشافعيه الاعلام ٥/١٤٦

(٥) الطبرى ـ تفسير الطبرى ( جامع البيان عن تأويل القرآن ) ـ ٢٩ / ٤٤ـ٤٥ بتصرف

وعن مجاهد (١) في قوله ( مكظوم ) قال مغموم

وكان قتاده يقول في قوله ( ولا تكن كصاحب الحوت ) لا تكن مثله في العجلة والغضب .

وقال الزمخشري (٢) وابو حيان والبيضاوي وابو السعود وهو مكظوم مملو غيظا من كظم السقاء اذا ملأه .

وارى ان القول الاول ارجح لأن الله تعالى يقول (٣) ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ) فسماه الله غما .

وقد ذكره الامام السيوطي في تفسير (٤) الجلالين وعززه بالأدلة في تفسيره المعروف بالدر المنثور (٥) :

حيث قال : أخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم (٦) عن ابن عباس في قوله : وهو مكظوم قال مغموم وفي قوله مذموم مليم .

---

(١) هو ابو الحجاج مجاهد بن جبر المكي تابعي ولد سنة ٢١ هـ قال عنه الذهبي شيخ القراء والمفسرين . اخذ التفسير عن ابن عباس وتوفي سنة ١٠٤ هـ الاعلام ٦/١٦١

(٢) الزمخشري ـ الكشاف ـ ٤/١٤٨ ابو حيان ـ البحر المحيط ـ ٨/٣١٧ واضاف بقوله مملو غيظا على قومه اذ لم يؤمنوا لما دعاهم الى الايمان واحوجوه الى استعجال مفارقته اياهم واستشهد بقول ذي الرمه . البيضاوي ـ تفسير البيضاوي ـ ٥/ ١٤٦ وقال مملوء غيظا من الضجرة فيبتلى به وابو السعود ـ تفسير ابي السعود ـ ٩/١٩

(٣) سورة الأنبياء ـ الآية ٨٧ ، ٨٨

(٤) السيوطي ـ تفسير الجلالين ـ ص ٧٥٤ حيث قال وهو مكظوم : مملو غما في بطن الحوت .

(٥) السيوطي ـ الدر المنثور ـ ٦ / ٢٥٨

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي الحافظ الناقد كان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال وله كتاب الجرح والتعديل ولد سنة ٢٤٠ هـ وتوفي سنة ٣٢٧ هـ . تذكرة الحفاظ ٣/٨٢٩ ـ ٨٣٢

وأخرج عبد بن حميد[1] عن مجاهد في قوله ( وهو مكظوم ) قال مغموم ونقل ابن كثير[2] كلا القولين ولم يرجح انه نادى وهو مكظوم قال ابن عباس[4] ومجاهد والسدى وهو مغموم وقال عطاء الخراساني[3] وابو مالك مكروب .

قال تعالى ( لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء )[5]

لولا : على اربعة اوجه[6] .

احدهما : ان تدخل على جملتين اسميه وفعليه لربط امتناع الثانيه بوجود الاولى نحو لولا زيد لأكرمتك اى لولا زيد موجود .

الثاني : ان تكون للتخصيص والعرض فتختص بالمضارع او ما في تأويله نحو ( لولا تستغفرون الله )[7] ونحو ( لولا اخرتني الى اجل قريب )[8] والفرق بينهما ان للتحضيض طلب بحث وازعاج والعرض طلب بلين وتأدب

---

(١) هو ابو محمد عبد الله بن حميد الكسي من حفاظ الحديث قيل اسمه عبد الحميد نسبته الى كسى مدينة قرب سمرقند توفي سنة ٢٤٩ هـ الاعلام ـ ٤١/٤

(٢) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ ٤٠٨/٤

(٣) هو عطاء المعروف بالمقنع الخراساني مشعوذ مشهور ادعى الربوبيه زاعما انها انتقلت اليه من ابي مسلم الخراساني فتبعه قوم وقاتلوا في سبيله وكان مشوه الخلقة فاتخذ وجها من ذهب تقنع به توفي سنة ١٦٣ هـ الاعلام ٢٩/٥

(٤) اسم ابي مالك عبد الله بن سام ويكنى ثعلبه قدم من اليمن فقال نحن من كنده على دين يهود فتزوج الى سميه من بني قريضه وحالفهم فقيل القرضي . وقد روى ثعلبة عن عمر وعثمان رضي الله عنهما وكان يكنى ابا جعفر وكان قليل الحديث الطبقات الكبرى لأبن سعد ٧٩/٥ دار صادر بيروت ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م

(٥) سورة القلم الاية ٤٩

(٦) ابن هشام ـ مغني اللبيب ـ ٢١٥/١ ـ ٢١٧ بتصرف . دار احياء الكتب العربيه عيسى البابي وشركاه .

(٧) سورة النمل ـ الاية ٤٦

(٨) سورة المنافقون ـ الاية ١٠

الثالث : ان يكون للتوبيخ والتنديم فتختص بالماضي نحو ( لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء )[1] ( فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة )[2] ومنه ( ولولا اذ سمعتموه قلتم )[3] الا ان الفصل اخر قوله

تعدون عقر النيب افضل مجدكم    بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

الا ان الفعل اضمر اى لولا عددتم .

الرابع : الاستفهام نحو ( لولا اخرتني الى اجل قريب ) ( لولا انزل عليه ملك )[4] .

قاله الهروى[5] واكثرهم لا يذكره والظاهر ان الاولى للعرض وان الثانيه مثل لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء وذكر الهروى انها تكون نافيه بمنزلة لم وجعل منه ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس )[6] .

والظاهر ان المعنى على التوبيخ اى فهلا كانت قريه واحده من القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجئ العذاب فنفعها ذلك .

---

(١) سورة النور — الاية ١٣

(٢) سورة الاحقاف — الآية ٢٨

(٣) سورة النور — الآية ١٦

(٤) سورة الانعام — الآيه ٨

(٥) هو ابو الحسن علي بن محمد نحوى اديب من اواخر القرن الرابع اصله من هراة وسكن مصر له الازهيه والذخائر في النحو وتجد رايه هذا والذى يليه في الازهية ص ١٧٥ — ١٧٨ .
مغني اللبيب ص٣٦٢ تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمدالله

(٦) سورة يونس الاية ( ٩٨ )

والذى يبدو لي ان لولا في النص حرف امتناع لوجود والتقدير لولا تدارك نعمة من ربه لنبذ بالعراء ٠

قال ابو حيان (١) : قرا الجمهور تداركه ماضيا ولم تلحقه علامة التانيث لتحسين الفصل وقراء عبدالله بن مسعود وابن عباس تداركته بتاء التانيث وابن هرمز (٢) والاعمش (٣) بشد الدال تداركه قال ابو حاتم (٤) ولا يجوز ذلك والاصل في ذلك تتداركه لانه مستقبل انتصب بأن الخفيفه قبله ، وقال بعض المتأخرين هذا لا يجوز على حكاية الحال الماضيه اى لولا ان كان يقال تتداركه ومعناه لولا هذه الحاله الموجوده كانت له من نعم الله لنبذ بالعراء ٠

---

(١) ابو حيان - البحر المحيط - ٣١٧/٨

(٢) هو عبد الرحمن بن هرمز بن ابي سعيد المديني قال الزبيدى : كان من اول من وضع العربيه وكان من اعلم الناس بالنحو وانسب قريش ٠ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطي ٩١/٢ الطبعة الاولى سنة ١٣٨٤هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ٠

(٣) هو سليمان بن مهران الكوفي كان ثقة ومن النساك توفي سنة ١٤٨ هـ بعد ان كان نبراسا في العلم ٠ تهذيب التهذيب ٢٢٢/٤-٢٤٦

(٤) هو سهل بن محمد بن عثمان النحوى ابو حاتم السجستاني البصرى الم في النحو واللغه وعلوم القرآن والشعر ، ورث عن ابيه مائة الف دينار فانفقها في طلب العلم وعلى اهله وله مصنفات جليلة فاخره منها ( القراءات ) مات سنة ٢٥٥ هـ ٠ البلغة في تاريخ ائمة اللغة ص٩٣ - ٩٤

وعلق القرطبي (١) على ما قرأ به الجمهور فقال : تداركه فصل ماض مذكر حمل على معنى النعمة لان تأنيث النعمة غير حقيقي وتداركته على لفظها ونقل القرطبي ما قيل في معنى النعمة هنا فقيل النبوة قاله الضحاك وقيل عبادته التي سلفت قاله ابن جبير (٢) وقيل نداؤه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قاله ابن زيد (٣) وقيل نعمة الله عليه اخراجه من بطن الحوت قاله ابن بحر (٤) وقيل اى رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه والقول الاخير أخذ به بعض المفسرين وتؤيدهم احدى القراءات ( فلولا ان تداركه رحمة من ربه ) منهم ابو السعود (٥) والسيوطي وجلال الدين المحلي

---

(١) القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن ـ ١٨/٢٥٣

(٢) هو سعيد بن جبير الاسدى كان اعلم التابعين اخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر قتله الحجاج قال الامام احمد بن حنبل قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه ، ولد سنة ٤٥ هـ وقتل سنة ٩٥ هـ الاعلام ٣/١٤٥ .

(٣) هو احمد بن محمد بن احمد بن زيد من علماء الحنابلة ولد سنة ٧٨٩ هـ وتوفي سنة ٨٧٠ هـ ومن مصنفاته ( محاسن المساعي في مناقب ابي عمر الاوزاعي ) الاعلام ١/٢١٩ .

(٤) هو ابو الحسن علي بن بحر الحافظ الثقة وثقه ابن معين والعجلي مات بناحية الاهواز ببلد بابسير سنة ٢٣٤ هـ تذكرة الحفاظ ٢/٤٧٠ .

(٥) ابو السعود ـ تفسير ابو السعود ـ ٩/١٩ السيوطي ـ المحلي تفسير الجلالين ـ ص ٧٥٤ .

وقال الزمخشري (١) والبيضاوي والرازي والآلوسي هو انه تعالى انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقال الرازي وهذا يدل على انه لا يتم شيء من الصالحات والطاعات الا بتوفيقه وهدايته .

وقال الطبري (٢) رحمه الله : يقول جل ثناؤه لولا ان تداركه صاحب الحوت نعمة من ربه فرحمه بها وتاب عليه من مغاضبته ربه .

والذي أراه أن توبته مع ندائه هما السبب في رحمته والعفو عنه لان الله عز وجل يقول ( وقال ربكم ادعوني استجب لكم ) (٣) ولا تتحقق الاجابة الا بالتوبة والاخلاص كما قال جل ثناؤه ( واذا سألك عبادي (٤) عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ) واكد سبحانه وتعالى ان من ابواب اجابة دعوة يونس هو التسبيح (٥) حيث قال ( فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ) .

---

(١) الزمخشري ـ الكشاف ـ ١٤٨/٤ البيضاوي ـ تفسير البيضاوي ١٤٦/٥ الرازي ـ تفسير الرازي ـ ٣ / ٩٨
الآلوسي ـ روح المعاني ـ ١٠ / ٤٥

(٢) الطبري ـ جامع البيان ـ ٢٩/ ٤٥

(٣) سورة غافر ـ الاية (٦٠)

(٤) سورة البقره ـ الآية ( ١٨٦ )

(٥) سورة الصافات ـ الاية ( ١٤٣ ، ١٤٤ )

وقال تعالى : - (( لنبذ بالعراء وهو مذموم ))(1)
نبذ(2) : النبذ طرحك الشيء من يدك امامك أو وراءك ، نبذت الشيء انبذه نبذا اذا القيته من يدك ونبذته شدد للكثرة ونبذت الشيء اذا رميته وابعدته وابعدته ومنه الحديث(3) فنبذ خاتمه فنبذ الناس خواتيمهم اي القاها من يده وكل طرح نبذ نبذه ينبذه نبذا .
العراء(4) : وأما العراء ممدودا فهو ما اتسع من فضاء الارض وقال ابن سيده هو المكان الفضاء لا يستتر فيه شيء وقيل هي الارض الواسعة وفي التنزيل فنبذناه بالعراء وهو سقيم وجمعه أعراء .
قال ابو عبيده(5) : انما قيل له عراء لانه لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وقيل ان العراء وجه الارض الخالي وانشد ( قيس بن جعده ) جاء ذلك في تفسير الطبري .

ورفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي

---

(1) سورة القلم - الآية ٤٩
(2) ابن منظور - لسان العرب - ٣/ ٥٦٦
(3) رواه البخاري ٧/ ٥١ باب خواتيم الذهب في كتاب اللباس عن ابن عمر - ورواه مسلم و في كتاب اللباس باب تحريم خاتم الذهب على الرجال عن عبدالله بن عمر . والترمذي في كتاب اللباس باب ما جاء في لبس الخاتم في اليمين . وابو داود في الخاتم باب ما جاء في اتخاذ الخاتم وباب ما جاء في ترك الخاتم ، ٤٢١٨ ، ٤٢١٩ ، ٤٢٢٠ . واحمد بن حنبل ٢/ ٦٠ في مسند عبدالله بن عمر . والنسائي في كتاب الزينة باب خاتم الذهب ٨/ ١٦٥
(4) ابن منظور - لسان العرب - ٢/ ٧٦١ .
(5) هو معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي اللغوي من أئمة العلم بالادب واللغة ، ولد في البصره سنة ١١٠ هـ وتوفي فيها سنة ٢٠٩ هـ استقدمه هارون الرشيد الى بغداد سنة ١٨٨ هـ وقرأ عليه اشياء من كتبه ، قال الجاحظ لم يكن في الارض اعلم بجميع العلوم منه . الاعلام ٨/ ١٩١ - والبلغة ص ٢٦١ . ومن اشهر مصنفاته كتاب في مثالب العرب .

وقال الزجاج (١) : المراء على وجهين مقصور وممدود ·
فالمقصور الناحية والممدود المكان الخالي والمراء ما استوى من ظهر الارض وجهر ·
ذمم (٢): الذم نقيض المدح ذمّه يذمه ذمّا ومذمة فهو مذموم وذم ّ واذمّه :
وجد ذميما مذموما واذم بهم تركهم مذمومين في الناس ·
واذم به : تهاون والعرب تقول ذم يذم ذما " وهو اللوم في الاساءة والذم والمذموم واحد ، المذمة الملامة ، وقال : ومنه التذمم ويقال : اتيت موضع كذا فاذممته اى وجدته مذموما " واذم الرجل اتى بما يذم عليه وتذام القوم ذم بعضهم بعضا " ·

**فاجتباه فجعله من الصالحين**

الفاء من فاجتباه حرف عطف يفيد التعقيب مثل ثم في التعقيب لا في المهلة اجتباه (٣): اى اصطفاه واجتباه لنفسه اى اختاره واصطفاه ابن سيده (٤) واجتبى الشيء اختاره ·

---

(١) هو ابراهيم بن السرى بن سهل ابو اسحق الزجاج اخذ عن ثعلب والمبرد له معاني في القرآن وفعل وافعل وغير ذلك ، توفي سنة ٣١١ هـ
البلغة ص ٥ - ٦ ·
(٢) ابن منظور - لسان العرب - ١٠٧٧/١
(٣) ابن منظور - لسان العرب - ٤٠٠/١
(٤) هو ابو الحسن علي بن سماعيل المعروف بابن سيده امام في اللغة وآدابها ، ولد بمرسية في شرق الاندلس سنة ٣٩٨ هـ وانتقل الى دانية وتوفي فيها سنة ٤٥٨ هـ وكان ضريرا واشتغل بنظم الشعر ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها فصنف المخصص وهو من اثمن الكنوز العربية
الاعلام ٥/ ٦٩

قال ابن عباس رضي الله عنهما (١) : رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بان ارسله الى مائة الف او يزيدون ٠

وقال الآلوسي (٢) : فاجتباه عطف على مقدر اى فتداركته نعمة من ربه فاجتباه اى اصطفاه بان رد عز وجل عليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح أنه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة وانما كان رسولا لبعض المرسلين في ارض الشام فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه (٣) سبحانه من ان يفعل فعلا ويكون تركه اولى وظاهر كلام بعضهم ان الجعل من الصالحين تفسير للاجتباء قيل وفسر الصالحين بالانبياء وهو مبني على انه لم يكن قبل الواقعة نبيا واستدل بالآية على خلق الافعال لان جعله صالحا بجعل صلاحه وخلقه فيه وهو من جملة الافعال ولا قائل بالفرق والمعتزلة يؤولون ذلك تارة بالاخبار بصلاحه واخرى باللطف به حتى صلح على انه يحتمل ان يراد بالصالحين الانبياء كما قيل فلا تفيد الآية اكثر من كون النبوه مجعولة وهو مما اتفق عليه الفريقان فتدبر ٠٠

وبعد ان استعرضت تفسير هذه الآيات الكريمات اريد ان ارد على الشبهة التي تتعلق بهذه الآيات وهي ان الله تعالى نهى رسوله محمدا عن التشبه بيونس عليه السلام فقال تعالى ( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ) فاقول وبالله التوفيق نهى الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الاقتداء به في الغضب والضجر والعجلة وأمره بالصبر على ايذاء قومه ٠

---

(١) القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن ـ ١٨/٢٥٤ ابو حيان ـ البحر المحيط ـ ٨/٣١٧ الزمخشري ـ الكشاف ـ ٤/١٤٨ :
قال الزمخشري في تفسير فاجتباه ربه قال فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ثم ذكر قول ابن عباس كما مر بنا ٠

(٢) الآلوسي ـ روح المعاني ـ ١٠/٤٦

(٣) ترك الاولى لا يطعن في عصمة الانبياء

المعنى العام للآية :

يقول الله عز شأنه لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام :
اصبر يا محمد على قضاء ربك وحكمه فيك وفي هؤلاء المشركين بما آتيتهم به من هذا الذكر العظيم وهذا الدين القويم وسر على تبليغ دعوتك ولا يوهنك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم اياك واذاهم لك وان الفلاح لك ولاتباعك من المؤمنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلوت عليهم القرآن ازدادوا ايمانا مع ايمانهم قال الشاعر :

كن رابط الجأش وارفع راية الامل ... وسر الى الله في جد بلا هزل
وان شعرت بنقص فيك تعرفه ... فغذ روحك بالقرآن واكتمل
واعطف على النفس وارحمها فان ضعفت ... قوها واستعن بالله وابتهل

ويوصي الله حبيبه محمدا فيقول له ولا تكن كأخيك يونس عليه السلام الذى اذاه قومه ولم يؤمنوا بما جاءهم به فهيمن عليه الغم فولى عن قومه مدبرا فعاقبه ربه وابتلاه بالتقام الحوت له فتبتلى ببلائه فلولا ان تاب الى الله واعترف بما بدر منه واكثر من التسبيح والتهليل لطرح في ارض واسعة لا شجر فيها يتغذى منه ولا شيء يغطيها فيستتر به من حر الشمس وهي مكان خاليه مستويه ذليلا مذموما ولكن الله لطف به وانقذه من بطن الحوت حيث امر الحوت ان ترميه فرمته سقيما غير مذموم بعد ان الهمه الله التسبيح والتهليل فكان سبب تفريج كربة وغمه قال تعالى ( فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون )[1] .

ولكن الله اصطفاه واختاره لأداء الرساله ورد عليه الوحي وجعله من الصالحين

---

(١) سورة الصافات ـ الآية ١٤٣ ، ١٤٤

## العبـــــر والعظـــــات :

ويمكننا ان نأخذ من هذه الآيات بعض العبر والعظات :

١. لا يحق للداعية الى الله ان ييأس من صلاح النفوس واستجابة القلوب مهما واجه من انكار وتكذيب واعتداء اثيم .

٢. لا بد للداعية من الاعادة والتكرار في النصح والارشاد لمن كلف بتوجيههم وانارة الطريق امامهم لانه في مقام تعليم ، والتعليم يقتضي التكرار .

٣. لا بد ان يستعين الداعيه في دعوته بأدلة يقتنع بها من يوجه الدعوة لهم وعليه ان يتمثل القدوة الصالحة ويتجنب العثرات التي دفع فيها بعض من سبقه .

٤. ان الداعيه اداة في يد القدرة والله ادعى لدعوته واحفظ فما على الداعية الا ان يؤدى واجبه ويشق طريقه بكل جهد ومهارة ومهما كانت الظروف والبقية على الله قال تعالى (١) ( وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ) .

٥. لابد من شروط يجب توافرها في الداعيه منها قوة الايمان والغيرة على الدين والقدرة على تأليف القلوب وكونه محبوبا موثوقا به ممن يدعوهم واسع الصدر قوى الملاحظة دامغ الحجة . وكل هذه الشروط يمكن انتزاعها من النص الكريم .

يرد الراد حد خرل

---

(١) سورة التوبه ـ الآية ( ١٠٥ )

سـورة يونـس :

المناسبة بين الآيـة التي وردت في سورة يونس عليه السلام وما ورد من آيات تتعلق برسول الله يونس في سورة القلم .

---

وارى ان المناسبة بين النصين في سورة القلم وسورة يونس انه قال : في سورة القلم فأجتباه ربه فجاء النص الثاني يوضح في اى شيء اجتباه فبين النص الثاني انه اجتباه للدعوه الى الايمان بالله ثم بين موقف قومه من هذه الدعوه فقال تعالى(١) ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ) .

قال تعالى(٢) ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ) .

اقسم جوانب هذه الآية الكريمة الى اربعة اقسام وهي :

١ ـ الجانب اللغوى ٢ ـ قصة يونس ٣ ـ اعتراض وجواب

٤ ـ العبر والعظات ، وابدأ بالجانب اللغوى(٣) اولا

١ . كلمة ( لولا ) ذكر الهروى انها تكون نافية بمنزلة لم وجعل منها ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس ) .

---

(١) سورة يونس ـ الآية (٩٨)

(٢) سورة يونس الاية ( ٩٨

(٣) ابن هشام ـ مغني اللبيب ـ ١/٢١٦ ـ ٢١٧

قال ابن هشام (١) : والظاهر ان المعنى على التوبيخ اى فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك وهو تفسير الاخفش (٢) والكسائي والفراء (٣) وعلي بن عيسى (٤) والنحاس (٥) ويؤيده قراءة ابي ( بن كعب ) وعبدالله ( ابن مسعود ) فهلا كانت ويلزم من هذا المعنى النفي لأن التوبيخ يقتضي عدم الوقوع وقد يتوهم ان الزمخشري قائل بأنها للنفي لقوله والاستثناء بمعنى لكن ويجوز كونه متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت ولعله انما اراد ما ذكرنا ولهذا قال والجملة في معنى النفي ولم يقل ولولا للنفي .

---

(١) هو عبدالله بن يوسف بن احمد بن هشام من ائمة العربيه ، ولد بمصر سنة ٧٠٨ هـ وتوفي فيها سنة ٧٦١ هـ قال ابن خلدون : ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع انه ظهر بمصر عالم بالعربيه يقال له ابو هشام انحى من سيبويه . ومن مصنفاته مغني اللبيب عن كتب الاعاريب الاعلام ٢٩١/٤ .

(٢) هو سعيد بن مسعدة البلخي البصرى ابو الحسن عالم باللغة والأدب من اهل بلخ صنف كتبا منها تفسير معاني القرآن وشرح ابيات المعاني توفي سنة ٢١٥ هـ الاعلام ١٥٤/٣ ـ ١٥٥

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبدالله المعروف بالفراء الامام المشهور اخذ عنه الكسائي وهو من جلة اصحابه وكان ابرع الكوفيين له مصنفات كثيرة مشهورة في النحو واللغة ومن اشهرها المقصور والممدود والمعاني ويسمى معاني القرآن ، ولد سنة ١٤٤ هـ في الكوفة وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧ هـ الاعلام ١٧٨/٩ ، البلغة ص ٢٨٠ ـ ٢٨١

(٤) هو علي بن عيسى بن علي الرماني باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة اصله من سامراء ولد في بغداد سنة ٢٩٦ هـ وتوفي فيها سنة ٣٨٤ هـ له نحو مائة مصنف منها شرح اصول ابن السراج وشرح سيبويه الاعلام ١٣٤/٥

(٥) هو ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل كان واسع العلم كثير الرواية حسن التحرير له مؤلفات بديعة منها معاني القران والكافي في النحو ، مات بمصر سنة ٣٣٧ هـ ، البلغة ص ٣٢

قال الزمخشري والخازن[1] فلولا كانت فهلا كانت

وقال الآلوسي[2] : فلولا كانت كلام مستأنف لتقرير هلاكهم ولولا هنا تحضيضيه

فيها معنى التوبيخ كهلا ومثلها ما في قول الفرزدق[3] :

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم　　بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

ويشهد لذلك قراءة أبي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما فهلا

والتوبيخ على ما نقل عن السفاقسي[4] على ترك الايمان المذكور بعد

وقد وافق الآلوسي أبا حيان وعلق أبو حيان على التحضيض والتوبيخ

فقال ( والتحضيض أن يريد الانسان فعل الشيء الذى يحض عليه

واذا كانت للتوبيخ فلا يريد المتكلم الحض على ذلك الشيء كما قال الشاعر :

تعدّون عقر النيب أفضل مجدكم　　بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

---

(١) الزمخشري - الكشاف - ٢٥٣/٢ الخازن - تفسير الخازن ١٧٣/٧

(٢) الآلوسي - روح المعاني - ٤٩٦/٣

(٣) نسبه محقق مغني اللبيب الدكتور مازن مبارك الى جرير ( ٣٣٨ ) من الديوان ونسبه ابن عقيل لجرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق في شواهده رقم ( ٣٥١ ) ٣٩٦/٢ مغني اللبيب

(٤) هو ابو اسحاق ابراهيم بن محمد السفاقسي فقيه مالكي من اشهر مصنفاته ( المجيد في اعراب القرآن المجيد ويسمى اعراب القرآن ) ولد سنة ( ٦٩٧ هـ وتوفي سنة ٧٤٢ هـ　　الاعلام ٦١/١

لم يقصد حضهم على عقر الكمي المقنع وهنا وحضهم على ترك الايمان النافع والمعنى فهلا آمن اهل قرية وهم على مهل لم يلتبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم في هذه الحال وقوم منصوب على الاستثناء المنقطع وهو قول سيبويه(١) والكسائي والفراء والاخفش اذ ليسوا منه رجين تحت لفظ قرية .

وقال الزمخشري(٢) : الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا

ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل : ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ على البدل هكذا روى عن الجرمي(٣) والكسائي .

قال ابن عطيه(٤) هو بحسب اللفظ استثناء منقطع وكذلك رسمه النحويون وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما آمن اهل قرية الا قوم يونس والنصب هو الوجه ولذلك ادخله سيبويه في باب ما لا يكون فيه إلا النصب وذلك مع انقطاع الاستثناء .

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر وسيبويه بالفارسيه رائحة التفاح أخذ النحو عن الخليل ولازمه واللغه عن ابي الخطاب الاخفش ، توفي سنة ( ١٨٠ ) هـ بشيراز في ايام الرشيد
البلغة ص ١٧٣ ـ ١٧٦

(٢) الزمخشري ـ الكشاف ـ ٢/ ٢٥٤

(٣) هو صالح بن اسحاق فقيه عالم بالنحو واللغة من اهل البصرة ومن مصنفاته ( كتاب الابنيه ) توفي سنة ( ٢٢٥هـ)
الاعلام ٣/ ٢٧٤

(٤) هو عبدالحق بن غالب بن عطيه الغرناطي ، مفسر ، فقيه ، اندلسي ولد سنة ( ٤٨١ هـ ) وتوفي سنة ( ٥٤٢ هـ ) ومن مصنفاته ( المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز )
الاعلام ٤/ ٥٣

وقالت فرقة يجوز فيه الرفع وهذا مع اتصال الاستثناء (١) .
قال القرطبي (٢) : ويجوز ( الا قوم يونس ) بالرفع ، ومن احسن ما قيل في الرفع ما قاله ابو اسحق الزجاج قال : يكون المعنى غير قوم يونس فلما جاء بالا ، اعرب الاسم الذى بعدها باعراب غير كما قال :

وكل أخٍ مفارقه اخوه    لعمر أبيك الا الفرقدان (٣)

قال الرازي (٤) في كلمة ( لولا ) في هذه الآية طريقان .
الطريق الاول : ان معناه النفي روى الواحدى في البسيط قال : قال ابو مالك صاحب ابن عباس كل ما في كتاب الله تعالى من ذكر لولا فمعناه هلا الا حرفين فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها ، معناه فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها . وكذلك ( فلولا كان من القرون من قبلكم ) (٥) معناه فما كان من القرون ، فعلى هذا تقدير الآية فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وانتصب قوله ( الا قوم يونس ) على انه استثناء منقطع عن الاول لان اول الكلام جرى على القرية ، وان كان المراد اهلها ووقع استثناء القول من القرية فكان كقوله (٦)

وما بالربع من احد    الا اوارى

وقرئ ايضا بالرفع على البدل .

---

(١) ابو حيان - البحر المحيط - ١٩٢/٥
(٢) القرطبي - الجامع لاحكام القرآن - ٣٨٣/٨ - ٣٨٤
(٣) البيت لعمرو بن معد يكرب كما في سيبويه ٣٧١/١ وفي اللسان باب الالف اللينة حرف الا مغني اللبيب لابن هشام تحقيق الدكتور مازن المبارك ص ١٠١
(٤) الرازى - تفسير الرازى - ١٦٤/١٧ - ١٦٥
(٥) سورة هود الآية ( ١١٦ )
(٦) هذا الشاهد من كلام النابغة الذبياني : زياد بن عمرو بن معاوية
( وقفت فيها أصيلا كي أسائلها    عيت جوابا وما بالربع من احد )
ثم قال ، ( الا أواري لأياً ما ابينها    والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد )
المعلقات العشر للتبريزى ص ٤٥٤ رقم البيتين ( ٢ ، ٣ )

الطريق الثاني : ان ( لولا ) معناه هلا والمعنى هلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت في الايمان قبل معاينة العذاب الا قوم يونس . وظاهر اللفظ يقتضي استثناء قوم يونس من القرى الا ان المعنى استثناء قوم يونس من اهل القرى وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا .

قال القرطبي (١): واصل لولا في الكلام التحضيض والدلاله على منع لوجود غيره ومفهوم من معنى الآية نفي ايمان اهل القرى ثم استثنى قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما آمن اهل قرية الا قوم يونس .

وقال الصاوي (٢): انها تحضيضيه وهي للتوبيخ (٣)

والقول الذى تطمئن اليه النفس هو ان فلولا بمعنى فهلا والظاهر ان المعنى على التوبيخ اى فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك وهو القول الذى اختاره ابن هشام وتؤيده قراءة أُبَي بن كعب وعبدالله بن مسعود وهو الذى اختاره الاخفش والكسائي والفراء وابن عيسى والنحاس واختاره من المفسرين الآلوسي وابو حيان والصاوي .

---

(١) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ٣٨٣/٨

(٢) هو احمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوى فقيه مالكي نسبته الى ( صاء الحجر ) في اقليم الغربيه بمصر ولد سنة ١١٧٥ هـ وتوفي بالمدينة المنوره سنة ١٢٤١ هـ ومن كتبه حاشية على تفسير الجلالين الاعلام ٢٢٣/١

(٣) الصاوى — حاشية الصاوى على الجلالين — ٢٠٢/٢

واستعملت لولا هنا في معنى النفي المجازي لان لولا ليست من حروف النفي وارى انه لا داعي للتفريق بين كون الاستثناء من اللفظ او من المعنى لان هذا التفريق مبني على ان القرية تصدق فقط على الابنية مع انها تصدق في اللغة على السكان فالمراد بالقرية المجتمع •

ولا بد من ذكر الفرق بين العرض والتحضيض مع بيان متى تكون لولا للتحضيض ومتى تكون للتوبيخ •

قال ابن هشام (١): والفرق بينهما ان التحضيض طلب بحث وازعاج والعرض طلب بلين وتأدب • اما متى تكون لولا للتحضيض لقد ذكرت ذلك في صدد تفسير لولا ان تداركه نعمة من ربه في سورة القلم الماضية • واشير اليه هنا فاقول ان تكون لولا للتحضيض والعرض فتختص بالمضارع او ما في تأويله نحو لولا تستغفرون الله واما كونها للتوبيخ والتنديم فتختص بالماضي نحو لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء •

---

(١) ابن هشام — مغني اللبيب — ١/٢١٦

( فلولا كانت )

كان على ثلاثة اقسام (١) : أحدها الناقصة وهي التي تحتاج الى اسم وخبر مثل كان خالد شجاعا •

والثاني التامة : وهي التي تكتفي بمرفوعها مثل قوله تعالى ( وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ) (٢) اى ان وجد ذو عسرة •

الثالث : الزائدة وهي التي لا تحتاج اليها ويصح اسقاطها مثل ما كان احسن زيدا وقد ذكر ابن عصفور (٣) أنها تزاد بين الشيئين المتلازمين كالمبتدأ وخبره نحو زيد كان قائم والفعل ومرفوعه والصله والموصول والصفه والموصوف وقد تزاد كان في حشو وانما تنقاس زيادتها بين ما وفعل التعجب نحو ما كان اصح علم من تقدما • ولا تزاد في غيره الا سماعا •

وقال الآلوسي (٤) : وكان كما اختاره بعض المحققين ناقصة وقوله تعالى قرية اسمها وجملة قوله سبحانه ( آمنت ) خبرها ، وقوله جل شأنه ( فنفعها ايمانها ) معطوف على الخبر اى فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكت هلاك الاستئصال آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما اخر فرعون ايمانه •

---

(١) ابن عقيل - شرح الفية بن مالك - ١/٢٨٨ - ٢٨٩ بتصرف الطبعة الرابعة عشره سنة ١٣٨٤ - ١٩٦٤ مطبعة السعاده في مصر •

(٢) سورة البقره الآية ( ٢٨٠ )

(٣) هو علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي المعروف بابن عصفور حامل لواء العربيه بالاندلس في عصره من كتبه المقرب في النحو والممتع في التصريف ولد سنة ٥٩٧ هـ وتوفي سنة ٦٦٩ هـ الاعلام ٥/١٧٩ - ١٨٠

(٤) الآلوسي - روح المعاني - ٣/٤٩٦

فنفعها ذلك بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها وذهب السمين (١) وغيره الى انها تامة وقرية فاعلها وجملة آمنت صفة ونفعها معطوفة عليها وتعقب بانه يلزم حينئذ ان التحضيض والتوبيخ على الوجود مع انه ليس بمراد وأجيب بانه لا مانع من ان يكون التحضيض على الصفة وحينئذ لا غبار على ما قيل وايا ما كان فالمراد بالقرية اهلها مجازا شائعا والقرينة هنا أظهر من ان تخفى . ( وهي تعجيل الايمان ) .
وقال احمد (٢) الصاوى : كان فعل ماضي تام وقرية فاعلها وجملة آمنت صفة .

والذى اميل اليه هو ان كان في هذه الآية ناقصة وقرية اسمها وجملة آمنت خبرها .

القرية (٣) : وفي القرية لغتان المصر الجامع التهذيب المكسور يمانيه ومن ثم اجتمعوا في جمعها على القرى فحملوها على لغة من يقول كِسوة وكسا وقيل هي القرية بفتح القاف لا غير قال وكسر القاف خطأ وجمعها قرى جاءت نادره ابن السكيت (٤) ما كان من جمع فعله بفتح الفاء معتلا من الياء والواو على فعال كان ممدودا مثل ركوة وركاء شكوة وشكاء وقشوة وقشاء قال ولم يسمع في شيء من جميع القصر الا كوة وكوى وقرية وقرى جاءتا على غير قياس .

---

(١) هو احمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي المعروف بالسمين مفسر عالم بالعربيه والقراءات شافعي من اهل حلب توفي سنة ٧٥٦ هـ ومن اشهر كتبه تفسير القرآن والدر المصون في اعراب القرآن الاعلام ١/ ٢٦٠

(٢) احمد الصاوى - حاشية الصاوى على تفسير الجلالين - ٢/ ٢٠٢

(٣) ابن منظور - لسان العرب - ٢/ ٣٧ - ٣٨

(٤) هو يعقوب بن اسحاق بن السكيت امام في اللغة والادب اتصل بالمتوكل العباسي فعهد اليه بتأديب اولاده ، ولد سنة ١٨٦ هـ ثم قتله المتوكل سنة ٢٤٤ هـ ومن كتبه ( اصلاح المنطق ) الاعلام ٩/ ٢٥٥

وفي الحديث[1] ان نبياً من الانبياء امر بقرية النمل فأحرقت هي مسكنها وبيتها والجمع قرى والقرية من المساكن والابنية والضياع وقد تطلق على المدن وفي الحديث[2] امرت بقرية تأكل القرى هي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى أكلها القرى ما يفتح على ايدى اهلها من المدن ويصيبون من غنائمها واسئل القرية التي كنا فيها قال سيبويه انما جاء على اتساع الكلام والاختصار وانما يريد اهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الاهل لو كان ههنا قال ابن جني[3] في هذا ثلاث معان الاتساع والتشبيه والتوكيد ، أما الاتساع فانه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله الا تراك تقول وكم من قرية مسؤولة وتقول القرى وتسآلك[4] كقولك انت وشأنك فهذا ونحوه اتساع واما التشبيه فلانها شبهت بمن يصح سؤاله لما كان بها ومؤالفا لها واما التوكيد فلانه في ظاهر اللفظ احالة بالسؤال على من ليس من عادته الاجابة فكأنهم تضمنوا لأبيهم عليه السلام أنه ان سأل الجمادات والجبال أنبأته بصحة قولهم وهذا تناه في تصحيح الخبر اى لو سألتها لأنطقها الله بصدقنا فكيف لو سألت من من عادته الجواب والجمع قرى هذا ما قاله ابن منظور .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ـ باب اذا حرّق المشرك المسلم هل يحرق ٤/٢٢ ، عن ابي هريرة . ورواه مسلم في كتاب قتل الحيات ـ باب النهي عن قتل النمل .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل المدينة ـ باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس عن ابي هريرة ورواه مسلم في كتاب الحج ـ باب المدينة تنفي شرارها . والامام مالك في موطئه في كتاب الجامع ـ باب ما جاء في سكن المدينة والخروج منها .

(٣) هو ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي الامام البارع بالتصانيف المشهوره الجليلة اخذ العربيه عن ابي علي الفارسي وكان المتنبي يقول ابن جني اعرف بشعري مني ، توفي سنة ( ٣٩٢هـ ) ومن اشهر كتبه ( اللمع ، وسر الصناعة البلغة ص١٣٧ ـ ١٣٨

(٤) في الكتاب المنقول عنه ( لسان العرب ) تسآلك والقياس تساؤلك لانه لا مقتضى لحذف عين الكلمة التي هي الهمزة .

وقال صاحب تاج العروس (١) : القرية بالفتح وهي اللغة المشهوره الفصحى ويكسر يمانيه نقلها الليث وقال غيره الكسر خطأ ( المصر الجامع ) وفي كفاية المتحفظ كل مكان اتصلت به الابنيه واتخذ قرارا وتقع على المدن وغيرها ومنه قوله تعالى و سئل القرية التي كنا فيها .... ونقل كلام سيبويه وابن جني كما ذكرها ابن منظور آنفا .

آمنت (٢) :

آمن : الامان والامانة بمعنى وقد أمنت فأنا أمن وآمنت غيرى من الامن والأمان والأمن : ضد الخوف والامانة ضد الخيانة والايمان ضد الكفر والايمان بمعنى التصديق ضده التكذيب يقال آمن به قوم وكذّب به قوم فاما آمنته المتعدي فهو ضد اخفته وفي التنزيل (٣) ( وآمنهم من خوف ) .

كشفنا (٤) :

الكشف : رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه كشفه يكشفه كشفا وكشفه فانكشف وتكشف ورجل كشيف مكشوف او منكشف

ومنه قول الشاعر :

آجمن رجلا له هيدب يرفع للخال ربطاً كشفيا

---

(١) محمد مرتضى الزبيدي - تاج العروس - ١١ / ٢٩٠

(٢) ابن منظور - لسان العرب - ١٠٧/١

(٣) سورة قريش الآية (٤)

(٤) ابن منظور - لسان العرب - ٢٦٢/٣

قال ابو حنيفة رحمه الله (١) : يعني ان البرق اذا لمع اضاء السحاب فتراه ابيض فكأنه كشف عن ريط يقال تكشف البرق اذا ملأ السماء وكشف الامر يكشفه كشفا : اي اظهره وكشفه عن الامر اكرهه على اظهاره وكاشفه بالعداوة اي باداه بها . والكاشفة مصدر كالعافية والخاتمة .

الحين (٢) : الدهر : وقيل وقت من الدهر مبهم يصلح لجميع الازمان كلها طالت او قصرت يكون سنة او اكثر من ذلك وخص بعضهم به اربعين سنة او سبع سنين او ستة اشهر او شهرين ، والحين الوقت يقال حينئذ والحين المدة قال تعالى (٣) ( هل آتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ) .

والحين وقت من الزمان تقول حان ان يكون ذلك وهو يحين ويجمع على الاحيان ثم تجمع الاحيان احايين واذا باعد بين الوقتين باعد وا باذ فقالوا حينئذ .

وقبل ان انتقل الى الجانب الثاني وهو قصة سيدنا يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام امهد بما ذكره الشيخ عبدالوهاب النجار فقال (٤) فهذه الآية تفيد بصريح العبارة ان الامم الغابرة كانوا يعاندون ويصرون على ما هم عليه من الكفر والاباء عن الايمان ، ولم ينج من هذا الا القوم الذين ارسل اليهم يونس فانهم اجابوه الى الايمان فكشف الله عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعهم الله الى حين .

---

(١) هو النعمان بن ثابت ابو حنيفة امام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق احد الائمة الاربعة ولد في الكوفة سنة (٨٠) هـ قال عنه الشافعي الناس عيال في الفقه على ابي حنيفة .
وقال الامام مالك في وصفه : رأيت رجلا لو كلمته في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته وكان كريما في اخلاقه جوادا حسن المنطق والصورة جهوري الصوت اذا حدث انطلق في القول وكان لكلامه دوي وله المسند في الحديث ، توفي سنة ١٥٠ هـ ودفن في بغداد
الاعلام ٩/٤ ـ ٥

(٢) ابن منظور ـ لسان العرب = ٧٧١/١

(٣) سورة الانسان الآية (١)

(٤) الشيخ عبدالوهاب النجار ـ قصص الانبياء ص ٣٦٠

## الجانب الثاني قصة يونس
## عليه الصلاة والسلام

بعث الله جل جلاله وعم نواله سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام الى اهل نينوى بعد ان طغى اهلها وعاثوا في الارض فسادا فحمل رسول الله يونس علم التوحيد بعد ان اشعل قبس الايمان وانار دياجير الظلام في تلك المدينة العظيمة التي تقع شرق مدينة الموصل على الساحل الايسر من نهر دجلة .... وآثارها باقية حتى اليوم .

فدعاهم الى عبادة الله ونبذ عبادة الاصنام والاوثان فلم يؤمنوا به اولا وكذبوه وتطاولوا عليه فلم يعبأ بهم واعاد الكرة عليهم بالنصح والموعظة الحسنة فلم يستمعوا لنصحه ولم يأخذوا بمواعظه والح عليهم في ذلك فلم يجد آذانا صاغية ولا عقولا واعية فضاق ذرعا وانذرهم يوم العذاب وذلك بعد ثلاثة ايام آملا ان يعودوا الى رشدهم ويبتعدون عن غيهم ويكفروا بالطاغوت ويؤمنوا بالله الواحد القهار ويكونوا قد استمسكوا بالعروة الوثقى فكانت النتيجة بعد كل هذه المحاولات خائبة ولكن هل كان قوم يونس يتهمون نبيهم بالكذب حقيقة ؟ الجواب لا لأنهم لم يجربوا عليه كذبا قط وكانوا يعلمون صدق دعوته ولذا نراهم قرروا ان اذا جاء اليوم الموعود وخرج يونس عليه السلام من القرية فان عذاب الله آت لا محالة فما عليهم الا ان يلبسوا ثياب التوبة والانابة وان يخلعوا ثياب الشرك والضلالة وان لم يخرج من بين ظهرانيهم فهم في آمن وراحة وكان من عادتهم اذا كذب احدهم من غير عذر يقتل ولما ان ارخى الليل سدوله واشتد ظلامه وذهب الناس الى مضاجعهم شد رسول الله يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الرحال وعزم على الخروج من تلك القرية بعد ان غط الجميع في نوم عميق فخرج مستخفيا من قومه قبل ان يأذن الله له بالخروج وكان قد دعا على قومه

بنزول العذاب في ذلك الصباح فلما ابتعد نبي الله يونس عن القرية وبدأت خيوط الفجر تظهر آتت سحابة سوداء لم تكن تحمل الغيث بل كانت تحمل انواعا من السموم والاسقام كيف لا وقد اعلنت السماء حالة الطوارئ وغضبت جنود الله على قوم يونس • وعندما استيقظ القوم من نومهم وراوا ما احل الله بهم أخذوا يبحثون عن سيدنا يونس فلم يعثروا عليه وهنا ايقنوا ان هذا ما وعدهم به فاعلنوا توبتهم باكملهم وندموا على ما فرطوا في جنب الله ومع اساءتهم لرسولهم وعزموا ان لا يعودوا لما كانوا عليه فارتدوا المسوح وفرقوا بين كل والدة وولدها من انسان وحيوان ثم عجوا الى الله جل في علاه وتضرعوا اليه وتمسكنوا لديه وبكى الرجال والنساء والشيوخ والاطفال وجأرت الانعام والدواب والمواشي فرغت الابل وفصلانها وخارت البقر وتباعها وثغت الغنم وحملانها • وكانت ساعة مهيبة هائلة وقد ورد انه لم يبق بينهم وبين العذاب الا قدر ميل ووجدوا حره على اكتافهم وقيل غشيهم كما يغشى الثوب القبر وقيل غامت السماء غيما اسود يظهر دخانا كثيفا فغشى مدينتهم فاسودت اسطحهم ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم فهرعوا الى شيخ لهم قد بلغ من الكبر عتيا وكان من بقية علمائهم فقالوا له انظر ما حلّ بنا فترجوا منك ان تعلمنا ما نقول وما نصنع وكان قد بلغ بهم الجهد اشده فقال لهم قولوا (ياحي (١) حين لاحي ويا حي محي الموتى وياحي لااله الا انت)

---

(١) دعاء قوم يونس اورده ابن الاثير الجزري في كتابه جامع الاصول في احاديث الرسول عن ابي هريرة رضي الله عنه يرفعه (ان دعاء قوم يونس : ياحي ياقيوم ياحي حين لا حي يامحي يا مميت ياذا الجلال والاكرام) اخرجه رزين • رقم (٢٣٤٤) ٤/ ٣٢١ واخرجه الامام احمد في كتاب الزهد ص٣٤ عن ابي عمران الجوني عن ابي الجلد

فقالوه وورد عن الفضيل بن عياض[(١)] : انهم قالوا : اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلّت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما اهله . فكشف الله عنهم العذاب اي رفعه بحوله وقوته وبفضله وكرمه والبسهم ثياب البيض شارات الرضا وصدق تعالى حيث يقول[(٢)] : ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ) اي فهلا وجدت فيما سلف من القرون الخاليه قرية او مدينة آمنت بتمامها فدل على انه لم يقع ذلك بل وقع العكس كما قال تعالى[(٣)] ( وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون ) .

وقوله الا قوم يونس لما آمنوا اي بتمامهم رفعنا عنهم عذاب الخزي اي عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا ومتعناهم الى انقضاء آجالهم والحين وقت من الزمان مبهم يفسر هنا بانقضاء آجالهم والله اعلم .
ومن امارات صدق توبة قوم يونس وصفاء نياتهم ما ذكره ابن مسعود[(٤)] رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه . وكان يوم قبول توبتهم يوم عاشوراء

---

(١) هو الامام القدوة شيخ الاسلام ابو علي التميمي قال ابن المبارك ما بقي على ظهر الارض افضل من الفضيل ، توفي يوم عاشوراء سنة ١٨٧ هـ وقد نيف على الثمانين تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦
(٢) سورة يونس الآية ( ٩٨ )
(٣) سورة سبأ الآية ( ٣٤ )
(٤) الآلوسي ـ روح المعاني ـ ٣/ ٤٩٧ الزمخشري ـ الكشاف ـ ٢/ ٢٥٤ الخازن ـ تفسير الخازن ـ ٧/ ١٧٤ الرازي ـ تفسير الرازي ـ ٧/ ١٦٥ القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن ـ ٨/ ٣٨٤ وغيرهم مع اختلاف بسيط في اللفظ وتطابق المعنى .

يوم الجمعة[1] والله اعلم .

بعد ان صعدوا على قمة التل الذي كانوا يسكنون حوله ودعوا الله فلما استجاب لهم دعاءهم وقبل توبتهم ونزلوا منه سموه تل التوبة وهو قائم الى يومنا هذا حيث قامت امانة العاصمة بانارته وتعهدت طرقهن على جانبيه يصلان الى باب جامع نبي الله يونس وغرسوا على جانبي الشارعين اشجارا للزينة .

**اعتراض وجواب :**

١ . اورد الامام الرازي رحمه الله الاعتراض التالي واجاب عنه فقال : ان قال قائل[2] انه تعالى حكى عن فرعون انه تاب في آخر الامر ولم يقبل توبته وحكى عن قوم يونس انهم تابوا وقبل توبتهم فما الفرق ؟ .

والجواب : ان فرعون انما تاب بعد ان شاهد العذاب[3] واما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت لهم امارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل ان شاهدوا[4] فظهر الفرق .

ومن الممكن ان نضيف سببا آخر فنقول ان قوم يونس آمنوا بالله ودعوة باسمه تعالى . اما فرعون فقد قال تعالى حاكيا عن فرعون في سورة يونس الآية ( ٩٠ ) وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون

تحذف هذه العبارة نظرا للرازي

---

( ١ ) وقيل يوم الاربعاء وقيل للنصف من شوال وكان يوم الاربعاء ذكره ابن الاثير في كتابه الكامل في التاريخ ١ / ٢٠٨ .

( ٢ ) الامام الرازي ـ تفسير الرازي ـ ١٧ / ١٦٥

( ٣ ) الاظهر ادركه العذاب لان المشاهدة قد تكون من مسافة بعيدة كمشاهدة السحاب الحامل للعذاب فانه يرى من مسافة بعيدة اما لفظ ادرك فهو للوصول .

( ٤ ) الظاهر قبل ان يشاهدوا .

[illegible] وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين )

نجده في احرج المواقف واخطرها ومع ذلك يتعالى عن ذكر اسم الله تعالى وصدق رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم القائل : لا يدخل الجنة من في قلبه مثال ذرة من كبر[١] .

وقال ابن جرير الطبرى[٢] : خص قوم يونس من بين سائر الامم بان تيب عليهم بعد معاينة العذاب وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين .

وقال الزجاج[٣] : انهم لم يقع بهم العذاب وانما راوا العلامة التي تدل على العذاب ولو راوا عين العذاب لما نفعهم الايمان

وقال القرطبي[٤] : قلت قول الزجاج حسن فان المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون ولهذا جاء بقصة يونس على اثر قصة فرعون لانه آمن حين راى العذاب فلم ينفعه ذلك وقوم يونس تابوا قبل ذلك ويعضد هذا قوله عليه السلام[٥] ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر .

---

(١) اخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود في كتاب الايمان في باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ والامام الترمذى في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الكبر ٣٩١/٤ ورقمه ١٩٩٩ والامام احمد في مسند عبد الله بن مسعود ٤١٦/١

(٢) الامام القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ٣٨٤/٨

(٣) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ٨ / ٣٨٤

(٤) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ٣٨٤/٨

(٥) اخرجه الترمذى رقم ( ٣٥٣١ ) في كتاب الدعوات باب التوبة مفتوح قبل الغرغره واخرجه احمد في المسند رقم ( ٦١٦٠ ) و ( ٤٢٥٣ ) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وكذلك الحاكم في المستدرك ٢٥٨/٤ وابو نعيم في الحليه ١٩٠/٥ وابن ماجة رقم ٤٢٥٣ . قال ابن الاثير الجزرى : كلهم من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن ابيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن ابن عمر : واسناده حسن وحسنه الترمذى وصححه الحاكم وابن حبان رقم ( ٢٤٤٠ ) . جامع الاصول ٥١٢/٢ — ٥١٣ تحقيق عبد القادر الارناؤوط .

والغرغرة الحشرجة وذلك هو حال التلبس بالموت واما قبل ذلك فلا والله اعلم •
وفسر القرطبي كشفنا عنهم عذاب الخزى بقوله(١) اى العذاب الذى وعدهم
به يونس انه ينزل بهم لا انهم رأوه عيانا ولا مخايلة وعلى هذا لا اشكال
ولا تعارض ولا خصوص والله اعلم •
وقد اجاب(٢) علي بن محمد المعروف بالخازن عن الاعتراض بقوله قال : قلت
اجاب العلماء عن هذا باجوبة : احدها ان ذلك خاص بقوم يونس
والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد •
والجواب الثاني : ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر(٣) العذاب وهو
وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب
ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية •
والجواب الثالث : ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة
فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه
ولا اخلص فلم يقبل منه ايمانه والله اعلم •
واجاب ابن الجوزى(٤) بما يشابه قول الخازن فقال : فالجواب من ثلاثة اوجه
الاول : ان ذلك كان خاصا لهم كما في الآية
الثاني : ان فرعون باشره العذاب وهؤلاء لم يباشرهم ذكره الزجاج(٥) •
الثالث : ان الله تعالى علم منهم صدق النيه بخلاف غيرهم ذكره ابن الانبارى •

---

(١) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ٨/٣٨٥
(٢) الخازن — تفسير الخازن — ١٧٤/٧
(٣) الظاهر باشره العذاب لان العذاب قد ادركه
(٤) ابن الجوزى — التبصره — ص ٣٢٩
(٥) هو محمد بن القاسم بن محمد الانبارى النحوى الامام المشهور والعلم المنشور كان احفظ زمانه يقال انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا باسنادها وكان من الصالحين وله التصانيف المفيدة منها الزاهر في اللغة وكتاب الامالي وغريب الحديث توفي سنة ٣٢٨ هـ
البلغة ص ٢٤٥ — ٢٤٦

وخالف الخازن القرطبي بما يتعلق في تفسير قوله تعالى (١) :
( كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين )
يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب
عيانا ام لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب (٢) فآمنوا وقال الاكثرون
انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف
لا يكون الا بعد الوقوع او اذا قرب وقوعه .
قال الآلوسي (٣) : وظاهر الآية يستدعي ان القوم شاهدوا العذاب
لمكان كشفنا وهو الذي يقتضيه أكثر الاخبار واليه
ذهب كثير من المفسرين وقع الايمان لهم بعد المشاهدة من
خصوصياتهم فان ايمان الكفار بعد مشاهدة ما وعدوا به ايمان بأس (٤)
غير نافع لارتفاع التكليف حينئذ وعادة الله اهلاكهم من غير امهال كما
اهلك فرعون والقول بانه بقي حيا الى ما شاء الله تعالى وسكن ارض
الموصل من مفتريات اليهود .
وقد اورد ابن كثير (٥) اعتراضا ثانيا واجاب عنه فقال : وقد اختلف المفسرون
هل ينفعهم هذا الايمان في الدار الآخرة فينقذهم من العذاب الأخروي
كما انقذهم من العذاب الدنيوي ؟ على قولين
الاظهر من السياق : نعم والله اعلم كما قال تعالى ( لما آمنوا ) وقال
تعالى ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين ) (٦)
وهذا المتاع الى حين لا ينفي ان يكون معه غيره من رفع العذاب الأخروي
والله اعلم .

---

(١) الخازن ـ تفسير الخازن ـ ١٧٣/٧
(٢) الظاهر علامة العذاب
(٣) محمود الآلوسي ـ روح المعاني ـ ٤٩٧/٣
(٤) الظاهر ايمان يأس .
(٥) ابن كثير ـ قصص الانبياء ـ ٣٨٧/١ ـ ٣٨٨
(٦) سورة الصافات الآية ( ١٤٧ ، ١٤٨ )

## العبـــر والعظـــات

قال السيد (١) سيد قطب : حسبنا ان ندرك امرين هامين همـا :

احدهمـا : الاهابة بالمكذبين ان يتعلقوا بخيوط النجاة الاخيره فلعلهم ناجون كما نجا قوم يونس من عذاب الخزي في الحياة الدنيا وهو الغرض المباشر من سياقه القصة هذا المساق .

ثانيهمـا : ان سنة الله لم تتعطل ولم تقف بكشف هذا العذاب وترك قوم يونس يتمتعون فترة اخرى بل مضت ونفذت لان مقتضى سنة الله كان ان يحل العذاب بهم لو اصروا على تكذيبهم حتى يجيء فلما عدلوا قبل مجيئه جرت السنة بانجائهم نتيجة لهذا العدول فلا جبرية اذن في تصرفات الناس ولكن الجبريه في ترتيب اثارها عليها .

قال ابن الجوزي (٢) : فانظروا اخواني الى التوبة النصوح الصادقة كيف اثرت وقاومت العذاب فدفعت ونفعت فليلجأ العاصي الى حرم الانابة وليطرق بالاسحار باب الاجابة فما صدق صادق فرد ولا اتى الباب مخلص فصد وكيف يرد من قد استدعي فقيل لهم توبوا انما الشأن في صدق التوبة وليست التوبة نطق اللسان انما هي ندم القلب وعزمه ان لا يعود ومن شرط صحتها ان تكون معاينة امور الاخرة فمن باشره العذاب او عاينه فقد فات موسم القبول فاستدركوا قبل الفاجاة بالفوات الذي لا يؤمن نسأل الله يقظه تحركنا الى البدار قبل ان يقع الفوت والخسار .

| | |
|---|---|
| يأتي على الناس اصباح وامساء | وكلنا الصروف الدهر نسّاء |
| يخوي الملوك ومصر في تغيرهم | مصر على العهد والاحساء أحساء |
| خسئت يا دار دنيانا فائدة لمن | يرضى الخسيسة او ناس أخساء |
| لقد نطقت باصناف العظات لنا | وانت فيما يظن الناس خرساء |
| اذا تعطفت يوما كنت قاسية | وان نظرت بعين فهو شوساء (٣) |

---

(١) سيد قطب - في ظلال القرآن - ٣/١٨٢١

(٢) ابن الجوزي - التبصره - ص٣٢٩

(٥) شوساء : التي تنظر بمؤخر العين تكبرا وغيظا

## ســـورة الانعـــــــام

(١)
قال تعالى في سورة الانعـــام
( واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين )
المناسبة بين هذه الاية والاية التي وردت في سورة يونس انه تعالى لما ذكر في الاية السابقة قوم يونس وايمانهم جاءت هذه الاية توضح مكانة يونس ومنزلته وهو انه احد الدعاة الى الله الذين آتاهم الله الحجة كما قال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ثم اخذت الايات تعدد طائفة من المرسلين ومن بينهم يونس عليه السلام

### التفســـير

واسمعيل : هو ابن سيدنا ابراهيم عليهما السلام

واليسع : هو ابن اخطوب مرت ترجمته فيما سبق

قال القرطبي (٢) : قرأ اهل الحرمين وابو عمرو (٣) وعاصم (٤) ( واليسع ) بلام مخففة وقرأ الكوفيون الا عاصما ( والليسع ) وكذا قرأ الكسائي ورد قراءة من قرأ ( واليسع ) قال لانه لا يقال اليفعل مثل اليحيى قال النحاس وهذا الرد لا يلزم والعرب تقول : اليعمل واليحمد ولو نكرت يحيى قلت اليحيى ورد ابو حاتم على من قرأ ( والليسع ) وقال لا يوجد ليسع وقال النحاس وهذا الرد لا يلزم فقد جاء في كلام العرب حيدر وزينب والحق في هذا انه اسم اعجمي والعجمة لا تؤخذ بالقياس انما تؤخذ سماعا والعرب تغيرها كثيرا فلا ينكر ان ياتي الاسم بلغتين ٠

---

(١) سورة الانعام الاية ( ٨٦ )
(٢) القرطبي _ الجامع لاحكام القرآن _ ٧/ ٣٢ _ ٣٣
(٣) هو زبان بن العلاء بن عمار احد القراء السبعة خزاعي بن مازن ولد بالحجاز وسكن البصره سمع نافعا مولى ابن عمر واخذ القراءة عرضا وسماعا للحروف عن جماعة ٠ مات بالكوفة سنة ١٥٤ هـ وعمره ( ٨٦ ) سنة البلغـــة ص ٨١
(٤) هو عاصم بن ابي النجود الكوفي احد القراء السبعة تابعي من اهل الكوفة توفي في الكوفة سنة ١٢٧ هـ كان ثقة في القراءات وله اشتغال بالحديث الاعـــلام ١٢/٤

وقال مكي (١) : من قرأ بلامين فأصل الاسم ليسع ثم دخلت الالف واللام (٢) للتعريف ولو كان اصله يسع لما دخلته الالف واللام اذ لا يدخلان على يزيد ويشكر : اسمين لرجلين لانهما معرفتان علمان فاما ( ليسع ) نكرة وتدخله الالف واللام للتعريف والقراءة بلام واحدة احب الي لان اكثر القراء عليه (٣)

قال المهدوي (٤) : من قرأ ( اليسع ) بلام واحدة فالاسم ( يسع ) ودخلت الالف واللام زائدتين كزيادتهما في نحو الخمسة عشر

وفي نحو قوله :

وجدنا اليزيد بن الوليد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله (٥)

وقال صاحب تفسير المنار (٦) : اقول الاقرب انه تعريب ( اليشع ) وهو احد انبياء بني اسرائيل وكان خليفة الياس ( ايليا )

والرأي الذي اراه مناسبا هو ما قال القشيري (٧) : قرئ بتخفيف اللام والتشديد والمعنى واحد لانه اسم لنبي معروف مثل اسمعيل وابراهيم ولكن خرج عما عليه الاسماء الاعجمية بادخال الالف واللام (٨) .

---

(١) هو مكي بن ابي طالب حموش بن محمد الاندلسي مقرئ عالم بالتفسير والعربية من اهل القيروان ، ولد سنة ٣٥٥ هـ وتوفي في قرطبة سنة ٤٣٧ هـ ومن اشهر كتبه مشكل اعراب القرآن والكشف عن وجوه القراءات وعللها الاعلام ٨/٢١٤

(٢) القرطبي - الجامع لاحكام القرآن - ٧/ ٣٣

(٣) الظاهر عليها

(٤) هو ابو العباس احمد بن عمار المهدوي الامام المشهور وله المصنفات المفيدة منها شرح الهداية في القراءات البلغة ص٢٧

(٥) استشهد ابن هشام بهذا البيت بشرح القطر تحقيق محي الدين عبد الحميد ص٥٣ رقم البيت ( ١٢ ) وقال رايت بدل وجدنا

(٦) محمد رشيد رضا - تفسير المنار - ٧/ ٥٨٨ - ٥٨٩

(٧) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري من بني قشير ولد سنة ٣٧٦ هـ وتوفي سنة ٤٦٥ هـ وكان زاهدا وعلما بالدين ومن كتبه التيسير في التفسير والرساله القشيريه الاعلام ٤/١٨٠

(٨) القرطبي - الجامع احكام القرآن - ٧/٣٢

ويونس هو ابن متى عليه السلام
ولوطا[1] : قال الفراء : هذا أليط بقلبي[2] اى الصق وقال النحاس : قال الزجاج: زعم بعض النحويين يعني الفراء ان لوطا يجوز ان يكون مشتقا من لطت الحوض اذا ملسته بالطين قال : وهذا غلط لان الاسماء الاعجمية لا تشتق كاسحاق ، فلا يقال : انه من السحق وهو البعد وانما صرف لوط لخفته لانه على ثلاثة احرف وهو ساكن الوسط
قال النقاش[3] : لوط من الاسماء الاعجمية وليس من العربية فاما لطت الحوض وهذا أليط بقلبي من هذا فصحيح ولكن الاسم اعجمي كابراهيم واسحق
قال سيبويه : نوح ولوط اسماء اعجمية إلا انها خفيفة فلذلك صرفت والرأي الاخير هو الذي تركن اليه النفس ( وهو رأي سيبويه ) .
كل[4] اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو ( كل نفس ذائقة الموت )[5] والمعروف المجموع نحو ( وكلهم آتيه يوم القيامة فردا )[6] واجزاء المفرد المعرف نحو كل زيد حسن فاذ قلت أكلت كل رغيف لزيد كانت لعموم الافراد فان اضفت الرغيف الى زيد صارت لعموم اجزاء فرد واحد .
وترد كل باعتبار كل واحد مما قبلها وما بعدها على ثلاثة اوجه فاما اوجهها باعتبار ما قبلها فاحدها ان تكون نعتا لنكرة او معرفة فتدل على كماله وتجب اضافتها الى اسم ظاهر يماثله لفظا ومعنى نحو اطعمنا شاة كل شاة

---

(١) هو لوط بن هاران بن تارح وهو آزر ولوط ابن اخي ابراهيم الخليل صلى الله عليهما وسلم قال الثعلبي كان ابراهيم يحبه حبا شديدا والايات في الاحوال لوط عليه السلام مشهوره وهو احد رسل الله عز وجل الذين انتصر لهم باهلاك مكذبيهم
تهذيب الاسماء واللغات الجزء الثاني من القسم الاول ص ٧٢ - ٧٣
(٢) القرطبي - الجامع لاحكام القرآن - ٧/ ٢٤٣
(٣) هو محمد بن الحسن بن محمد ابو بكر النقاش عالم بالقرآن وتفسيره واصله من الموصل ومنشأه ببغداد ولد سنة ٢٦٦ هـ وتوفي سنة ٣٥١ هـ وكان في بدء امره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعرف بالنقاش من تصانيفه شفاء الصدور في التفسير والاشارة في غريب القرآن الاعلام ٦/ ٣١٠ - ٣١١
(٤) ابن هشام - مغني اللبيب - ١/ ١٦٤ - ١٦٥ بتصرف
(٥) سورة آل عمران الاية ( ١٨٥ ) وسورة الانبياء الاية ( ٣٥ ) وسورة العنكبوت ( ٥٧ )
(٦) سورة مريم الاية ( ٩٥ )

الثاني : ان تكون توكيدا لمعرفة قال الاخفش والكوفيون او لنكرة محدودة وعليهما ففائدتها العموم يجب اضافتها الى اسم ضمير راجع الى المؤكد نحو ( فسجد الملائكة كلهم )(١) .

الثالث : ان لا تكون تابعة بل تالية للعوامل فتقع مضافة للظاهر نحو ( كل نفس بما كسبت رهينة )(٢) وغير مضافة نحو ( وكلا ضربنا له الامثال )(٣) .

واما الثلاثة التي باعتبار ما بعدها الاول : ان تضاف الى الظاهر وحكمها ان يعمل فيها جميع العوامل نحو اكرمت كل بني تميم والثاني ان تضاف الى ضمير محذوف ومقتضى كلام النحويين ان حكمها كالتي قبلها في امتناع التأكيد بهما وكل التي تقدمت بعدهما من هذا القسم الثالث : ان تضاف الى ضمير ملفوظ به حكمها ان لا يعمل فيها غالبا الا الابتداء مثل ( ان الامر كله لله )(٤) و ( وكلا فضلنا على العالمين )(٥) .

قال البيضاوي(٦) : بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق

قال ابو السعود(٧) : أي وكل واحد من اولئك المذكورين بالنبوة لا بعضهم دون بعض فضلنا على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كأختها .

---

(١) سورة الحجر الآية ( ٣٠ )
(٢) سورة المدثر الاية ( ٣٨ )
(٣) سورة الفرقان الآية ( ٣٩ )
(٤) سورة آل عمران الآية ( ١٥٤ )
(٥) سورة الانعام الآية ( ٨٦ )
(٦) البيضاوي - انوار التنزيل واسرار التأويل - ٢/١٩٧
(٧) ابو السعود - تفسير ابي السعود - ٣/١٥٩

قال محمد رشيد رضا (١) : واستدلوا بتفضيل من ذكر من الانبياء على العالمين على تفضيل الانبياء على الملائكة بناء على ان العالم اسم لما سوى الله تعالى وفيه نظر فان العالمين في مثل هذه الآيه لا يفهم منه الا الناس او الاقوام من الناس فهي كالآيات الناطقة بتفضيل بني اسرائيل على العالمين ولم يخطر في بال احد قرأها او فسرها انها تدل على تفضيلهم على الملائكة ومثلها قوله تعالى حكاية عن قوم لوط (٢) ( اولم ننهك عن العالمين ) وقوله في ابراهيم (٣) ( ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ) وهي ارض الشام بارك الله فيها لمن يسكنها من الناس لا للملائكة وغيرهم من عالم الغيب .

قال الآلوسي (٤) : وكلا اى كل واحد من هؤلاء المذكورين لا بعضهم دون بعض فضلنا بالنبوه على العالمين اى عالمي عصرهم والجملة اعتراض كأختيها وفيها دليل على ان الانبياء افضل من الملائكة .

قال الرازي (٥) : احتج القائلون بان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة بقوله تعالى بعد ذكر هؤلاء عليهم السلام وكلا فضلنا على العالمين وذلك لان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل في لفظ العالم الملائكة فقوله ( وكلا فضلنا على العالمين ) يقتضي كونهم أفضل من كل العالمين وذلك يقتضي كونهم افضل من الملائكة ومن الاحكام المستنبطة من هذه الآية ان الانبياء عليهم السلام يجب ان يكونوا افضل من كل الاولياء لان عموم قوله تعالى : ( وكلا " فضلنا على العالمين ) يوجب ذلك وقال بعضهم ( وكلا فضلنا على العالمين ) معناه فضلناهم على عالمي زمانهم .

---

(١) محمد رشيد رضا - تفسير القرآن الحكيم - ٧ / ٥٨٩
(٢) سورة الحجر الآية ( ٧٠ )
(٣) سورة الانبياء الآية ( ٧١ )
(٤) الآلوسي - روح المعاني - ٥ / ٢٢٩
(٥) الرازي - تفسير الرازي - ١٣ / ٦٦

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية : وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر وينسب الى اهل السنة تفضيل صالحي البشر والانبياء فقط على الملائكة والى المعتزله تفضيل الملائكة واتباع الاشعري على قولين : منهم من يفضل الانبياء والاولياء ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولا وحكي عن بعضهم ميلهم الى تفضيل الملائكة ، وحكي عن غيرهم من اهل السنة وبعض الصوفيه وقالت الشيعة إن جميع الائمة افضل من جميع الملائكة ومن الناس من فصل تفصيلا آخر ولم يقل احد ممن له قول يؤثر ان الملائكة افضل من بعض الانبياء دون بعض . وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها وأنها قريب مما لا يعني ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه . والشيخ رحمه الله لم يتعرض الى هذه المسألة بنفي ولا اثبات ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصدا فان الامام ابا حنيفة رضي الله عنه وقف في الجواب عنها على ما ذكره في مآل الفتاوى ( في كشف الظنون للامام ناصر الدين السمرقندي الحنفي ) فانه ذكر مسائل لم يقطع ابو حنيفة فيها بجواب وعدّ منها التفضيل بين الملائكة والانبياء وهذا هو الحق) فان الواجب علينا الايمان بالملائكة والنبيين وليس علينا ان نعتقد اي الفريقين افضل فان هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصا )

والذي اراه ان الانبياء افضل من الملائكة وعامة الملائكة افضل من عامة البشر لاسباب كثيرة منها ان الله جعل للملائكة عقولا ولم يجعل لهم شهوات اما الانبياء جعل لهم عقولا وشهوات فلما نهوا انفسهم عن الهوى ومنعوها مما تميل اليه الطباع كانوا بذلك افضل وقال تعالى : ( وعلم آدم الاسماء كلها ) البقره ( ٣١ ) وقوله ( ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ) ص ٧٥ وقوله ( ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ) آل عمران ( ٣٣ ) اما عامة البشر فان فيهم الصالح والطالح والطيب والخبيث ولكن الملائكة اجسام نورانية لطيفة خفيفة لها قابلية التشكل بالاشكال المختلفة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والله اعلم .

---

( ١ ) ابو جعفر احمد الازدي الطحاوي — شرح العقيدة الطحاويه ص ٣٣٧ — ٣٣٨ تحقيق جماعة من العلماء وخرج احاديثها محمد ناصر الدين الالباني الطبعة الاولى سنة ١٣٩٢ المكتب الاسلامي .

العالميـن (١) : اصناف الخلق والعالم الخلق كلـه وقيل ما احتواه بطن الفلك ولا واحد للعالم من لفظـه لان عالمـا جمـع اشيـاء مختلفة فان جعل عالم اسـما لواحـد منها صار جمعا لاشيـاء متفقـة والجمع عالمون .

وفي التنزيـل ( الحمـد (٢) للـه رب العالميـن ) قال ابن عباس رب الانس والجن وقال قتـاده رب الخلـق كلهـم .

الزجـاج : معنى العالميـن كل ما خلق اللـه كمـا قال رب كل شـيء وهـو جمـع عالـم قال ولا واحـد لعالـم من لفظـه لان عالمـا جمع لاشياء مختلفـة فان جعـل عالـم لواحـد منهـا صـار جمعا لاشياء متفقـة .

قال الازهـري : فهـذه جملـة ما قيـل في تفسير العالـم وهـو اسـم بني على مثـال فاعـل كمـا قالـوا خاتـم وطابـع ودانق .

وقـال البيضـاوي (٣) : وهـو كل ما سـواه ( اى اللـه ) من الجواهـر والاعراض فانهـا لامكانها وافتقارهـا الى مؤثـر واجب لذاتـه تدل على وجوده وانمـا جمعـه ليشـمل ما تحتـه من الاجناس المختلفـة وغلب العقلاء منهـم فجمعـه بالياء والنون كسائر اوصافهـم وقيـل اسـم وضـع لذوي العلم من الملائكـة والثقليـن وتناولـه لغيرهـم على سـبيـل الاسـتتباع .

ومن الجدير بالذكـر ان بعض المفسـرين وقف حائرا في هـذه الآيـة والآيات التي سـبقتها لانها لم تأت بالانبيـاء على وجه الترتيب في بيـان المتقدم عن المتأخـر في الزمـن ولم تقـدم اولي العزم على غيرهـم ولم يتضح سـر ذكرهـم بهـذه الطريقـة وعلى هـذا النسـق ولكن اللـه سـبحانه الهم بعض العلماء ورزقهـم بلاغـة فهم القرآن والكشـف عن دره وللآلئـه ومن هؤلاء العلماء الرازي رحمـه اللـه حيث أتى برأى لطيف بهذا الصـدد (٤) قال :ـ

---

(١) ابن المنظـور ـ لسـان العرب ـ ٢/ ٨٧١ـ ٨٧٢ بتصرف
(٢) سـورة الفاتحـة الآيـة ( ٢ )
(٣) البيضـاوي ـ تفسـير البيضاوي ـ ١/ ٢٧
(٤) الرازي ـ تفسـير الرازي ـ ١٣/ ٦٥

واقول عندي فيه وجه من وجوه الترتيب وذلك لانه تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء بنوع من الاكرام والفضل فمن المراتب المعروف عند جمهور الخلق : الملك والسلطان والقدره والله تعالى قد اعطى داود وسليمان من هذا الباب نصيبا عظيما .

والمرتبة الثانية : البلاء الشديد والمحنة العظيمة وقد خص الله أيوب بهذه المرتبة الخاصية .

والمرتبة الثالثة : من كان مستجمعا لهاتين الحالتين وهو يوسف عليه السلام فانه نال البلاء الشديد الكثير في اول الأمر ثم وصل الى الملك في آخر الأمر .

والمرتبة الرابعة : من فضائل الانبياء عليهم السلام وخواصهم قوة المعجزات وكثرة البراهين والمهابة العظيمة والصولة الشديدة وتخصيص الله تعالى اياهم بالتقريب العظيم والتكريم التام وذلك كان في حق موسى وهارون .

المرتبة الخامسة : الزهد الشديد والاعراض عن الدنيا وترك مخالطة الخلق وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا السبب وصفهم بأنهم من الصالحين .

والمرتبة السادسة : الانبياء الذين لم يبق لهم فيما بين الخلق اتباع واشياع وهم اسماعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذا الوجه الذى راعيناه ظهر ان الترتيب حاصل في ذكر هؤلاء الانبياء عليهم السلام بحسب هذا الوجه الذى شرحناه .

ومعنى الاية ان كل واحد من الانبياء المذكورين فضله الله على عالمي عصره بالنبوة

## الفوائد التي يمكن ان نأخذها من هذه الآيه :

كانوا

١. ان الانبياء عليهم السلام مثالا رائعا ونموذجا كاملا في الخلق والفضائل وانهم حملة النور والخير على البسيطة فهم جبال الصبر ومصابيح الدنيا واساتذة الادب ومشاعل العلم .

٢. انهم قادة لركب الحضارة الانسانية اصطفاهم الله وفضلهم على العالمين ليكونوا دعاة هداية واصلاح في كل ميادين الحياة قال تعالى(١)( وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ) .

٣. ان الانبياء افضل من سائر البشر مهما بلغوا من الزهد والتقوى والورع لان النبوة فضل الهي وهبة ربانية وهي لاتنال بكثرة الطاعة والعبادة وانما يمنحها الله جل في علاه لمن يشاء(٢) :
( والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم )
قال تعالى(٣)( الله اعلم حيث يجعل رسالته ) .

٤. ان الانبياء الاطهار ليسوا على درجة واحدة بل ان بعضهم افضل من بعض قال تعالى(٤) ( ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ) وقال تعالى(٥) ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ) وان كانوا هم افضل البشر قاطبة وافضل من الملائكة والجن والفائدة الاخيره استنبطناها بمقارنة هذه الآية بالآيات السابقة لها والتي تناولت الحديث عن كثير من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

---

(١) سورة الانبياء الآية ( ٧٣ )
(٢) سورة البقره الآية ( ١٠٥ )
(٣) سورة الانعام الآية ( ١٢٤ )
(٤) سورة الاسراء الآية ( ٥٥ )
(٥) سورة البقره الآية ( ٢٥٣ )

## سورة الصافات :

قال تعالى ( وان يونس لمن المرسلين ، اذ أبق الى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا انه كان من المسبحين ، للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وانبتنا عليه شجرة من يقطين ، وارسلناه الى مائة الف او يزيدون )[1]

وقبل ان ابدأ الحديث عن تفسير هذه الآيات اذكر مناسبتها لما قبلها ( المناسبة بين هذه الآيات والآية التي وردت في سورة الانعام ) حيث انه تعالى قال ( وكلا فضلنا على العالمين ) فجاء النص الثاني يوضح في اى شيء فضلهم الله على العالمين فبين النص الثاني انه تعالى فضلهم او فضل كل واحد منهم لانهم من المرسلين فقال تعالى عن يونس ( وان يونس لمن المرسلين ) .

وقال تعالى عن اسمعيل ( واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا )[2]

وقال سبحانه عن لوط ( وان لوطا لمن المرسلين ، اذ نجيناه واهله اجمعين ، الا عجوزا في الغابرين ، ثم دمرنا الاخرين ، وانكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون ) .[3]

وقال سبحانه عن اليسع ( واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار )[4]

والخيريه هنا والتفضيل على العالمين هناك لا يكونان الا للانبياء والرسل واعقب سبحانه وتعالى ذلك بالحديث عن هروبه من قومه وعن التقام الحوت له وكيف انجاه الله من بطن الحوت وارسله الى مائة الف او يزيدون .

---

(١) سورة الصافات الآيات ( ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ )

(٢) سورة مريم الآية (٥٤)

(٣) سورة الصافات الآيات ( ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ )

(٤) سورة ص الآية (٤٨)

ويمكن ان اقسم جوانب هذه الآيات الى اربعة اقسام

١ - جانب لغوي ٢ - قصة يونس في جوف الحوت وخروجه منها

٣ - ذكره عند اهل الكتاب ٤ - العبر والعظات التي نستقيها من معين هذه الآيات الكريمات .

١ - الجانب اللغوي :

١) أبق : الاباق هرب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كدّ عمل قال (١) وهذا الحكم فيه ان يرد فان كان من كدّ عمل او خوف لم يردّ وفي حديث شريح كان يرد العبد من الاباق الباتّ اى القاطع الذى لا شبهة فيه وقد ابق هرب وفي الحديث ان عبدا لابن عمر رضي الله عنهما أبق فلحق بالروم .

ابن سيده : أَبَق يأبِق ويأبُق أبقا وإباقا فهو آبق وجمعه أُباق وابق وتأبّق استخفى ثم ذهب قال الاعشى :

فذاك ولم يعجز من الموت ربّه

ولكن أتاه الموت لا يتأبق

الازهري : الاباق هرب العبد من سيده قال تعالى في يونس عليه السلام حين ندّ في الارض مغاضبا لقومه اذ أبق الى الفلك المشحون وتأبّق استتر ويقال احتبس وروى ثعلب عن ابن الاعرابي انشده

الا قالت بهان ولم تأبّق كبرت ولا يليق بك النعيم

والتأبق : التوارى

٢) الفلك المشحون : قال تعالى في الفلك المشحون أي المملوء الشحن ملؤك السفينة واتمامك جهازها كله شحن السفينة يشحنها شحنا ملأها وشحنها ما فيها كذلك وشحن البلد بالخيل اى ملأه (٢)

---

(١) ابن منظور - لسان العرب - ١/ ٧

(٢) ابن منظور - لسان العرب / ٢ / ٢٧٩

٣) دحض[1] : الدحض الزلق والادحاض الازلاق الدُّحَّض جمع داحض وهم الذين لا ثبات لهم ولا عزيمة في الامور ودحضت حجته دحوضا اذا ابطلت وادحض حجته اذا ابطلها ومنها حجتهم داحضة اي باطلة ومكان دحض اذا كان مزلة لاتثبت عليها الاقدام

٤) لوم[2] : اللوم واللوماء واللوى واللائمة : العدل لامه على كذا يلومه لوما وملاما وملامة ولومة فهو ملوم ومليم استحق اللّوم حكاها سيبويه قال انما عدلوا الى الياء والكسرة استثقالا للواو مع الضمة والامه ولومه والمته بمعنى لمته والام الرجل أتى بما يلام عليه قال سيبويه الام صار ذا لائمة : الام الرجل فهو مليم اذا اتى ذنبا يلام عليه قال تعالى ( فالتقمه الحوت وهو مليم )

٥) سبح[3] : لغة حكاها ثعلب[4] : سبح تسبيحا وسبحانا وعندي ان سبحانا ليس بمصدر سبح انما هو مصدر سبح وفي التهذيب سبحت الله تسبيحا وسبحانا بمعنى واحد فالمصدر تسبيح والاسم سبحان يقوم مقام المصدر .
واما قوله تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده وان صربر السقف وصرير الباب من التسبيح .
وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة والذكر تقول قضيت سبحتي قال الاعشى :

وسبح على حين العشيات والضحى     ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

يعني الصلاة في الصباح والمساء
قوله فلولا انه كان من المسبحين اراد من المصلين قبل ذلك وقيل انما ذلك لانه قال في بطن الحوت ( لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ) .

---

(١) ابن منظور — لسان العرب — ١/ ٩٥٢
(٢) ابن منظور — لسان العرب — ١٢/ ٥٥٧
(٣) ابن منظور — لسان العرب — ٢/ ٨١ — ٨٢ بتصرف
(٤) هو احمد بن يحيى بن زيد الشيباني ابو العباس المعروف بثعلب امام الكوفيين في النحو واللغة كان راوية للشعر محدثا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة ولد في بغداد سنة ٢٠٠ هـ وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ ومن كتبه الفصيح وقواعد الشعر .

السبحة : الدعاء وصلاة التطوع والنافلة يقال فرغ فلان من سبحته اي من صلاته النافلة سميت الصلاة تسبيحا لان التسبيح تعظيم الله وتنزيهه من كل سوء . السبحة الخرزات التي يعد المسبح بها تسبيحه وهي كلمة مولّدة .

٦) سقم[1] : السقام والسقم والسَّقَم : المرض لغات مثل حزن وحزن وقد سَقِم وسَقُم سُقما وسقط وسقاما وسقامة يسقم فهو سقم قال سيبويه والجمع سقام جاؤوا به على فعال يذهب سيبويه الى الاشعار بانه كسر تكسير فاعل واسقمه الداء

٧) قطن[2] القطون الاقامة وقطن قطونا اقام به وتوطن فهو قاطن

اليقطين كل شجر لا يقوم على ساق نحو الدباء والقرع والبطيخ والحنظل واليقطينه القرعة الرطبة .

التهذيب اليقطين شجر القرع قال عز وجل ( وانبتنا عليه شجرة من يقطين ) .

---

(١) ابن منظور - لسان العرب - ٢/ ١٦٦

(٢) ابن منظور - لسان العرب - ٣/١٢٣ - ١٢٤ بتصرف

## قصة يونس في جوف الحوت

وابدأ من اول آية ( وان يونس لمن المرسلين ) أي من جملة رسل الله عليهم الصلاة والسلام والمرسلين جمع مرسل وهو اسم مفعول من ارسل والرسول : انسان اوحى الله اليه بشرع وامره بتبليغه بخلاف النبي
فانه لم يكلف بالتبليغ فالرسالة اعلى من مرتبه النبوه لان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا هذا عند قوم وعند آخرين ان النبي هو المتبع لكتاب سبق نزوله فليس مجددا وان كان داعيه .
(اذ ابق الى الفلك ) الاباق هو هرب العبد من سيده فاستعير الاباق لهربه بغير اذن الله تعالى والتابق التواري والفلك المشحون اى المملوء الشحن وعن ابن عباس كما جاء في تفسير ابن كثير[(١)] : ( هو الموقر أي المملوء بالامتعة ) الفلك يذكر ويؤنث ويكون واحدا وجمعا فمعنى الآية ان سيدنا يونس هرب بغير اذن الله تعالى له الى الفلك المملوء الشحن متواريا من الناس .
فساهم فكان من المدحضين : والمساهمة المقارعة فساهم اى قارع فكان من المدحضين ونقل الطبري[(٢)] عن السُدّي فساهم قال قارع وكذلك عن ابن عباس فساهم يقول : اقرع وقال قتاده فساهم فكان من المدحظين قال فاحتبست السفينة فعلم القوم انما احتبست من حدث احدثوه ،فتساهموا فقرع يونس فرمى بنفسه فالتقمه الحوت قال السدي ( فكان من المدحضين ) يعني فكان من المسهومين المغلوبين ونقل عن ابن عباس ( رضي الله عنهما ) فكان من المدحضين يقول من المقروعين وقال مجاهد من المدحضين من المسهومين

---

(١) ابن كثير — تفسير القرآن العظيم — ٢٠/٤

(٢) الطبري — تفسير الطبري — ٢٣ / ٩٨ بتصرف

قال المبرد[١] : فقارع قال واصله من السهام التي تجال فكان من المدحضين قال من المغلوبين .

قال الفراء : دحضت حجته وادحضها الله واصله من الزلق قال الشاعر

قتلنا المدحضين بكل فج فقد قرت بقتلهم العيون

اي المغلوبين[٢]

قال البيضاوي[٣] : فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا هٰهنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء .

فالتقمه الحوت قال الدكتور محمد عبدالمنعم القيمي[٤] : تحت عنوان اسباب الخلاف بين الفقهاء وذكر منها التعارض بين الادلة وضرب هذا المثال فقال : اختلفوا في القرعة هل هي منشئة للحكم او كاشفة له وذلك من قوله تعالى عن يونس فساهم فكان من المدحضين فمن حمل كان على المعنى المتبادر منها فالقرعة كاشفة ومن حملها على معنى صار فهي منشئة .

قال تعالى : ( فالتقمه الحوت وهو مليم )

التقمه الحوت اى ابتلعه من اللقمة افتعل من اللّقم وهو مليم من الام الرجل اتى ما يلام عليه وذلك اذا اتي ذنبا وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب .

---

(١) هو ابو العباس محمد بن يزيد الازدي المعروف بالمبرد امام العربيه في بغداد في زمنه وأحد ائمة الأدب والاخبار ولد بالبصره سنة ٢١٠ هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٨٦ هـ ومن كتبه الكامل الاعلام ٨/ ١٥

(٢) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ١٥/ ١٢٣ الرازي — تفسير الرازي — ٢٦/ ١٦٤ .

(٣) البيضاوي — تفسير البيضاوى — ٥/ ١١ ابو السعود — تفسير ابي السعود ٧/ ٢٠٥

(٤) الدكتور محمد عبدالمنعم القيمي — محاضرات في التفسير الموضوعي — ص ٣٥

قال الطبري (١) : وهو مليم مكتسب اللوم قد ألام الرجل اذا اتى ما يلام عليه من الامر وان لم يلم كما يقال اصبحت محمقا معطشا :

اى عندك الحمق والعطش ومنه قول لبيد (ابن ربيعة العامري)

سفها عذلت ولمت غير مليم وهداك قبل اليوم غير حكيم

ومعنى الآية كما قال الالوسي (٢) : اى ابتلعه من اللقمة وفي خبر أخرجه احمد وغيره عن ابن مسعود انه أتى قوما في سفينة فحملوه وعرفوه فلما دخلها ركدت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال ما بال سفينتكم قالوا ما ندري قال ولكني ادري ان فيها عبدا أبق من ربه وانها والله لا تسير حتى تلقوه قالوا اما انت والله يا نبي الله فلا نلقيك فقال لهم اقترعوا فمن قرع فليلق فاقترعوا ثلاث مرات وفي كل مرة تقع القرعة عليه فرمى بنفسه فكان ما قص الله تعالى وكيفية اقتراعهم على ما في البحر عن ابن مسعود انهم أخذوا لكل سهما على ان من طفا سهمه فهو ومن غرق سهمه فليس اياه فطفا سهم يونس وروي انه لما وقف على شفير السفينة ليرمي بنفسه رأى حوتا واسمه على ما اخرج ابن ابي حاتم وجماعة عن قتاده نجم قد رفع رأسه من الماء قدر ثلاثة اذرع يرقبه ويترصده فذهب الى ركن آخر فاستقبله الحوت فانتقل الى آخر فوجده وهكذا حتى استدار بالسفينة فلما رأى ذلك عرف انه امر من الله تعالى فطرح نفسه فأخذه قبل ان يصل الماء وهو مليم اى داخل في الملامة على ان بناء افعل للدخول في الشيء نحو احرم اذا دخل الحرم او آت بما يلام عليه على ان الهمزة فيه للصيروره نحو أغد البعير اي صار داغده فهو هنا لما أتى بما يستحق اللوم عليه صار ذا لوم او مليم نفسه على ان الهمزة منه للتعديه نحو اقدمته والمفعول محذوف وما روى عن ابن عباس ومجاهد من تفسيره بالمسيء والمذنب فبيان لحاصل المعنى وحسنات الابرار سيئات المقربين .

وقرئ مليم بفتح اوله اسم مفعول وقياسه ملوم لانه واوي يقال لمته الومه لوما لكنه جيء به على ليم كما قالوا مشيب ومدعي في مشوب ومدعو بناء على شيب ودعي وذلك انه لما قلبت الواو ياء في المجهول جعل كالاصل فحمل الوصف عليه .

---

(١) الطبري — تفسير الطبري — ٢٣/ ٩٩
(٢) الالوسي — روح المعاني — ٧/ ٣١٤

قال تعالى ( فلولا انه كان من المسبحين )

لولا هنا حرف امتناع لوجود اى لولا التسبيح موجود للبث في بطن الحوت

قال الطبري[١] : فلولا انه يعني يونس كان من المصلين لله قبل البلاء الذى ابتلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت ( للبث في بطنه الى يوم يبعثون ) يقول لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامه يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا لكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء فذكره الله في حال البلاء فانقذه ونجاه •

وقد اختلف اهل التأويل في وقت تسبيح يونس الذى ذكره الله به فقال ( فلولا انه كان من المسبحين ) قال بعضهم نحو الذى قلنا في ذلك وقالو مثل قولنا في معنى قوله من المسبحين قال قتاده : كان كثير الصلاة في الرخاء فنجاه الله بذلك • قال وقد كان يقال في الحكمة : ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا ما عثر فاذا صرع وجد متكئا • وجاء قول قتاده كذلك في كتاب الزهد للامام احمد بن حنبل ص ٣٤ • قال ابن عباس[٢] رضي الله تعالى عنهما من المصلين وعن سعيد بن جبير والسدي مثل ذلك عن ابي العاليه[٣] قال : كان له عمل صالح فيما خلا •

حدث ميمون بن مهران[٤] قال : سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة ان يونس كان عبدا لله ذاكرا فلما اصابته الشدة دعا الله فقال الله ( فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ) فذكره الله فيما كان منه وكان فرعون طاغيا باغيا فلما ادركه الغرق ( قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين[٥] آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين )[٦] •

---

(١) الطبري — تفسير الطبري — ٢٣/٩٩

(٢) الطبري — تفسير الطبري — ٢٣/١٠٠ بتصرف

(٣) هو رفيع بن مهران الرياحي ادرك الجاهلية واسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ودخل على ابي بكر وصلى خلف عمر وتوفي سنة ٩٣ هـ تهذيب التهذيب ٣/٢٨٤

(٤) هو ميمون بن مهران الرقي ابو ايوب ولد سنة ٣٧ هـ وتوفي سنة ١١٧ هـ فقيه من القضاة كان عالم الجزيرة وسيدها واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها وكان ثقة في الحديث الاعلام ٨/٣٠١

(٥) سورة يونس الاية ( ٩٠ ، ٩١ )

(٦) الطبري — تفسير الطبري — ٢٣ / ١٠٠

وقال بعضهم كان ذلك تسبيحا لا صلاة
قال الحسن(١) في قوله تعالى ( فلولا انه كان من المسبحين ) : فوالله ما كانت الا صلاة احدثها في بطن الحوت • وقال قتاده بعد ان انكر قول الحسن : كان والله يكثر الصلاة في الرخاء (٢)
قال سعيد(٣) بن جبير : فالتقمه الحوت وهو مليم قال قال : لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ) فلما قالها قذفه الحوت وهو مغرب •
عن انس(٤) بن مالك قال : ان يونس النبي حين بداء له ان يدعوا الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال اللهم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاقبلت الدعوه تحت العرش فقالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف في بلاد غريبة قال : اما تعرفون ذلك ؟ قالوا يارب ومن هو ؟ قال ذلك عبدي يونس قالوا : عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قالوا يارب اولا يرحم بما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟
قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء •

---

(١) هو الحسن بن ابي الحسن يسار البصري ولد سنة ٢١ هـ وتوفي سنة ١١٠هـ ولد في المدينة المنوره ونشأ بوادي القرى وسكن البصره قال ابن سعد كان الحسن جامعا عالما رفيعا فقيها مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحا جميلا وسيما
تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣ - ٢٧٠
(٢) الطبري - تفسير الطبري - ٢٣ / ١٠١
(٣) الطبري - تفسير الطبري - ٢٣/ ١٠١
(٤) الطبري - تفسير الطبري - ٢٣/ ١٠٠

قال الآلوسي (١) : اي من الذاكرين الله تعالى كثيرا بالتسبيح كما قيل وفي كلام قتادة ما يشعر باعتبار الكثرة واستفادتها على ما قال الخفاجي من جمله من المسبحين دون ان يقال مسبحا فانه يشعر بانه عريق فيهم منسوب اليهم معدود في عدادهم ومثله يستلزم الكثرة وقيل من التفعيل وردّ بان معنى سبح لم يعتبر فيه ذلك اذ هو قال سبحان الله وقد قال هي من ارادة الثبوت من المسبحين فانه يشعر بان التسبيح ديدن لهم والمراد بالتسبيح ههنا حقيقته وهو القول المذكور او ما في معناه . وروى ذلك عن ابن جبير وهذا الكون عند بعض قبل التقام الحوت اياه ايام الرخاء واستظهر ابو حيان انه في بطن الحوت وان التسبيح ما ذكره الله تعالى في قوله سبحانه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وحمله بعضهم على الذكر مطلقا وبعض آخر على العبادة وكذلك وجماعة منهم ابن عباس على الصلاة بل روى عنه انه قال كل ما في القرآن من التسبيح فهو بمعنى الصلاة وانت تعلم انه ان كان اللفظ فيما ذكر حقيقة شرعية ولم يكن للتسبيح حقيقة أخرى شرعية ايضا لم يحتج الى قرينة وان كان مجازا او كان للتسبيح حقيقة شرعية اخرى احتيج الى قرينة فان وجدت فذاك والا فالامر غير خفي عليك وكما اختلف في زمان التسبيح بالمعنى السابق اختلف في زمانه بالمعاني الأخر واخرج (٢) احمد في الزهد وغيره عن ابن جبير في قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين قال من المصلين قبل ان يدخل بطن الحوت واخرج احمد وغيره ايضا عن الحسن في الآية قال ما كان الا صلاة احدثها في بطن الحوت فذكر ذلك لقتادة فقال لا انما كان يعمل في الرخاء وروى عن الحسن غير ما ذكر فقد اخرج عنه ابن ابي حاتم والبيهقي (٣) في الشعب

---

(١) الآلوسي — روح المعاني — ٧/٣١٤ — ٣١٥

(٢) بحثت في كتاب الزهد للامام احمد بن حنبل عن قول ابن جبير ولم اعثر عليه ص ٣٤ — ٣٥

(٣) هو احمد بن الحسين بن علي من ائمة الحديث ولد في خسروجرد من قرى بيهق في نيسابور سنة ٣٨٤ هـ وتوفي في نيسابور سنة ٤٥٨ هـ قال امام الحرمين ما من شافعي الا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي فان له المنة والفضل عليه لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه .
وقال الذهبي لو شاء البيهقي ان يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومن مصنفاته السنن الكبرى والسنن الصغرى ودلائل النبوة . الاعلام ١/١١٣

والحاكم[١] انه قال في الآية[٢] كان يكثر الصلاة في الرخاء فلما حصل في بطن الحوت ظن انه الموت فحرك رجليه فاذا هي تتحرك فسجد وقال يارب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يسجد فيه احد واخرج ابن ابي شيبه[٣] عن الضحاك قال أذكروا الله تعالى في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس عليه السلام كان عبدا صالحا ذاكرا الله تعالى فلما وقع في بطن الحوت قال تعالى ( فلولا انه كان من المسبحين وان فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لذكر الله تعالى فلما ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين فقيل الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ) والاولى حمل زمان كونه من المسبحين على ما يعم زمان الرخاء وزمان كونه في بطن الحوت فان لاتصافه بذلك في كلا الزمانين مدخلا في خروجه من بطن الحوت المفهوم من قوله تعالى ( فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون )

والذى اراه في تفسير قوله تعالى ( فلولا كان من المسبحين ) اى الذاكرين الله تعالى كثيرا بالتسبيح والتقديس والتعظيم مدة عمره ولكونه كان مكثارا للصلاة في الرخاء قبل ان التقمه الحوت ولكن السبب المباشر في انقاذه من بطن الحوت هو قوله تعالى :

( لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ) ويعضد ما اقول قول الله تعالى[٤] ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ) حتى قال فاستجبنا له

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن حمدويه النيسابورى الشهير بالحاكم من اكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه ولد في نيسابور سنة ٣٢١ هـ وتوفي فيها سنة ٤٠٥ هـ وهو من اعلم الناس بصحيح الحديث ومن مؤلفاته المستدرك على الصحيحين الاعلام ١٠١/٧

(٢) اخرجه الحاكم في كتاب المستدرك على الصحيحين عن الحسن في كتاب التاريخ ٥٢٨/٢

(٣) هو عبدالله بن محمد بن ابي شيبه حافظ للحديث ولد سنة ١٥٩ وتوفي سنة ٢٣٥ هـ وله كتب منها المسند والمصنف في الحديث الاعلام ٢٦٠/٤

(٤) سورة الانبياء ـ الآية (٨٧)

وحديث انس(١) بن مالك المرفوع المتقدم(٢) وحديث ابي هريرة(٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( وسبح ( يونس ) في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا غريبا بارض غريبة فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال نعم فشفعوا له فأمر الحوت فقذفه في الساحل فذاك هو قوله (فنبذناه بالعراء ) .

قال تعالى ( للبث في بطنه الى يوم يبعثون ) اى لولا التسبيح للبث سيدنا يونس في بطن الحوت الى يوم القيامة وظاهر النص ان يبقى حيا .

قال الآلوسي : فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون : كما يشعر به ما في حديث أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن انس مرفوعا من انه عليه السلام لما التقمه الحوت وهوى به حتى انتهى الى ما انتهى من الارض سمع تسبيح الارض فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاقبلت الدعوة نحو العرش فقالت الملائكة يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا من بلاد غربة قال سبحانه وما تدرون ما ذاكم قالوا لا يا ربنا

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٣/١٠٠ في تفسير سورة الصافات وابن كثير في تفسير سورة الصافات ٤/٢١ وابن الاثير - الكامل - ١/٢١٠

(٢) الحديث المرفوع هو ما تنتهي اليه غاية الاسناد سواء كان ذلك الانتهاء باسناد متصل ام لا
نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٥٩

(٣) الرازي - تفسير الرازي - ٢٦/١٦٥ وابن كثير - قصص الانبياء - ١/٣٩٢ ، وقال ابن كثير : هذا لفظ ابن جرير اسنادا ومتنا ثم قال البزار لا نعلمه يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه بهذا الاسناد
تاريخ الامم والملوك ١/٤٦١ لابن جرير

قال ذاك عبدي يونس قالوا الذى كنا لا نزال نوفع له عملا ً متقبلا ً ودعوة مجابة قال نعم قالوا يا ربنا الا ترحم ما كان يصنع في الرخاء وتنجيه عند البلاء قال بلى فأمر عز وجل الحوت فلفظه واستظهر ابو حيان ان المراد بقوله سبحانه للبث في بطنه ليبقى في بطنه حيا الى يوم البعث وبه اقول وتعقب بانه يناقيه ما ورد من انه لا يبقى عند النفخة الاولى ذو روح من البشر والحيوان في البر والبحر واجيب بعد تسليم ورود ذلك او ما يدل عليه بانه مبالغة في طول المدة مع انه في حيز لو فلا يرد راسا او المراد بوقت البعث ما يشمل زمان النفخة لانه من مقدماته فكانه منه وعن قتاده لكان بطن الحوت قبرا له وظاهره انه اريد للبث ميتا في بطنه الى يوم البعث ولا مانع من بقاء بنية الحوت كبنية من غير تسلط البلاء الى ذلك اليوم وضمير يبعثون لغير مذكور وهو ظاهر .(١)

قال تعالى ( فنبذناه بالعراء وهو سقيم )

اى طرحناه في فضاء من الارض خالية عما يغطيها من شجر ونبت واضاف سبحانه النبذ لنفسه والنبذ انما حصل بفعل الحوت لان افعال العباد مخلوقة لله .

وقال ابو السعود(٢) : ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا . لم يثبت اسم القوم الذين كانوا معه في السفينة في كتاب ولا سنة

---

(١) اوانه يبقى حيا الى وقت النفخة ثم يموت مع من يموت ويبقى الى يوم البعث في بطن الحوت فلا اشكال . عبدالله نجل المصنف — ٣١٥/٧ الآلوسي — روح المعاني .

(٢) ابو السعود — تفسير ابي السعود — ٢٠٦/٧

وقال البيضاوي (١) : روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه • وأما ما جاء عن ابي السعود ففيه نظر لانه يخالف النص القرآني ففي القرآن قال وهو سقيم بينما في التفسير فلفظه سالما وقال الآلوسي (٢) قال الراغب (٣) النبذ القاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به والمراد به هنا الطرح والرمي والقيد الذى ذكره الراغب لا ارغب فيه فانه عليه السلام وان ابق وخرج من غير اذن مولاه واعتراه من تأديبه تعالى ما اعتراه فالرب عز وجل بأنبيائه رحيم وله سبحانه في كل شيء اعتداد بهم عظيم فهو عليه السلام معتد به في حال الالقاء وان كان ذلك بالعراء اى بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر ونبت يروى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس ويونس يسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه ورد بانه يأباه قوله تعالى فنادى في الظلمات واجيب بأنه بمجرد رفع رأسه للتنفس لا يخرج منها ثم ان هذا لئلا يختنق يونس او تنحصر نفسه بحكم العادة لا لمتنع دخول الماء جوف الحوت حتى يقال السمك لا يحتاج لذلك ومع هذا نحن لا نجزم بصحة الخبر فقد روى انه طاف به البحار كلها ثم نبذه على شط دجلة قريب نهنوى بكسر النون الاولى وضم الثانيه كما في الكشف من ارض الموصل والالتقام كان في دجلة ايضا على ما صرح به البعض وخالف فيه اهل الكتاب وسيأتي ان شاء الله تعالى نقل كلامهم لك في هذه القصة لتقف على ما فيه والظاهر ان الحوت من حيتان دجلة ايضا وقد شاهدنا فيها حيتانا عظيمة جدا وقيل كان من حيتان النيل •

---

(١) البيضاوي — تفسير البيضاوي — ١١/٥

(٢) الآلوسي — روح المعاني — ٣١٥/٧ — ٣١٦

(٣) هو ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني له التفسير الكبير في عشرة أسفار غاية في التحقيق وله مفردات القرآن لا نظير لها في معناها • البلغة — ص ٦٩

اخرج ابن ابي شيبة عن وهب انه جلس هو وطاوس (١) ونحوهما من اهل ذلك الزمان فذكروا أي امر الله تعالى أسرع فقال بعضهم قول الله تعالى كلمح البصر وقال بعضهم السرير حين اتي به سليمان وقال وهب أسرع امر الله تعالى ان يونس على حافة السفينة اذ اوحى الله سبحانه الى نون في نهل مصر فما خر من حافتها الا في جوفه ولا شبهة في ان قدرة الله عز وجل اعظم من ذلك لكن الشبهة في صحة الخبر .

سقيم : السقام والسُقم والسَّقيم المرض لغات مثل حُزن حَزَن والمراد به هنا عليل مما حل به حيث خرج من بطن الحوت كالفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش او صار كالصبي المنفوس مما ناله في جوف الحوت .

ونقل لنا الطبري (٢) ما قاله السدي في معنى سقيم قال كهيئة الصبي وعن ابن عباس قال : خرج به يعني الحوت حتى لفظه في ساحل البحر فطرحه مثل الصبي المنفوس لم ينقص من خلقه شيء .

وقال ابن زيد : ما لفظه الحوت حتى صار مثل الصبي المنفوس قد نشر اللحم والعظم فصار مثل الصبي المنفوس فالقاه في موضع وأنبت الله عليه شجرة من يقطين .

ونقل الرازي (٣) في تفسيره قول مجاهد فقال سقيم اى سليب .

وذكر الالوسي (٤) في تفسيره عن ابن جبير انه عليه السلام القي ولا شعر له ولا جلد ولا ظفر ولعل ذلك يستدعي بحكم العادة ان لمدة لبثه في بطن الحوت طولا ما .

---

(١) هو ابو عبد الرحمن طاووس بن كيسان اليماني الحميري وهو من كبار التابعين والعلماء والفضلاء والصالحين سمع ابن عباس وابن عمرو وجابرا وابا هريرة وزيد بن ثابت وعائشة رضي الله عنهم روى عنه ابنه عبد الله الصالح ومجاهد وعمرو بن دينار وخلائق من التابعين واتفقوا على جلالته ووفور علمه وحفظه وتثبته توفي بمكة سنة ١٠٦ هـ وكان له بضع وسبعون سنة تهذيب الاسماء واللغات الجزء الاول من القسم الاول ص ٢٥١

(٢) الطبري ـ جامع البيان ـ ٢٣ / ١٠٢ بتصرف

(٣) الرازي ـ تفسير الرازي ـ ٢٦ / ١٦٦

(٤) الالوسي ـ روح المعاني ـ ٧ / ٣١٦

ومن اللطائف التي تذكر في حق سيدنا يونس في هذا الموضع بالذات ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما[١] قال : كتب قيصر الى معاوية سلام عليك اما بعد فأنبئني بأحب كلمة الى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة ومن اكرم عباده اليه واكرم امائه ۰۰۰۰۰ وعن قبر يسير بصاحبه فلما قرأ كتابه قال اللهم العنه ما ادري ما هذا فارسل الي يسألني فقلت اما احب كلمة الى الله فلا اله الا الله لا يقبل عملا الا بها وهي المنجية والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق والثالثة الحمد لله كلمة الشكر والرابعة الله اكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود والخامسة لا حول ولا قوة الا بالله واما اكرم عباد الله اليه فآدم خلقه بيده وعلمه الاسماء كلها واكرم امائه مريم التي احصنت فرجها ۰۰۰ والقبر الذى سار بصاحبه فبطن الحوت الذى كان فيه يونس ۰

ولما خرج[٢] يونس من بطن الحوت أطال الصمت فقيل له الا تتكلم فقال : الكلام صيرني في بطن الحوت ۰

( وأنبتنا عليه شجرة من يقطين )

قال الآلوسي[٣] : اى انبتناها مظلة عليه مظلة له كالخيمة فعليه حال من شجره قدمت عليها لانها نكرة واليقطين بفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وزاد الطبرسي[٤] اقامة زائل لا اقامة راسخ ۰

---

(١) ابن قتيبة - عيون الاخبار - ١/١٩٩ - ٢٠٠
يوسف بن عبدالله القرطبي - بهجة المجالس وانس المجالس - ٢/١٥٥

(٢) يوسف بن عبدالله القرطبي - بهجة المجالس وانس المجالس - ١/٨٥
تحقيق محمد مرسي الخولى

(٣) الآلوسي - روح المعاني - ٣١٦/٧

(٤) هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي مفسر محقق لغوي من اجلاء الامامية نسبته الى طبرستان توفي سنة ٥٤٨ هـ له مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان الاعلام ٣٥٢/٥ - ٣٥٣

ذكر ابن جرير الطبري[1] اقوال العلماء في تفسير هذه الآية وبدأ بقول سعيد بن جبير

١. هو كل شيء ينبت على وجه الارض ليس له ساق .
٢. كل شيء ينبت ثم يموت من عامه .
٣. القرع
٤. اليقطين شجرة سماها الله يقطينا أظلته وليس بالقرع

وذكر عن ابن عباس ان معنى اليقطين القرع فقال : القرع وما يجعله احق من البطيخ رواية والقرع فقط رواية اخرى

وذكر عن مجاهد قولين :

١. قال : غير ذات اصل من الدباء او غيره من نحوه
٢. القرع

وذكر عن عبد الله بن مسعود انه قال في معنى اليقطين القرع

وذكر عن عمرو الاودي[2] : انه القرع

وعن قتادة : قال كنا نحدث انها الدباء هذا القرع الذى رأيتم أنبتها الله عليه يأكل منها .

وذكر عن الضحاك : انه القرع

وذكر عن ابن زيد : أنبت الله عليه شجرة من يقطين قال فكان لا يتناول منها ورقة فيأخذها الا اروته لبنا او قال شرب منها ما شاء حتى نبت

وعن السدي قال القرع والعرب تسمية الدباء .

---

(١) الطبرى ـ جامع البيان ـ ٢٣/١٠٢ ـ ١٠٣ بتصرف

(٢) هو ابو عبد الله عمرو بن ميمون الاودي الكوفي من اود بن صعب وهو معدود من كبار التابعين ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وسمع عمر بن الخطاب وسعد بن ابي وقاص وابن مسعود ومعاذا وابا ايوب وابن عباس وابا هريرة وغيرهم قال ابن معين هو ثقة وروى له البخارى ومسلم وتوفي سنة ٧٥ هـ
تهذيب الاسماء واللغات الجزء الثاني من القسم الاول ص ٣٤ ـ ٣٥

قال الزمخشري (١) : اليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدبّاء .

وقال البيضاوي (٢) : وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه ، شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه .

ونقل ابو السعود كلام البيضاوي بالضبط في تفسير هذه الآية

وقال ابن كثير (٣) : قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وعبد الله بن طاوس والسدى وقتاده والضحاك وعطاء الخرساني وغير واحد قالوا كلهم اليقطين هو القرع .

وقال علي المعروف بالخازن (٤) : يعني القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل انبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل .

وذكر الرازى في تفسيره (٥) قول المبرد والزجاج والفراء وقول الواحدي ولم يبد رايه في تفسير هذه الآية فقال قال : المبرد والزجاج : كل شجر لا يقوم على ساق وانما يمتد على وجه الارض فهو يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ قال الزجاج احسب اشتقاقها من قطن بالمكان اذا اقام به وهذا الشجر ورقه كله على وجه الارض فلذلك قيل له اليقطين .

روى الفراء انه قيل عن ابن عباس هو ورق القرع فقال ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقه اتسعت وسترت فهي يقطين .

قال الواحدي رحمه الله والاية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون احدهما ان هذا اليقطين لم يكن قبل فانبته الله لاجله والآخر ان اليقطين كان معروشا ليحصل له ظل لانه لو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به .

---

(١) الزمخشري ـ الكشاف ـ ٣٥٣/٣
(٢) البيضاوي ـ انوار التنزيل واسرار التأويل ـ ١١/٥
(٣) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ ٢١/٤
(٤) علي الخازن ـ تفسير الخازن ـ ٣١/٦
(٥) الرازى ـ تفسير الرازى ـ ١٦٦/٢٦

قال القرطبي (١) : شجرة من يقطين اليقطين شجرة الدبّاء : وقيل غيرها ذكره ابن الاعرابي (٢) وفي الخبر ( الدبّاء والبطيخ من الجنة )
وقال المبرد : يقال لكل شجرة ليس لها ساق يفترش ورقها على الارض يقطينة نحو الدبّاء والبطيخ والحنظل فأن كان لها ساق يقلها فهي شجرة فقط وان كانت قائمة اى بعروق تفترش فهي نجمة وجمعها نجم قال الله تعالى : (والنجم والشجر يسجدان) الرحمن ( ٦ ) وروى نحوه عن ابن عباس والحسن ومقاتل . قالوا كل نبت يمتد ويبسط على الارض ولا يبقى على استواء وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع والحنظل فهو يقطين .
وقال سعيد بن جبير هو كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فيدخل في هذا الموز . قلت وهو مماله ساق . الجوهري (٣) : واليقطين ما لا ساق له كشجر القرع ونحوه .
قال الآلوسي (٤) : واشتهر ان الشجر ما كان على ساق من عود فيشكل تفسير الشجرة هنا بالدبّاء واجاب ابو حيان بأنه يحتمل ان الله تعالى أنبتها على ساق لتظله خرقا للمادة وقال الكرماني العامة تخص الشجر بماله ساق وعند العرب كل شيء له ارومة تبقى فهو شجر وغيره نجم ويشهد له قول افصح الفصحاء صلى الله عليه وسلم شجرة الثوم .
واورد كثير من المفسرين الحديث التالي مع اختلاف بسيط في اللفظ والمعنى واحد .

---

(١) القرطبي — تفسير القرطبي — ١٥/١٢٩ بتصرف
(٢) هو عوف بن ابي جميلة البصري ابو سهل عرف بالاعرابي قال السمعاني ولم يكن اعرابيا روى عن ابي عثمان النهدي وابي العالية والحسن البصري وابن سيرين وغيرهم من التابعين وروى عنه الثوري وشعبه ومعتمر وابن المبارك واتفقوا على توثيقه ولد سنة ٥٩ هـ وتوفي سنة ١٤٦ هـ
تهذيب الاسماء واللغات — الجزء الثاني من القسم الاول ص ٤٠
(٣) هو طنطاوى بن جوهرى المصرى عالم فاضل له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة . ولد في مصر في قرية عوض الله حجازى . سنة ١٢٨٧ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ ومن اشهر مؤلفاته ( الجواهر في تفسير القرآن الكريم )( الاعلام ٣/٣٢٣—٣٢٤
(٤) الآلوسي — روح المعاني — ٧/٣١٦

واورد ابو السعود (١) : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانك تحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس • وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره •

وقال الآلوسي (٢) : وجاء في رواية عن ابي هريرة انه قال طرح بالعراء فانبت الله عليه يقطينة فقيل له ما اليقطينة قال شجرة الدباء هيأ الله تعالى له اروية وحشية تأكل خشاش الارض فتفشج عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبتت وقيل انه كان يستظل بالشجرة وتختلف اليه الاروية فيشرب من لبنها وفي بعض الآثار انها نبتت واظلته في يومها أخرج احمد في الزهد وغيره عن وهب انه لما خرج من البحر نام نومه فانبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين وهي الدباء فأظلته وبلغت في يومها فرآها قد اظلته ورأى خضرتها فاعجبته ثم نام نومة فاستيقظ فاذا هي يبست فجعل يحزن عليها فقيل له انت الذى لم تخلق ولم تسق ولم تنبت تحزن عليها وانا الذي خلقت مائة الف من الناس او يزيدون ثم رحمتهم فشق عليك وهؤلاء هم اهل نينوى المعنيون بقوله ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ) (٣)

وجاء في تفسير الخازن انه قيل : وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام ثم استيقظ وقد يبست الشجرة واصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي فأرسل الله تعالى اليه جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف من امتك قد اسلموا وتابوا •

---

(١) ابو السعود ـ تفسير ابو السعود ٢٠٦/٧ ـ البيضاوي ـ تفسير البيضاوي ٥/١١ الزمخشري ـ الكشاف ٣٥٣/٣

(٢) الآلوسي ـ روح المعاني ـ ٣١٦/٧

(٣) الخازن ـ تفسير الخازن ـ ٣١/٦ وجاء ذكر خبر وعلة في التفاسير التاليه ابو السعود ـ تفسير ابو السعود ـ ٢٠٦/٧ الزمخشري ـ الكشاف ـ ٣٥٣/٣ الآلوسي ـ روح المعاني ـ ٣١٦/٧ الا انه ذكر بدل الوعلة الارويه • السيوطي ـ تفسير الجلالين ـ ص٥٩٧

وخبر الوعلة اورده ابو السعود والزمخشري وفي نفس المعنى الآلوسي واورد القرطبي[(١)] والخازن وبعض المفسرين خبرا جاء فيه : قيل ما كان ثم يقطين فأنبته الله في الحال .

وجاء في تفسير القرطبي[(٢)] عن الثعلبي : كانت تظله ( اى اليقطينة فرأى خضرتها فأعجبته فيبست فجعل يتحزن عليها فقيل له : يا يونس انت الذى لم تخلق ولم تسق ولم تنبت تحزن على شجيرة فأنا الذى خلقت مائة الف من الناس او يزيدون تريد مني ان استأصلهم في ساعة واحدة وقد تابوا وتبت عليهم فأين رحمتي يا يونس انا ارحم الراحمين .

واورد القرطبي[(٣)] خبرا آخر قال : وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس وقال انس[(٤)] قدم للنبي صلى الله عليه وسلم مرق فيه دباء وقديد فجعل يتبع الدباء حوالي القصعة قال انس فلم ازل احب الدباء من يومئذ اخرجه الائمة .

والذى اراه في تفسير هذه الآية الكريمة ( وانبتنا عليه شجرة من يقطين ) نبت نبتا ونباتا المكان صار ذا نبت وانبت المكان اخرج النبات وعلى هنا للاستعلاء أي واخرجناها فوقه مظللة له واليقطين كل شجر لا يقوم على ساق نحو القرع والبطيخ والحنظل .

وذكر صاحب لسان العرب ان اليقطينة القرعة الرطبة .

---

(١) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ١٥/ ١٢٩ — ١٣٠ ، الخازن — تفسير الخازن — ٦/ ٣١ .

(٢) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ١٥/ ١٣٠

(٣) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ١٥/ ١٣٠

(٤) رواه البخارى في كتاب الاطعمة — باب من تتبع حوالي القصعة مع صاحبه ٦/ ١٩٧ وفي البيوع باب ذكر الخياط ، ومسلم رقم ( ٢٠٤١ ) في الاشربة — باب جواز اكل المرق استحباب اكل اليقطين ، وابو داود رقم ( ٣٧٨٢ ) في الاطعمة باب في اكل الدبّاء ، الترمذي في الاطعمة — باب ما جاء في اكل الدبّاء ، والموطأ في النكاح — باب ما جاء في الوليمة ، مصنف عبد الرزاق — باب الدبّاء ١٠/ ٤٤٨

وجاء عن كثير من السلف ان اليقطين القرع كما مر سابقا فلا حاجة لا عادته وقيل الدباء ولكن السدي ذكر ان اليقطين هو القرع ويسميه العرب الدبّاء ورب سائل يسأل فيقول لماذا أنبت الله عليه اليقطين وليس غيره واترك الاجابة هنا للامام ابن كثير ليبين بعض فوائد اليقطين قال ابن كثير (١): وذكر بعضهم في القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره ونعومته ولانه لا يقربها الذباب وجوده تغذية ثمره وانه يأكل نيئا ومطبوخا بلبه وقشره ايضا ٠

وذكر الآلوسي (٢) فوائد اخرى بعد ان ذكر اقوال السلف في معنى اليقطين فقال: والمراد به على ما جاء عن الحسن السبط وابن عباس في رواية وابن مسعود وابي هريرة وعمرو بن ميمون وعكرمة وابن جبير ومجاهد في احدى الروايتين عنهما الدباء وهو القرع المعروف وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه وأنبتها الله تعالى مظلة عليه لانها تجمع خصالا برد الظل والملمس وعظم الورق وان الذباب لا يقع عليها على ما قيل وكان عليه السلام لرقة جلده بمكثه في بطن الحوت يؤذيه الذباب ومماسة ما فيه خشونة ويؤلمه حر الشمس ويستطيب بارد الظل فلطف الله تعالى به بذلك وذكر ان ورق القرع انفع شيء لمن ينسلخ جلده ٠

ومن بدائع صنع الله ان الله جعل تلك الشجرة كالفراش المبثوث من جهة وكالخيمة عليه من جهة ثانية وصدق الشاعر امية بن ابي الصلت القائل (٣):

| | |
|---|---|
| الى الله أهدى مدحتي وثنائيا | وقولا رصينا لايني الدهر باقيا |
| الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه | الاه ولا رب يكون مدانيا الى ان يقول |
| وانت بفضل منك نجيت يونسا | وقد بات في اضعاف حوت لياليا |
| فأنبت يقطينا عليه برحمة | من الله لولا الله القي ضاحيا |

---

(١) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ ٤/ ٢١ ـ ٢٢

(٢) الآلوسي ـ روح المعاني ـ ج ٧ / ٣١٦

(٣) بهجت عبد الغفور الحديثي ـ ديوان امية بن ابي الصلت ص ٣٦٨ ـ ٣٧١ وذكرت هذه الابيات تحت عنوان الشعر المنسوب قديما اليه والى غيره وذكر في كتاب الفرج بعد الشدة ١/ ١٨ انه قاله قبل الاسلام ١/ ١٨

وبعد ان انعم الله عليه بالنجاة من بطن الحوت ، حفته الملائكة وانبت الله عليه شجرة اليقطين فاستظل بظلها الوارف وأكل من ثمرها وتمتع بجمالها وبهائها وهب عليه النسيم العليل وحنت اليه بعض الحيوانات فيشرب من البانها بكرة وعشيا وكان لسان حاله يقول كما يقول الشاعر

تلك الطبيعة قف بنا ياساري حتى أريك بديع صنع الباري
الارض حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيات والآثاري

ولكن لابد لكل شمس من غروب وذلك بعد ان طاب جلده وعادت اليه صحته كما كان قيض الله لتلك الشجرة دابة الارض فجعلت تقرض عروقها وصار ورقها يتساقط حتى افضت اليه الشمس فحزن على الشجرة حزنا شديدا واشتكى الى الله من حر الشمس فجاءه النداء من علياء السماء يا يونس جزعت من حر الشمس وحزنت على شجرة لم يكن لك فيها تعب لا في انباتها ولا في سقيها ولا تحزن على مائة الف من امتك قد اسلموا وتابوا الى وندموا على ما فعلوا .

قال تعالى ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون )

قال الزمخشري (١) : ( وارسلناه الى مائة الف ) المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم . وقيل اسلموا فسألوه ان يرجع اليهم فأبى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم : ان الله باعث اليكم نبيا . ( او يزيدون ) في مرأى الناظر اى اذا رآها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين .

وقال البيضاوي (٢) : هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او يزيدون والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو .

فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره ( فمتعناهم الى حين ) الى أجلهم المسمى .

قال الطبري في تفسيره (٣) : يقول تعالى ذكره فارسلنا يونس الى مائة الف من الناس او يزيدون على مائة الف وذكر عن ابن عباس ممنى قوله ( او ) بل يزيدون .

واورد الطبري روايات كثيرة في تفسير هذه الآية .

١. عن ابن عباس قال بل يزيدون كانو مائة الف وثلاثين الفا

٢. عن سعيد بن جبير قال يزيدون سبعين الفا وقد كان العذاب ارسل عليهم فلما فرقوا بين النساء واولادها والبهائم واولادها وعجّوا الى الله كشف عنهم العذاب وامطرت السماء دما .

---

(١) الزمخشري ـ الكشاف ـ ٣/٣٥٣ ـ ٣٥٤

(٢) البيضاوي ـ انوار التنزيل ـ ٥/١١

(٣) الطبري ـ جامع البيان ـ ٢٣/١٠٤ بتصرف

٥٣ عن ابي بن كعب (١) انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ) •

قال يزيدون عشرون الفا •

وكان بعض اهل العربية من اهل البصرة يقول في ذلك معناه الى مائة الف او كانوا يزيدون عندكم يقول كذلك كانوا عندكم وانما عنى بقوله ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ) انه ارسله الى قومه الذين وعدهم العذاب فلما اظلهم تابوا فكشف الله عنهم وقيل انهم اهل نينوى

وعن قتادة ارسل الى اهل نينوى من ارض الموصل قال قال الحسن بعثه الله قبل ان يصيبه ما اصابه فآمنوا فمتعناهم الى حين •

وعن مجاهد قال : قوم يونس الذين ارسل اليهم قبل ان يلتقمه الحوت قال ابن جرير (٢) : وقيل ان يونس ارسل الى اهل نينوى بعد ما نبذه الحوت بالعراء وسرد اقوال من قال بذلك •

٥١ عن شهر بن حوشب (٣) قال : اتاه جبريل يعني يونس وقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد حضرهم قال : التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك قال التمس حذاء قال الامر اعجل من ذلك قال فغضب فانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست السفينة

---

(١) اخرجه الترمذي رقم (٣٢٢٧) في التفسير — باب ومن سورة الصافات وقال هذا حديث غريب واورده السيوطي في كتابه الدر المنثور في تفسير نفس الاية وزاد نسبته لابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه واورده ابن جرير الطبري هنا في سنده مجهول وضعيف جامع الاصول — ٢/٣٣٤ تحقيق عبد القادر الارناؤوط •

(٢) ابن جرير الطبري — جامع البيان — ٢٣/١٠٥ بتصرف

(٣) هو ابو سعيد شهر بن حوشب الاشعري روى عن مولاته اسماء بنت يزيد بن السكن وام سلمة زوج النبي وابي هريرة وعائشة وام حبيبة وبلال المؤذن وتميم الداري وسلمان وابي ذر وغيرهم قال عنه النسائي ليس بالقوي وقال موسى بن هارون ضعيف وقال حرب بن اسمعيل عن احمد ما احسن حديثه ووثقه وقال عباس الدوري عن ابن معين ثبت وقال ابو زرعة لا بأس به وقال البزار لا نعلم احد ترك الرواية عنه غير شعبة وقال ابو جعفر الطبري كان فقيها قارئا عالما وقال البيهقي ضعيف وقال ابن حزم ساقط وقال ابن حبان كان ممن يروي عن الثقات المعضلات وقال الحاكم ليس بالقوي • تهذيب التهذيب — ٤/٣٦٩ — ٣٧٢

لا تقدم ولا تؤخر قال فتساهموا قال فسهم فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودي الحوت ايا حوت انا لم نجعل يونس لك رزقا انما جعلناك له حرزا او مسجدا قال فالتقمه الحوت فانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الايلة (١) ثم انطلق به حتى مر به على دجلة ثم انطلق به حتى القاه في نينوى .

واخرج ابن جرير (٢) عن ابن عباس قال : انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت وقوله ( فآمنوا ) يقول فوجدوا الله الذى ارسل اليهم يونس وصدقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله .

وقوله ( فمتعناهم الى حين ) يقول فاخرنا عنهم العذاب ومتعناهم الى حين بحياتهم الى بلوغ اجالهم من الموت وبنحو الذى قلنا ( اى قول ابن جرير ) قال اهل التأويل عن قتادة فمتعناهم الى حين الموت . وعن السدّي قال الموت .

قال ابو حيان (٣) : وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال الجمهور رسالته هذه هي الاولى التي ابق بعدها ذكرها آخر القصص تنبيها على رسالته ويدل عليه فآمنوا فمتعناهم وتمتيع تلك الامة هو الذى اغضب يونس عليه السلام حتى آبق .

---

(١) هي بلدة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر المتوسط بين مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين دمشق نحو اثنتي عشرة مرحلة وبينها وبين مصر نحو ثماني مراحل
القسم الثاني من تهذيب الاسماء واللغات ص ١٩

(٢) ابن جرير ـ جامع البيان ـ ١٠٥/٢٣ بتصرف

(٣) ابو حيان ـ البحر المحيط ـ ٣٧٦/٧

قال القرطبي (١) : في تفسير قوله تعالى ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ) قد تقدم عن ابن عباس ان رسالة يونس عليه السلام انما كانت بعد ما نبذه الحوت وليس له طريق الاعن شهر بن حوشب وقال النحاس واجود منه اسنادا واصح ما جاء عن عبد الله بن مسعود في بيت المال عن يونس النبي صلى الله عليه وسلم : قال ان يونس وعد قومه العذاب واخبرهم ان يأتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وخرجوا فجأروا الى الله عز وجل واستغفروا فكف الله عز وجل عنهم العذاب وغدا يونس عليه السلام ينتظر العذاب فلم ير شيئا وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فخرج يونس مغاضبا فأتى قوما في سفينة فحملوه وعرفوه فلما دخل السفينة ركدت السفينة والسفن تسير يمينا وشمالا فقالوا : ما لسفينتكم ؟ فقالوا : لا ندرى فقال يونس عليه السلام : ان فيها عبدا ابقا من ربه جل وعز وانها لن تسير حتى تلقوه قالوا اما انت يا نبي الله فانا لا نلقيك قال : فاقترعوا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس فأبوا ان يدعوه قال : فاقترعوا ثلاثا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس ثلاث مرات او قال ثلاثا فوقع وقد وكل الله به جل وعز حوتا فابتلعه وهو يهوى به الى قرار الارض فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصى (٢) ( فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ) قال : ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت . قال ( فنبذناه بالعراء وهو سقيم ) قال : كهيئة الفرخ الممعوط الذى ليس عليه ريش . قال : وانبت الله عليه شجرة من يقطين فنبتت فكان يستظل بها ويصيب منها فيبست فبكى عليها فاوحى الله جل وعز إليه : اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان تهلكهم قال : وخرج رسول الله يونس فاذا هو بغلام يرعى ، قال يا غلام من انت ؟ قال من قوم يونس قال : فاذا جئت اليهم فأخبرهم انك قد لقيت يونس قال : ان كنت يونس فقد علمت انه من كذب قتل اذا لم تكن له بينة فمن يشهد لي ؟ قال : هذه الشجرة وهذه البقعة . قال : فمرهما فقال لهما يونس : اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له قالتا نعم . قال فرجع الغلام الى قومه وكان في منعة وكان له اخوة

---

(١) القرطبي — الجامع لاحكام القران — ١٥/ص ١٣٠ — ١٣١

(٢) سورة الانبياء — الاية ٨٧

فاتى الملك فقال : اني قد لقيت يونس وهو يقرأ عليك السلام . قال فامر
به ان يقتل فقالوا : ان له بينة فأرسلوا معه . فأتى الشجرة والبقعة
فقال لهما : نشدتكما بالله جل وعز أتشهدان اني لقيت يونس؟ قالتا
نعم قال : فرجع القوم مذعورين يقولون له : شهدت له الشجرة والارض
فأتوا الملك فاخبروه بما رأوا . قال عبدالله : فتناول الملك يد الغلام فأجلسه
مجلسه وقال : انت احق بهذا المكان مني . قال عبدالله فاقام لهم ذلك
الغلام أمرهم اربعين سنة قال ابو جعفر النحاس : فقد تبين في هذا
الحديث ان يونس كان قد ارسل قبل ان يلتقمه الحوت بهذا الاسناد الذي
لا يؤخذ بالقياس . وقال القرطبي : وفيه ايضا من الفائدة ان قوم يونس
آمنو وندموا قبل ان يروا العذاب لان فيه انه اخبرهم انه يأتيهم العذاب
الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والد وولدها وضجوا ضجة واحدة الى الله
عز وجل وهذا هو الصحيح في الباب وانه لم يكن حكم الله عز وجل فيه
كحكمه في غيرهم في قوله عز وجل (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
بأسنا (١)

قال الآلوسي (٢) : والارسال على ما اخرج غير واحد عن مجاهد والحسن
وقتاده وهو الارسال الاول الذى كان قبل ان يلتقمه الحوت
فالعطف على قوله تعالى (وان يونس لمن المرسلين) على سبيل البيان
لدلالته على ابتداء الحال وانتهائه وعلى ما هو المقصود من الارسال من
الايمان واعترض بينهما بقصته اعتناء بها لغرابتها واورد عليه انه يأبى
عن حمله على الارسال الاول الفاء في قوله تعالى (فآمنوا) فان أولئك
لم يؤمنوا عقيب ارساله الاول بل بعد ما فارقهم واجيب بانه تعقيب عرفي
نحو تزوج فولد له وقيل الاقرب ان الفاء للتفصيل او السببية وقيل هو
ارسال ثان اليهم بعد ان اصابه ما اصابه فالعطف على ما عنده واورد عليه ان المروى
انهم بعد مفارقته لهم رأوا العذاب او خافوه فآمنوا فقوله تعالى فآمنوا
في النظم الجليل هنا يأبى عن حمله على ارسال ثان واجيب بانه يجوز
ان يكون الايمان المقرون بحرف التعقيب ايمانا مخصوصا او ان آمنوا بتأويل

---

(١) سورة غافر الآية ٨٥ .
(٢) الآلوسي - روح المعاني - ٧/ ٣١٦ - ٣١٧

اخلصوا الايمان وجددوه لان الاول كان ايمان بأس وقيل هو ارسال الى غيرهم وقيل ان الاولين بعد ان آمنوا سألوه ان يرجع اليهم فأبى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله تعالى باعث اليكم نبيا .

قال الخازن[1] ( وارسلناه الى مائة الف ) قيل ارسل الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه ما اصابه والمعنى كنا ارسلناه الى مائة الف فلما خرج من بطن الحوت أمر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين .

او يزيدون : قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل او على اصلها والمعنى او يزيدون في تقدير الرائي اذا رآهم قال هؤلاء مائة الف او يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول واما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا ويعضده ما روى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ، وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا .

قال ابن كثير[2] : واختلفوا في الزيادة فعن مكحول عشرة آلاف وروى الترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم من حديث زهير عمن سمع ابا العالية حدثني أبي بن كعب انه سأل رسول الله عن قوله ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ) قال يزيدون عشرين الفا فلولا هذا الرجل المبهم لكان هذا الحديث فاصلا في هذا الباب

---

(١) الخازن - تفسير الخازن - ٦/٣١ - ٣٢

(٢) ابن كثير - قصص القرآن - ١/ ٣٨٨

قال ابن هشام (١) : ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ) فقال الفراء

بل يزيدون هكذا جاء التفسير مع صحته في العربية ٠

وقال بعض الكوفيين : بمعنى الواو وللبصريين فيها اقوال قيل للابهام وقيل للتخيير أى اذ رآهم الرائي تخير بين ان يقول هم مائة الف او يقول هم اكثر نقله ابن الشجرى (٢) عن سيبويه وفي ثبوته عنه نظر ولا يصح التخيير بين شيئين الواقع احدهما وقيل هي للشك مصروفا الى الرائي ذكره ابن جني وهذه الاقوال غير القول بانها بمعنى الواو مقولة في (وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب) (٣) ،( فهي كالحجارة او اشد قسوة ) ٠

قال الآلوسي (٤) : وأو على ما نقل عن ابن عباس بمعنى بل وقيل بمعنى الواو وبها قرأ جعفر بن محمد (٥) رضي الله تعالى عنهما وقيل للابهام على المخاطب وقال المبرد وكثير من البصريين للشك نظرا الى الناظر من البشر على معنى من راهم شك في عددهم وقال مائة الف او يزيدون والمقصود بيان كثرتهم او ان الزيادة ليست كثيرة كثرة مفرطة كما يقال هم الف وزيادة وقال ابن كمال المراد يزيدون باعتبار آخر وذلك ان المكلفون بالفعل منهم كانوا مائة الف واذا ضم اليه المراهقون الذين بصدد التكليف كانوا اكثر ومن ههنا ظهر وجه التعبير بصيغة التجدد دون الثبات ٠

---

(١) ابن هشام ـ مغني اللبيب ـ ١/ ٦٣

(٢) هو ابو السعادات هبة الله بن علي الحسني كان اماما في النحو واللغة طال عمره وكثر تلاميذه وكان نقيب الطالبيين قرأ عليه ابن الخشاب وامثاله وصنف في النحو مصنفات واحلى كتابا سماه الامالي نفيس فيه غريب العربيه ولد سنة ٤٥٠ هـ في بغداد وتوفي فيها سنة ٥٤٢ هـ
البلغة ص ٢٧٨ والاعلام ٩/ ٦٢

(٣) سورة النحل الآية (٧٧)

(٤) الآلوسي ـ روح المعاني ـ ٧/ ٢١٧ وقال ابن قتيبة انها بمعنى الواو وتقديره ويزيدون ـ ابن الجوزى ـ التبصره ص ٣٢٨

(٥) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي ابو عبدالله الملقب بالصادق ولد سنة ٨٠ هـ في المدينة المنوره وتوفي فيها سنة ١٤٨ هـ وله منزلة رفيعة في العلم ولقب بالصادق لانه لم يعرف عنه الكذب قط الاعلام ٢/ ١٢١

وتعقب بانه مع ان المناسب له الواو تكلف ركيك واقرب منه ان الزيادة بحسب الارسال الثاني ويناسبه صيغة التجدد وان كانت للفاصلة وهو معطوف على جملة ارسلناه بتقديرهم يزيدون لا على مائة بتقدير اشخاص يزيدون او تجريدة للمصدرية فانه ضعيف . ثم ذكر ماروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابي بن كعب

قال تعالى ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ) .

والذى اراه ان ارسال يونس كان قبل ان يلتقمه الحوت والنص معنا يؤكد ما اقول حيث قال تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق واذ هنا بمعنى حين فيكون المعنى وان يونس لمن المرسلين حين ابق الى الفلك لا سيما وان يونس عليه السلام ارسله الله من الشام الى اهل نينوى فدعاهم الى الايمان بالله ونبذ عبادة الاصنام والاوثان فلما وجد ان شجرة دعوته لم تثمر وقوبل بالسخرية والكبرياء والتكذيب فر منهم بعد ان وعدهم العذاب فلو لم يكن مرسلا لما هرب ولما كلف نفسه هذا العناء ولما حل بقومه ما حل كما قال تعالى ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ) ومعنى ارسلناه اى وكنا ارسلناه الى مائة الف او يزيدون ولما انجاه الله من بطن الحوت امره ان يرجع اليهم ويدل على هذا حديث ابن مسعود الذى اورده القرطبي في تفسيره والالوسي كذلك .

قال الرازى (١) : يحتمل ان يكون المراد وارسلناه قبل ان يلتقمه الحوت على هذا الارسال وان ذكر بعد الالتقام فالمراد به التقديم والواو معناها الجمع ويحتمل ان يكون المراد به الارسال بعد الالتقام عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كانت رسالة يونس عليه السلام بعد ما نبذه الحوت وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون ارسل الى قوم آخرين سوى القوم الاول ويجوز ان يكون ارسل الى الاولين ثانيا بشريعة فآمنوا بها .

---

(١) الرازى — تفسير الرازى — ٢٦ / ١٦٦

وارى ان في قول ابن عباس نظر لانه لم يأت هذا الحديث الا عن طريق شهر بن حوشب واورد النحاس حديث ابن مسعود اجود من الاول اسنادا واصح كما مر سابقا •

او يزيدون : قيل او للتخيير وهذا باطل لانه لا يصح التخيير بين شيئين الواقع احدهما وقيل او للشك : وذلك على الله تعالى محال ولكن القائل بهذا يؤول فيقول او يزيدون في تقديركم بمعنى اذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة الف او يزيدون على المائة وترى ما فيه من تكلف وقيل للابهام على المخاطب ولكن ما الفائدة من ذكرها ان كانت للابهام واما قول من قال او بمعنى ( الواو ) نجد ان قول الله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون يكون ركيكا ولو قال فارسلناه الى مائة الف ويزيدون فلو كان احدهما بمعنى الآخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان وارسلناه الى اكثر من مائتي الف اخصر وارى ان او بمعنى بل ورب معترض فيقول ان بل للاضراب عن الاول والايجاب لما بعده وتعالى الله عز وجل عن ذلك او خروج من شيء الى شيء وليس هذا موضع ذلك ولكن ارى ان الله لا يريد ان يبين العدد نفسه وانما اراد الانتقال الى غرض آخر وهو بيان الكثرة الذين ارسل اليهم يونس عليه السلام والزيادة هي عشرون الفا كما جاء ذلك عن أبي بن كعب في الحديث الذى اخرجه الترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه وان كان فيه مقال كما تقدم •

( فآمنوا فمتعناهم الى حين )

فآمنوا بعدما رأوا أمارات العذاب فمتعهم الله الى زمن انقضاء آجالهم •

## الاحكام المستفادة من هذه الآيات

قال القرطبي[١] : ففي هذا من الفقه ان القرعة كانت معمولا بها في شرع من قبلنا وجاءت في شرعنا على ما تقدم في آل عمران[٢] قال تعالى ( وما كنت لديهم ) اى وما كنت يا محمد لديهم اى بحضرتهم وعندهم ( اذ يلقون اقلامهم ) جمع قلم من قلمه اذا قطعه قيل قداحهم وسهامهم وقيل اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة وهو اجود لأن الازلام قد نهى الله عنها فقال ( ذلكم فسق ) الا انه يجوز ان يكونوا فعلوا ذلك على غير الجهة التي كانت عليها الجاهلية تفعلها ايهم يكفل مريم أى يحضنها فقال زكريا أنا احق بها خالتها عندى .
قال ابن العربي[٣] : وقد وردت القرعة في الشرع في ثلاثة مواطن .
الاول : كان النبي[٤] صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه

---

(١) القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن ـ ١٥/ ١٢٥

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ( ٤٤ )

(٣) هو ابو بكر محمد بن عبدالله بن محمد الاشبيلي المالكي قاضى ، من حفاظ الحديث ، ولد في اشبيليه سنة ( ٤٦٨ هـ ) ومات بقرب فاس ودفن بها سنة ( ٥٤٠ ) هـ وبلغ رتبه الاجتهاد في علوم الدين من كتبه ( العواصم من القواصم ) وعارضة الاحوذى في شرح الترمذى واحكام القران      الاعلام ٧/ ١٠٦

(٤) اخرجه البخارى ـ ٦/ ١٥٤ في كتاب النكاح ـ باب القرعة بين النساء عن عائشة رضي الله عنها . والامام مسلم في كتاب التوبة ـ ٤/ ٢١٣٠ رقم الحديث ( ٢٧٧٠ ) باب في حديث الافك وقبول توبة القاذف .

الثاني : ان النبي (١) صلى الله عليه وسلم رفع اليه رجلا اعتق ستة أعبد لا مال له غيرهم فاقرع بينهم فاعتق اثنين وارق اربعة

الثالث : ان رجلين (٢) اختصما اليه في مواريث قد درست فقال اذهبا وتوخيا الحق واستهما وليحلل كل واحد منكما صاحبه فهذه ثلاثة مواطن وهي القسم في النكاح والعتق والقسمة وجريان القرعة فيها لرفع الاشكال وحسم داء التشهي واختلف علماؤنا في القرعة بين الزوجات في الغزو على قولين الصحيح منها الاقراع وبه قال فقهاء الامصار وذلك ان السفر بجميعهن لا يمكن واختيار واحدة منهن ايثار فلم يبق الا القرعة وكذلك في مسألة الا عبد الستة فان كل اثنين منها ثلث وهو القدر الذى يجوز له فيه العتق في مرض الموت وتعيينها بالتشهي لا يجوز شرعا فلم يبق الا القرعة وكذلك التشاجر اذا وقع في اعيان المواريث لم يميز الحق الا القرعة فصارت اصلا في تعيين المستحق اذا اشكل .

قال : والحق عندي ان تجرى في كل مشكل فذلك أبين لها واقوى لفصل الحكم منها واجلى لرفع الاشكال عنها ولذلك قلنا : ان القرعة بين الزوجات في الطلاق كالقرعة بين الاماء في العتق .

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الايمان ٣ / ١٢٨٨ رقم الحديث ( ١٦٦٨ ) باب من اعتق شركا له في عبده والموطأ ٢ / ٧٧٤ في العتق باب من اعتق رقيقا لا يملك مالا غيره والترمذى رقم ( ١٣٦٤ ) في الاحكام ـ باب ما جاء في من يعتق مماليكه عند موته وليس له مال غيرهم ، وابو داود رقم ٣٩٥٨ ـ ٣٩٥٩ ـ ٣٩٦٠ ـ ٣٩٦١ في العتق ـ باب فيمن اعتق عبيدا له لم يبلغهم الثلث والنسائي ٤ / ٦٤ في الجنائز ـ باب الصلاة على من يحيف في وصيته .

(٢) رواه البخارى عن ابي هريرة في كتاب الشهادات باب اذا تسارع قوم في اليمين وابو داود ( ٣٦١٦ ) و ( ٣٦١٧ ) و ( ٣٦١٨ ) في الاقضية باب الرجلين يدعيان شيئا وليست لهما بينة .

الاقتراع على القاء الآدمي في البحر لا يجوز وانما كان ذلك في يونس وزمانه مقدمه لتحقيق برهانه وزيادة في ايمانه فانه لا يجوز لمن كان عاصيا ان يقتل ولا يرمى به في النار والبحر وانما تجرى عليه الحدود والتعزير على مقدار جنايته وقد ظن بعض الناس ان البحر اذا هال على القوم فاضطروا الى تخفيف السفينة ان القرعة تضرب عليهم فيطرح بعضهم تخفيفا وهذا فاسد فانها لا تخف برمي بعض الرجال وانما ذلك في الاموال ولكنهم يصبرون على قضاء الله عز وجل .

# التـــــوراة

## ســـــفر الجامعـــــه

## يونـــــان

(١)
### الاصحاح الاول

وصار قول الرب الى يونان بن امتاى قائلا قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لانه قد صعد شرهم امامـــي •

فقام يونان ليهرب الى ترشيش من وجه الرب فنزل الى يافا ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فدفع اجرتها ونزل فيها ليذهب معهم الى ترشيش من وجه الرب •

فارسل الرب ريحا شديدة الى البحر فحدث نوء عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد الى الهه وطرحوا الامتعة التي في السفينة الى البحر ليخففوا عنهم واما يونان فكان قد نزل الى جوف السفينة واضطجع ونام نوما ثقيلا فجاء اليه رئيس النوتية وقال له مالك نائما قم اصرخ الى الهك عسى ان يفتكر الاله فينا فلا نهلك وقال بعضهم لبعض هلمّ نلقي قرعا لنعرف بسبب من هذه البلية فالقوا قرعا فوقعت القرعة على يونان •

فقالوا له اخبرنا بسبب من هذه المصيبة علينا ما هو عملك ومن اين أتيت ما هي ارضك ومن اى شعب انت فقال لهم انا عبراني وانا خائف من الرّب اله السماء الذى صنع البحر والبر فخاف الرجال خوفا عظيما وقالوا له لماذا فعلت هذا فان الرجال عرفوا انه هارب من وجه الرب لانه اخبرهم فقالوا له ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا لان البحر كان يزداد اضطرابا فقال لهم خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم لانني عالم انه بسببي هذا النوء العظيم عليكـــم •

ولكن الرجال جذفوا ليرجعوا السفينة الى البر فلم يستطيعوا لان البحر كان يزداد اضطرابا عليهم فصرخوا الى الرب وقالوا آه يا ربّ لا نهلك من اجل نفس هذا الرجل ولا

---

(١) الكتاب المقدس العهد القديم ( التوراة ) ص١٣١٥ — ١٣١٨
وقد ترجم من اللغات الاصلية وهي العبرانية والكلدانية واللغة اليونانية وانتشر على يد جمعية التوراة البريطانية والاجنبيـــة •

ولا تجعل علينا دما بريئا لانك يارب فعلت كما شئت ثم اخذوا يونان وطرحوه في البحر فوقف البحر عن هيجانه فخاف الرجال من الرب خوفا عظيما وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذورا واما الرب فاعد حوتا عظيما ليبتلع يونان فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليال •

## الاصحاح الثاني

فصلى يونان الى الرب الهه من جوف الحوت وقال دعوت من ضيقي الرب فاستجابني صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي لانك طرحتني في العمق في قلب البحار فأحاط بي نهر جازت فوقي جميع تياراتك ولججك فقلت قد طردت من امام عينيك ولكنني اعود انظر الى هيكل قدسك قد اكتنفتني مياه الى النفس أحاط بي غمر التف عشب البحر براسي نزلت الى أسافل الجبال مغاليق الارض على الى الابد ثم اصعدت من الوهدة حياتي ايها الرب الهي حين أعيت في نفسي ذكرت الرب فجاءت اليك صلاتي الى هيكل قدسك الذين يراعون اباطيل كاذبة يتركون نعمتهم اما انا فبصوت الحمد أذبح لك واوفي بما نذرته للرب الخلاص •

وامر الرب الحوت فقذف يونان الى البر

## الاصحاح الثالث

ثم صار قول الرب الى يونان ثانية قائلا قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة وناد لها المناداة التي انا مكلمك بها •
فقام يونان وذهب الى نينوى بحسب قول الرب اما نينوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة ايام فابتدا يونان يدخل المدينة مسيرة يوم واحد ونادى وقال بعد اربعين يوما تنقلب نينوى •
فآمن اهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم الى صغيرهم وبلغ الامر ملك نينوى فقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد ونودى وقيل في نينوى عن امر الملك وعظمائه قائلا لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئا لا ترع ولا تشرب ماء وليتغط بمسوح الناس والبهائم ويصرخوا الى الله بشدة ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذي في ايديهم لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك فلما رأى الله اعمالهم انهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم ان يصنعه بهم فلم يصنعه •

## الاصحاح الرابع

فغم ذلك يونان غما شديدا فاغتاظ وصلّى الى الرب وقال آه يارب اليس هذا كلامي اذ كنت بعد في ارضي لذلك بادرت الى الهرب الى ترشيش لاني علمت انك اله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر فالآن يارب خذ نفسي مني لان موتي خير من حياتي فقال الرب هل اغتظت بالصواب وخرج يونان من المدينة وجلس شرقي المدينة وصنع لنفسه هناك مظلة وجلس تحتها في الظل حتى يرى ماذا يحدث في المدينة فاعدّ الرب الاله يقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلا على رأسه لكي يخلصه من غمّه ففرح يونان من اجل اليقطينة فرحا عظيما •

ثم اعد الله دودة عند طلوع الفجر في الغد فضربت اليقطينة فيبست وحدث عند طلوع الشمس ان الله اعد ريحا شرقية حارّة فضربت الشمس على رأس يونان فذبل فطلب لنفسه الموت وقال موتي خير من حياتي فقال الله ليونان هل اغتظت بالصواب من اجل اليقطينة فقال اغتظت بالصواب حتى الموت فقال الرب انت شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها التي بنت ليلة كانت وبنت ليله هلكت أفلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها اكثر من اثنتي عشره ربوة من الناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيره •

انجيل برنابا (١) :

الفصل الثالث والستون : وبعد ايام مر يسوع بجانب مدينة للسامريين فلم يأذنوا له ان يدخل المدينة ولم يبيعوا خبزا لتلاميذه فقال يعقوب ويوحنا عندئذ ( يا معلم الا تريد ان نضرع الى الله ليرسل نارا من السماء على هؤلاء الناس ؟
اجاب يسوع ( انكم تعلمون اى روح يدفعكم لتتكلموا هكذا اذكروا ان الله عزم على اهلاك نينوى لانه لم يجد احدا يخاف الله في تلك المدينة التي بلغ من شرها ان دعا الله يونان النبي ليرسله الى تلك المدينة فحاول الهرب الى طرسوس خوفا من الشعب فطرحه الله في البحر فابتلعته سمكة وقذفته على مقربة من نينوى فلما بشر هناك تحول الشعب الى التوبة فرأف الله بهم
انجيل لوقا (٢) اية يونان الفصل ( ١١ )
وازدحمت الجموع فاخذ يقول ان هذا الجيل جيل فاسد يطلب اية ولا يجعل له سوى اية يونان فكما كان يونان اية لاهل نينوى فكذلك يكون ابن الانسان
اية لهذا الجيل ملكه الجنوب تقوم يوم الدين مع اهل هذا الجيل وتحكم عليهم لانها جاءت من اقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان وههنا اعظم من سليمان اهل نينوى يقومون يوم الدين مع هذا الجيل ويحكمون عليه لانهم تابوا بانذار يونان وههنا اعظم من يونان .

---

(١) انجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعاده عن الانكليزية وقدمه محمد رشيد رضا مطبعة محمد علي صبيح واولاده بالازهر ص ٩٦ — ٩٧

(٢) الكتاب المقدس العهد الجديد — انجيل لوقا — الفصل (١١) ص ٢١٦

(١)
انجيل متى - الفصل (١٢) النبي يونان : ثم كلمه بعض الكتبة والفريسيين فقالوا يا معلم نريد أن نرى منك آية فاجابهم جيل فاسق يطلب آية ولن يجعل له سوى آية النبي يونان فكما بقى يونان في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليال فكذلك يبقى الانسان في جوف الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال اهل نينوى يقومون يوم الدين مع هذا الجيل ويحكمون عليه لانهم تابوا بانذار يونان وههنا اعظم من يونان ملكة الجنوب ستقوم يوم الدين مع هذا الجيل وتحكم عليه لانها جاءت من اقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان وههنا اعظم من سليمان !

والحق ما جاء في القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى تعهد تعالى بحفظه فقال (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (٢)

---

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد - انجيل متى - الفصل (١٢) ص٤٢ المطبعة الكاثوليكية - بيروت - الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩ م .

(٢) سورة الحجر - الآية (٩)

الرد على الشبهتين اللتين وردتا في قاموس الكتاب المقدس ودائرة المعارف البريطانية .

الشبهة الاولى : وهي ان قصة يونس اسطورة ترمز عن مهاجمة اسرائيل ودحرها وقهرها في ذلك العصر بواسطة الوثنيين والكفار وان افعوان بابل الاسطورى غالبا ما يشار اليه او يكنى عنه في العهد القديم والحرب والقتال ضد ذلك الافعوان الاسطورى ( السمكة الكبيره ) جعلها العبريون لتمثل قتال الرب اللامتناهي ضد الشر وضد كل اعداء شعبه المختار

يتضح لنا مما تقدم ان قصة يونس بنظر القاموس قصة رمزية خيالية غير حقيقية جيء بها لبيان محبة الله لشعبه المختار وهم اليهود وان ذكر الحوت هنا لا يراد به الحقيقة وانما يراد به الشر وهذا مما لا شك فيه يخالف ويعارض ما ذكره الله في القرآن الكريم وكذلك يخالف ما جاء بكتاب يونان في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد كما مر بنا قبل قليل ويخالف ما اثر عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم في بيان مكانة يونس وفضله وان المراد بالحوت السمكة الكبيره حقيقة وليس الشر كما زعم اليهود والنصارى .

واما الشبهة الثانية : وهي ان يونس غضب اذ انه لم يرد ان تندم نينوى فتنجو من العذاب لهذا جرى بعيدا لان النبي الذى يحذر من الكارثة هو دائما يدعو للتوبة والندم ولكن يونس لا يزال يرجو حلول الكارثة او العذاب .

وللاجابة على هذه الشبهة يجب ان نعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يريدون لاقوامهم او اممهم الا الخير والفلاح في الدنيا والآخره ولم يبعثهم الله الى البشر الا بعد ان يصفيهم من الاكدار ويملأ قلوبهم من الانوار والاسرار وان يونس عليه السلام من اولئك البرره الذين لا يريدون من اقوامهم الا التوبة الى الله والاعتصام بالله والتمسك بمبادئ الدين الحنيف وان الله قد طهر قلبه من الحقد والحسد فلا يرجو لاحد الكارثة لانه يعلم ان الله بعثه داعية ورحمة ولم يبعثه طاغية ونقمة .

## العبـــــــر والعظـــــــات

١) ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد يصدر منهم ما يوجب العتاب واللوم وذلك بسبب اجتهادهم ان لم يصيبوا الهدف .

٢) ان الانبياء قد يتعرضون للتأديب الرباني اذا صدر منهم شيء بخلاف الناس العاديين لان حسنات الابرار سيئات المقربين كما قيل

٣) في هذه الآيات مفاتيح الفرج لان من عرف ربه بالرخاء عرفه ربه في الشدة .

٤) ذكر هنا فوائد عديدة لشجرة اليقطين منها انها انفع شيء لمن ينسلخ جلده وان فيها ثمرا يحتوى على غذاء كامل للانسان وان ورقه في غاية النعومة وكثير وظليل .

٥) يجب على الانسان ان يتحلى بالصبر عند البلاء .

٦) في هذه الآيات عبر وحكم اهمها ان الله لا يضيع احدا ' وانه أرأف بالانسان وأحن عليه من والديه كيف لا والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء (١) .

---

(١) اخرجه الترمذى رقم ١٩٢٥ في كتاب البر والصلة — باب في رحمة الناس .
عن عبدالله بن عمرو بن العاص وابو داود رقم ٤٩٤١ في الادب باب في الرحمة ( وهو حديث صحيح بشواهده انظر مجمع الزوائد ٨/١٨٧ )

## سورة الانبياء

قال تعالى [١] : ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين )

المناسبة بين هاتين الآيتين والآيات التي وردت في سورة الصافات انه تعالى لما ذكر في الآيات السابقة ان يونس عليه السلام أبق من قومه الى الفلك والتقمه الحوت وهو مليم جاء النص الثاني يبين سبب لومه وهو مغاضبته لقومه واعقب ذلك بيان ظن يونس ان الله لن يضيق عليه فلما علم يونس ان ما اصابه تأديب رباني استغاث بالله ودعاه فاستجاب الله دعاءه وكشف غمه .

---

(١) سورة الانبياء الآية ( ٨٧ ، ٨٨ )

قال تعالى ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه )

وذا : معناها صاحب والنون : هي الحوت وقد مر ذكر الفرق بين ذى وصاحب وذلك بان ذى ابلغ من صاحب لاقتضائها تعظيم المضاف اليها والموصوف بها ويمكن مراجعته عند تفسير قوله تعالى : ولا تكن كصاحب الحوت •

قال الآلوسي (١) : والنون الحوت ويجمع على نينان كما في البحر وانوان ايضا كما في القاموس •

واذ ظرف بمعنى حين

مغاضبا : قيل فيها أقوال كثيرة اذكرها وابين الراجح منها •

ذكر الطبري (٢) في تفسيره عن ابن عباس قوله مغاضبا : يقول غضب على قومه وذكر عن الضحاك يقول في قوله ( اذ ذهب مغاضبا ) اما غضبه فكان على قومه وذكر روايه أخرى عن ابن عباس قال فيها : بعثه الله يعني يونس الى اهل قريته فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك اوحى الله اليه اني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا فاخرج من بين اظهرهم فاعلم قومه الذى وعده الله من عذابه اياهم فقالوا : ارمقوه فان خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبحها أدلج ورآه القوم فخرجوا من القرية الى براز من أرضهم وفرّقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله فاستقالوه فأقالهم وتنظر يونس الخبر عن القرية واهلها حتى مرّ به مار فقال : ما فعل اهل القرية ؟ فقال فعلوا ان نبيهم خرج من بين اظهرهم عرفوا انه صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من قريتهم الى براز من الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها وعجوا الى الله وتابوا اليه فقبل منهم وأخّر عنهم العذاب قال :

---

(١) الآلوسي — روح المعاني — ٥/٢٨٣

(٢) الطبري — جامع البيان — ١٧/٧٦ — ٧٧ بتصرف

فقال يونس عند ذلك وغضب والله لا ارجع اليهم كذابا أبدا وعدتهم العذاب في يوم ثم رد عنهم ومضى على وجهه مغاضبا .

وارى ان في هذه الرواية نظرا لانها تعارض المفهوم من عصمة الانبياء ففيها الاذن الصريح بالخروج من بين اظهرهم فلم وقع عليه اللوم بنص القرآن ولماذا التقمه الحوت وببعض الروايات ورد ذكر حبسه الأيشم من ذلك رائحة العقوبة او التأديب الرباني المحفوف بالمعجزة وكيف يخالف الرسول امر ربه بان يأمره بالعودة اليهم ويقسم بالله انه لا يرجع اليهم .

روى ابن جرير (١) عن سعيد بن ابي الحسن (٢) قال : بلغني ان يونس لما اصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان .

وسأرد على هذا القول مع من أخذ بعد سرد ما قيل في معنى مغاضبا وذكر ابن جرير ان الشعبي قال كذلك ( مغاضبا لربه ) .

وعن سعيد بن جبير قال فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيئا قال : جربوا على كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر .

وعن وهب بن منبه (٣) انه قال : ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه اثقال النبوه ولها اثقال لا يحملها الا قليل . تفسخ منها تفسخ الربع (٤) تحت الحمل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها

---

(١) الطبرى ـ جامع البيان ـ ١٧/٧٧ ـ ٧٨ بتصرف

(٢) هو سعيد بن ابي الحسن واسمه يسار الانصارى روى عن علي وابن عباس وعبد الرحمن ابن سمره وابن بكره الثقفي وابي هريرة وروى عنه اخوه الحسن وابنه يحيى ابن سعيد وقتاده وسليمان التيمي ومحمد بن واسع وابن عوف وايوب الاعمش وعوف الاعرابي وغيرهم قال ابو زرعة والنسائي ثقة وذكره خليفة في الطبقة الثانيه من قراء اهل البصرة وقال ابن حيان في الثقات مات بفارس سنة ١٠٨ هـ تهذيب التهذيب ٤/ ١٦ ـ ١٧

(٣) رواه ابن جرير الطبرى في تفسير سورة الانبياء ١٧/٧٧ والحاكم في كتاب التاريخ ٢/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥

(٤) تفسخ الربع : والربع هو ولد الناقة اول ما يحمل عليه او الذى يولد في الربيع فيكون صغيرا لا يستطيع الحمل .

يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ) : اى تلق امرى كما القاه وهذا القول اعني قول من قال : ذهب عن قومه مغاضبا لربه أشبه بتأويل الآية ، وذلك لدلالة قوله ( فظن ان لن نقدر عليه ) على ذلك على ان الذين وجهو تأويل ذلك الى انه ذهب مغاضبا لقومه انما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم ان يغاضب نبي من الانبياء ربه واستعظاما له .

وقال آخرون : بل انما غضب ربه من اجل انه امر بالمصير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسال ربه ان ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقيل له : الامر اسرع من ذلك ولم ينظر حتى شاء ان ينظر الى ان يأخذ نعلا " ليلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا ' في خلقه ضيق فقال : اعجلني ربي ان آخذ نعلا فذهب مغاضبا .

وممن ذكر هذا القول عنه الحسن البصرى . واختار الطبرى مغاضبا لربه عز وجل .

وذكر القرطبي (١) في تفسيره عن القتبي (٢) انه اختار مغاضبة يونس لربه عز وجل واستحسنه المهدوى وروى عن ابن مسعود .

وقال النحاس : وربما انكر هذا من لايعرف اللغة وهو قول صحيح والمعنى مغاضبا من اجل ربه كما تقول : غضبت لك اى من اجلك والمؤمن يغضب لله عز وجل إذا عصي .

---

(١) القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن ١١/٣٢٩ بتصرف

(٢) جاء في مغني اللبيب تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ان القتبي هو ابن قتيبه مرت ترجمته ص١٩٢ لابن هشام الانصارى

وقال الضحاك (١) : خرج مغاضبا لقومه لان قومه لما لم يقبلوا منه وهو رسول من الله عز وجل كفروا بهذا فوجب ان يغاضبهم وعلى كل احد ان يغاضب من عصى الله عز وجل .

وقالت فرقة منهم الاخفش (٢) : انما خرج مغاضبا للملك الذى كان على قومه . قال ابن عباس اراد شعيا النبي والملك الذى كان في وقته اسمه حزقيا ان يبعثوا يونس الى ملك نينوى وكان غزا بني اسرائيل وسبى الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني اسرائيل وكان الانبياء في ذلك الوقت يوحى اليهم والامر والسياسة الى ملك قد اختاروه فيعمل على وحي ذلك النبي وكان اوحى الله لشعيا : ان قل لحزقيا الملك ان يختار نبيا قويا أمينا من بني اسرائيل فيبعثه الى اهل نينوى فيأمرهم بالتخلية عن بني اسرائيل فانّي ملق في قلوب ملوكهم وجبابرتهم التخليه عنهم فقال يونس لشعيا : هل امرك الله باخراجي ؟ قال لا . قال : فهل سماني لك ؟ قال لا . قال فها هنا انبياء أمناء أقوياء . فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك وقومه فأتى بحر الروم وكان من قصته ما كان فابتلى ببطن الحوت لتركه امر شعيا ولهذا قال الله تعالى ( فالتقمه الحوت وهو مليم ) والمليم من فعل ما يلام عليه . وقال القرطبي : وكان ما فعله اما صغيره او ترك الاولى .

وقيل خرج ولم يكن نبيا في ذلك الوقت ولكن امره ملك من ملوك بني اسرائيل ان يأتي نينوى ليدعوا اهلها بامر شعيا فأنف ان يكون ذهابه اليهم بامر احد غير الله فخرج مغاضبا للملك . فلما نجا من بطن الحوت بعثه الله الى قومه فدعاهم وآمنوا به .

وقال القشيرى (٣) : والاظهر ان هذه المغاضبة كانت بعد ارسال الله تعالى اياه وبعد رفع العذاب عن القوم بعد ما اظلهم فانه كره رفع العذاب عنهم

وقال القرطبي (٤) : هذا احسن ما قيل فيه .

---

(١) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ١١/٣٣٠
(٢) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ١١/٣٣١
(٣) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ١١/٣٣١
(٤) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ١١/٣٣١

قال الامام الرازى في تفسيره : اختلفوا في ان وقوعه عليه السلام في بطن السمكة كان قبل اشتغاله بأداء رسالة الله تعالى اوبعده (اما القول الاول) فقال ابن عباس رضي الله عنه : كان يونس عليه السلام وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة أسباط ونصفا . وبقى سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيب النبي عليه السلام ان اذهب الى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا آمينا القي في قلوب اولئك ان يرسلوا معه بني اسرائيل . فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوى أمين فدعا الملك بيونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي ؟ قال لا ، قال فهل سماني لك ؟ قال لا ، قال فههنا آنبياء غيرى فالحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قوما هيأوا سفينة فركب معهم .... الخ .

اما القول الثاني : وهو ان قصة الحوت كانت بعد دعائه اهل نينوى وتبليغه رسالة الله اليهم قالوا : انهم لما لم يؤمنوا وعدهم بالعذاب فلما كشف العذاب عنهم بعدما توعدهم به خرج منهم مغاضبا ثم ذكروا في سبب الخروج والغضب امورا احدها انه استحى ان يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب وثانيها انه كان من عادتهم قتل الكاذب وثالثها انه دخلته الأنفة ورابعها لما لم ينزل العذاب باولئك واكثر العلماء على القول بان قصة الحوت وذهاب يونس عليه السلام مغاضبا بعد ان ارسله الله تعالى اليهم وبعد رفع العذاب عنهم .

---

(١) الرازى ـ تفسير الرازى ـ ٢١٢/٢٢ ان رواية ابن عباس ذكراها الالوسي والخازن .
الخازن ـ تفسير الخازن ـ ٢٥٧/٤ ـ ٢٥٨
والالوسي ـ روح المعاني ـ ٣٨٣/٥ ـ ٣٨٤

(٢) الرازى ـ تفسير الرازى ـ ٢١٣/٢٢

وانني وان كنت عالجت موضوع رسالة يونس هل كانت قبل التقام الحوت ام بعده واصبح هنا مكررا ولكنني رأيت هنا انه يتعلق بتفسير مغاضبا اكثر والصق من ارسال يونس عليه السلام .

وقال ابو السعود والبيضاوى (١) : اى مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المفاعلة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا .

قال الزمخشرى (٢) : برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العذاب عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا .

وقال الآلوسي (٣) : اى غضبان على قومه لشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مع طول دعوته اياهم وكان ذهابه هذا هجرة عنهم لكنه لم يؤمر به وقيل غضبان على الملك حزقيل .

---

(١) ابو السعود - تفسير ابي السعود - ٨٢/٦
البيضاوى - تفسير البيضاوى - ٤٥/٤
(٢) الزمخشرى - الكشاف - ٥٨١/٢
(٣) الآلوسي - روح المعاني - ٣٨٣/٥

وقال السيوطي (المحلي) (١): اذ ذهب مغاضبا لقومه اى غضبا ن عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك .

قال ابن الجوزى (٢): فان قيل فلمن غاضب ؟ فالجواب انه غاضب قومه قبل التوبة واشتهى ان ينزل بهم العذاب لما عانى من تكذيبهم فعوتب على كراهية العفو عنهم فلما ركب السفينة وقفت فقال ما لسفينتكم ؟ قالوا لا ندرى قال : لكني ادرى فيها عبد أبق من ربه وانها والله لا تسير حتى تلقوه .

قال ابن كثير (٣): والمقصود انه عليه السلام لما ذهب مغاضبا بسبب قومه ركب سفينة في البحر فلجت بهم واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها وكادوا يغرقون .

---

(١) السيوطي (المحلي) — تفسير الجلالين ص ٤٣٥

(٢) ابن الجوزي — التبصره — ص ٣٢٧

(٣) ابن كثير — قصص الانبياء — ١/ ٣٨٨

وابدأ بعون الله بمناقشة ما قيل في تفسير قوله تعالى ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا ) وابدأ بقول من قال مغاضبا لربه عز وجل وارى ان هذا القول باطل لان مغاضبة الله من اعظم الذنوب بل كفر لا ريب فيه وان مثل هذه الصفة لا تلق بالانسان العادى فضلا عن ان يكون نبيا هذا من جهة ومن جهة اخرى كيف يختار الله رسولا يجهل اوليات او بديهيات الايمان وهي ان الامر والنهي ملك لله وكيف يجرأ النبي او الرسول على مخالفة أمر الله قال تعالى (١) : ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ) .

وعند ما افلس التاجر فتش في دفاتره القديمة فجاء النحاس وقال وبما انكر هذا ( يعني مغاضبة الرب ) من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح والمعنى مغاضبا من اجل ربه كما تقول غضبت لك اى من اجلك .

تحذف بنظر الدكتور الراوي

واقول للنحاس ولمن نحا نحوه اذا كان الامر كما قلت فلماذا حبسه الله في بطن الحوت ونادى لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين .

وقال تعالى (٢) : ( فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ) فهل احكم الحاكمين يقابل احسان يونس وغضبته له بهذه المقابلة .

وقال عبدالوهاب النجار (٣) : وفي اعتقادى ان يونس كلف بالذهاب الى اولئك القوم عقيب نبوته ولم يكن قد مرن على النبوة وواجباتها وآداب اهلها لان العلم بذلك يستدعي مدة وتكرر الوحي والازدياد من معرفة الله والارتياض على تلقي الوحي وتلقينه فحداثته في النبوة هي التي خيلت اليه ما قلناه من انه خيل اليه انه بابتعاده وتغربه في البلاد ربما استتبع اعفاءه من تلك المأمورية أضيفوا الى ذلك انه كان حديث السن فقد اورد الآلوسي في تفسيره ( ان سنه كانت ثمانية وعشرين سنة ومن كان حديث العهد بالنبوة وفي مثل سن يونس يغفر الله لهم بعض ما عملوه عمن غير تمرد وقصد جازم الى المعصية ) .

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٣٦

(٢) سورة الصافات الآية ( ١٤٣ ، ١٤٤ )

(٣) عبدالوهاب النجار — قصص الانبياء — ص٣٥٢

ونقل الشيخ عبدالوهاب النجار (١) نقد اللجنة (٢) لما قاله وهذا نصه

( ان جاز للمؤرخ ان يحلل حادثة تاريخية حدثت من آحاد الناس بمثل هذا التعليل — كأن يقول السبب في انهزام الجيش الفلاني ان قائده لم يكن قد مرن على قيادة الجيوش • او السبب في احتلال نظام الدولة الفلانية في عهد ملكها فلان ان ذلك الملك كان حديث السن لم يكن قد مرن على ادارة المملكة — فلا يجوز قطعا مثل هذا التعليل في حق الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اذا ورد عن واحد منهم ما يوهم تقصيرا بل يجب ان يفهم ذلك على وجه لا يتنافى مع ما قام عليه البرهان القطعي من وجوب عصمتهم خصوصا في مقام تبليغ رسالة ربهم الى الامم التي ارسلوا اليها • ومن الواضح الذى لا يختلف فيه اثنان من المسلمين ان الانبياء والرسل ليسوا كآحاد الناس بل هم أفضل منهم جميعا لانهم انبياء الله ورسله اصطفاهم لهداية خلقه واختارهم لأداء رسالته وهو سبحانه وتعالى اعلم حيث يجعل رسالته فكيف يصح ان يقال بل كيف يصح ان يخطر على البال او يمر على الخيال ان يونس عليه الصلاة والسلام لحداثته في النبوة وعدم مرونه عليها وعلى واجباتها وآدابها خيل اليه انه بابتعاده وتغربه في البلاد ربما استتبع اعفاءه من تلك المأمورية ؟ ومعنى ذلك ان الله ارسله لقوم فترك تبليغهم الرسالة وفر هاربا في البلاد وظن لحداثته في النبوة وعدم مرونه على واجباتها انه بهروبه (كذا) قد يعفى من الرسالة نستغفرك اللهم ونتوب اليك سبحانك هذا بهتان عظيم •

---

(١) عبدالوهاب النجار — قصص الانبياء — ص ٣٥٣ — ٣٥٤

(٢) اللجنة التي قامت بنقد الكتاب بناء على تكليف من الازهر

لا يصح ان يقال في حق اى شخص له شرف كلف باى مأموريه من اى رئيس الا في مقام الذم والاستهجان الذى يجب ان تنزه عنه ساحة الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لو جاز مثل هذا التعليل في حق يونس عليه الصلاة والسلام الذى ورد في شأنه عن النبي (١) صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى أخرجه البخارى (٢) ومثله في مسلم (٣) بمعناه لجاز ان يقع نظيره من كل رسول فان كل واحد منهم في مبدأ رسالته يصح — على هذا الرأى — ان يقال انه لم يكن قد مرن على الرساله فيجوز ان يترك تبليغ الامه الموصل اليها بمجرد توهم لحوق كذا الأذى منهم او لحوقه كذا منهم بالفعل ولا نعتقد ان احدا من المسلمين يجوز مثل هذا على احد من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وارى ان اللجنة جزاها الله خيرا لم تدع لي مجالا للرد او الكلام فكان ردها شافيا وكافيا ليس على الشيخ عبد الوهاب فحسب بل وعلى وهب بن منبه ومن نحا نحوهم .

---

(١) لم يرد هذا الحديث بهذا اللفظ لا في البخارى ولا في مسلم بل بصيغ اخرى سبق ان ذكرتها وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث — من الباب الاول في فضائل سيدنا يونس عليه السلام .

(٢) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم صاحب الصحيح والتصانيف المفيدة في الحديث ورجاله ولد سنة ١٩٤ هـ وتوفي سنة ٢٥٦ هـ تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٥ .

(٣) هو ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ولد سنة ٢٠٤ هـ وتوفي سنة ٢٦١ هـ صاحب الصحيح تهذيب التهذيب ١٠/١٢٦ — ١٢٨ .

واما من قال خرج مغاضبا للملك كقول الاخفش وغيره : ففيه نظرا لان رواية ابن عباس غير ثابتة اصلا لان الله ان اراد ان يأمر نبيا بأمر ما اوحى اليه نفسه لا ان يأمر نبيا او ان يأمر ملكا لابلاغه بما يريد ومما يؤيد ما اقول انه عندما ذهب الى ملك اهل نينوى والتقى به قال لملكهم ان الله تعالى ارسلني اليك فارسل معي بني اسرائيل قالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا وقد اتيناكم في دياركم وسبيناكم فلو كان الامر كما تقول لمنعنا الله تعالى عنكم فطاف فيهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فابوا عليه فاوحى الله اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب واقول لماذا لم يوح اليه اولا من قبل الله تعالى واوحى اليه بعد ذلك هذا من جهة ومن جهة اخرى عارض هذا الخبر فارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا مع العلم ان الفاء عند البعض تفيد الترتيب والتعقيب .

اما ما قاله الشيخ عبدالوهاب النجار في كتابه قصص الانبياء (١) ( وقد علم اهل التاريخ انه لم يكن في بني اسرائيل ملك اسمه حزقيل ) فهذا خطأ ومن اراد التأكد فيرجع الى مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لمؤلفه طه باقر والى مقارنة الاديان للدكتور احمد شلبي ولكتاب التوراة والتاريخ للأب عما نوئيل واما ما ورد من ان ملك سبى من بني اسرائيل تسعة اسباط ونصف فالحديث غير ثابت وذلك لان السبي ليس خاصا بل عاما فلماذا سبى قسما وترك قسما آخر . والذي اراه : ان المغاضبة هي المفاعلة من الغضب والمفاعلة تكون من اثنين غضبت فلانا مغاضبة وتغاضبنا اذا غضب كل واحد منّا على صاحبه فانه عليه الصلاة والسلام غضب على قومه لعدم ايمانهم بما جاء به وهم غضبوا عليه عندما تركهم فخافوا لحوق العذاب بهم واما ما قاله الالوسي (٢) مغاضبا على الحال وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكا نحو عاقبت اللص وسافرت وكانه استعمل ذلك هنا للمبالغة وقيل المفاعلة على ظاهرها كانه عليه السلام غضب على قومه لكفرهم وهم غضبوا عليه للذهاب لخوفهم لحوق العذاب ولكن الحمل على الظاهر اولى الا اذا تعذر وهنا لا ارى تعذرا في الحمل على الظاهر اذ هنا مقامان اولهما غضبه على قومه من اجل الله وهو محسن في ذلك والمقام الثاني أنه لم يصبر على تحمل مغاضبة قومه له ففر بعيدا عنهم معتقدا ان الله لن يضيق عليه فيحبسه في قرية لكن العدل الالهي نظر الى كل من المقامين وجازاه على كل مقام بما يناسبه فلما لم يتحمل البقاء في قرية حبس في اضيق منها لانه لم يصبر ولما كان غضبه على قومه من اجل الله وهو محسن في ذلك وسع الله عليه واستجاب دعاءه ونجاه من الغم .

---

(١) عبدالوهاب النجار — قصص الانبياء — ص ٣٥٧
(٢) الالوسي — روح المعاني — ٣٨٤/٥

قال تعالى ( فظن ان لن نقدر عليه ) .

قال الامام الرازى (١) : ان نقول من ظن عجز الله تعالى فهو كافر ولا خلاف انه لا يجوز نسبه ذلك الى آحاد المؤمنين فكيف الى الانبياء عليهم السلام فاذن لابد فيه من التأويل وفيه وجوه أحدها ( فظن ان لن نقدر عليه ) لن نضيق عليه وهو كقوله تعالى ( الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ) اى يضيق ( ومن قدر عليه رزقه ) اى ضيق واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اى ضيق ومعناه ان لن نضيق عليه واعلم ان على هذا التأويل تصير الآية حجة لنا وذلك لان يونس عليه السلام ظن انه مخير ان شاء أقام وان شاء خرج وانه تعالى لا يضيق عليه في اختياره وكان في المعلوم ان الصلاح في تأخر خروجه وهذا من الله تعالى بيان لما يجرى مجرى العذر له من حيث خرج لا على تعمد المعصية لكن لظنه ان الامر في خروجه موسع يجوز ان يقدم ويؤخر وكان الصلاح خلاف ذلك .

وثانيها : ان يكون هذا من باب التمثيل بمعنى فكانت حالته مثلة بحالة من ظن ان لن نقدر عليه في خروجه من قومه من غير انتظار لأمر الله تعالى .

وثالثها : ان تفسير القدره بالقضاء فالمعنى فظن ان لن نقضي عليه بشده وهو قول مجاهد وقتاده والضحاك والكلبي ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهم واختيار الفراء والزجاج قال الزجاج نقدر بمعنى نقدر يقال قدر الله الشيء قدرا وقدره تقديرا فالقدر بمعنى التقدير وقرا عمر بن عبدالعزيز والزهرى ( فظن ان لن نقدر عليه ) بضم النون والتشديد من التقدير وقرأ عبيد بن عمر بالتشديد على المجهول وقرأ يعقوب يقدر عليه بالتخفيف على المجهول وروى انه دخل ابن عباس رضي الله عنهما على معاويه رضي الله عنه فقال معاوية لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك فقال : وما هي ؟ قال يظن نبي الله ان لن يقدر الله عليه ؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما هذا من القدر لا من القدره .

---

(١) الرازى ـ تفسير الرازى ـ ٢١٥/٢٢

ورابعها : فظن ان لن نقدر عليه اى فظن ان لن نفعل لان بين القدره والفعل مناسبة فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن الاخر .

وخامسها : انه استفهام بمعنى التوبيخ معناه افظن ان لن نقدر عليه عن ابن زيد .

وسادسها : ان على قول من يقول هذه الواقعة كانت قبل رسالة يونس عليه السلام كان هذا الظن حاصلا قبل الرسالة ولا يبعد في حق غير الانبياء والرسل ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم انه يرده بالحجة والبرهان .

وقال القرطبي(١): قيل معناه استزله ابليس ووقع في ظنه امكان الا يقدر الله عليه بمعاقبته وهذا قول مردود مرغوب عنه لانه كفر روى عن سعيد بن جبير حكاه عنه المهدوى والثعلبي عن الحسن وذكر الثعلبي وقال عطاء وسعيد بن جبير وكثير من العلماء معناه فظن ان لن نضيق عليه قال الحسن هو من قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق وقوله ومن قدر عليه رزقه .

قلت وهذا الاشبه بقول سعيد والحسن وقدر وقدر وقتر وقتر بمعنى اى ضيق وهو قول ابن عباس فيما ذكره الماوردى والمهدوى وقيل : هو من القدر الذى هو القضاء والحكم اى فظن ان لن نقضي عليه بالعقوبة قاله قتادة ومجاهد والفراء مأخوذ من القدر وهو الحكم دون القدره والاستطاعة وروى عن ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب انه قال في قول الله عز وجل ( فظن ان لن نقدر عليه ) وهو من التقدير ليس من القدره ويقال منه قدّر الله لك الخير يقدره قدرا بمعنى قدر الله لك الخير وانشد ثعلب :

فليست عشيات اللوى برواجع ... لنا ابدا ما اورق السلم النضر
ولا عائد ذاك الزمان الذى مضى ... تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

يعني ما تقدره وتقضي به يقع .

---

(١) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ١١/ ٣٣١ — ٣٣٢

قال البيضاوي (١) : لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا اولن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا او خطره شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمجهول وقرئ به مثقلا .

قال ابن كثير (٢) : اى نضيق عليه في بطن الحوت يروى هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى (٣) ( ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا ) وقال عطيه العوفي (٤) اى فظن ان لن نقدر عليه اى نقضي عليه كأنه جعل ذلك بمعنى التقدير فان العرب تقول قدر وقدّر بمعنى واحد وقال الشاعر .

فلا عائد ذاك الزمان الذى مضى تباركت ما تقدر يكن ذلك الامر

ومنه قوله تعالى ( فالتقى الماء على امر قد قدر ) اى قدّر .

---

(١) البيضاوي ـ أنوار التنزيل ـ ٤/٤٥

(٢) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ ٣/١٩٢

(٣) سورة الطلاق الآية ( ٧ )

(٤) هو ابو الحسن عطية بن سعد بن جناده العوفي روى عن كثير من الصحابة توفي سنة ١١١ هـ في الكوفة
تهذيب التهذيب ٧/٢٢٤

وقال الآلوسي (١) : اى انه اى الشأن لن نقدر ونقضي عليه بعقوبة ونحوها او لن نضيق عليه في أمره بحبس ونحوه ويؤيد الاول قراءة عمر بن عبد العزيز (٢) والزهري (٣) نقدّر بالنون ضمه وفتح القاف وكسر الدال مشددة وقراءة علي كرم الله وجهه واليماني يقدر بضم الياء وفتح القاف والدال المشددة فان الفعل فيهما من التقدير بمعنى القضاء والحكم كما هو مشهور ويجوز ان يكون بمعنى التضييق فانه ورد بهذا المعنى كما ذكره الراغب .

والذى يقتضيه منهج البحث الصحيح هو ان استعرض معاني كلمات قدر اولا ثم ابين الرأى المختار جاء في المعجم (٤) : قدر عليه قدارة تمكن منه وقدر الشيء قدرا بين مقداره ويقال قدر فلانا اى عظمه وفي التنزيل (وما قدروا الله حق قدره) (٥) وقدر جمله بقدر ويقال قدر الامر دبره وفكر في تسويته وقدر الشيء بالشيء قاسه به وجمله على مقداره وقدر الله الامر على فلان جمله له وحكم عليه وقدر الرزق عليه ضيقه وفي التنزيل (واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) (٦) .

---

(١) الآلوسي — روح المعاني — ٥/٣٨٤

(٢) هو ابو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الخليفة الراشد العادل سمع انس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام وروى عن خولة بنت حكيم وسمع جماعات من التابعين منهم سعيد بن المسيب وعروة والربيع بن سبره والزهري روى عنه خلائق من التابعين منهم ابو سلمه بن عبد الرحمن ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن المنكدر واجمعوا على جلالته وفضله ووفور علمه وصلاحه وزهده وورعه وشفقته على المسلمين توفي سنة ١٠١ هـ تهذيب الاسماء واللغات الجزء الثاني من القسم الاول ص١٧ — ٢٤

(٣) هو محمد بن عبد الله بن شهاب الزهري كان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيها جامعا . تهذيب التهذيب ٩/١٤٥ـ١٥١

(٤) المعجم الوسيط — اشراف عبد السلام هارون — ٢/٧٢٥

(٥) سورة الانعام الآية (٩١)

(٦) سورة الفجر الآية (١٦)

ويتضح لنا مما تقدم ان المعنيين الآخرين هما المناسبان فقط لاننا لو فسرنا فظن ان لن نقدر عليه بعدم التمكن منه او القدرة عليه لصار معنى النص فظن يونس ان الله لا قدرة له عليه ولأن من يعتقد عدم قدرة الله عليه فهو كافر لا شك بذلك •

ولو فسرناه بما فسره بعض العلماء بان الشيطان وسوس له فان هذا التفسير بعيد بنظرى لان المؤمن الصادق في ايمانه القوى في عقيدته لن يقتربه من تلك الوساوس شيء وان كان الشيطان يجرى بابن آدم ( مجرى الدم ) لان التقي يضايقه بالذكر والاستعاذة بالله منه فضلاً عن ان يكون من الانبياء المعصومين

والمعنى الذى أراه : فظن يونس عليه السلام ان لن يضيق الله عليه بحبس او محنة او ما شابه ذلك او ان يحكم عليه بعقوبة او ملامة كما جاء النص القرآني وذلك بسبب تركه الافضل ويرشح ذلك ان الظن اذا وليته ان المخففة فالمراد به الترجيح دون الاعتقاد او اليقين وهذا من فقه نبي الله يونس غلب على ظنه انه سبحانه لن يضيق عليه ولم يصل بظنه الى حد الاعتقاد واليقين اذ لا سند له من الوحي عليهما والاعتقاد واليقين لابد لهما من دليل ولا دليل اذا الامر لم يعد ان يكون اجتهاداً منه عليه السلام • اما الظن اذا وليته أن المشددة فهو بمعنى الاعتقاد واليقين قال تعالى عن المؤمنين الخاشعين (1) ( الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ) •

---

(١) سورة البقره الآية ( ٤٦ )

قال تعالى ( فنادى في الظلمات )
الفاء هنا عاطفة وارى انه عطف بالفاء ليبين ان وقوعه في بطن الحوت كان عقب ظنه وانه عندما وقع نادى مباشرة من غير مهلة والتقدير فظن ان لن نقدر عليه وخرج فالتقمه الحوت فنادى في الظلمات .
والتعبير بالنداء يدل على ان الانسان وهو متلبس بترك الاولى يكون بعيدا عن توفيق الله فهو ينادى ولا يناجي ومن كلام العرب اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه .
قال الطبرى (١) : اختلف اهل التأويل في المعنى بهذه الظلمات فقال بعضهم عنى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ثم ذكر من قال ذلك وهم عمرو بن ميمون وابن جريج وابن عباس ومحمد (٢) بن كعب وقتاده .
وقال آخرون انما عنى بذلك انه نادى في ظلمة جوف حوت آخر في البحر قالوا فذلك هو الظلمات وذكر ابن جرير من قال ذلك وهم قتاده رواية ثانية عنه وسالم بن (٣) ابي الجعد وابو جعفر .

---

(١) الطبرى ـ جامع البيان ـ ١٧ / ٨٠ بتصرف

(٢) هو ابو حمزة محمد بن كعب القرظي هو تابعي جليل من كبار التابعين وائمتهم سمع ابن عباس وزيد بن ارقم ومعاوية وروى عن جابر بن عبد الله وانس وابي ذر وابي هريرة والبراء وغيرهم وروى عنه جماعات من كبار التابعين واتفقوا على انه ثقة قال ابن سعد كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا توفي سنة ( ١٠٨ ) هـ
تهذيب الاسماء واللغات ـ ١/٩٠

(٣) هو سالم بن ابي الجعد روى جماعة من الصحابة وتوفي في ولاية سليمان سنة ( ٩٩ ) هـ
تاريخ خليفة بن خياط ـ تحقيق سهيل زكّار ـ ١/٤٣٣

قال الزمخشرى [١] : في الظلمات اى في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات ـ وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر .

وذكر ابن كثير [٢] قول ابن مسعود [٣] ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وروى عن الحسن وسعيد بن جبير ونقل عن الضحاك مثله وذكر عن عوف الاعرابي [٤] لما صار يونس في بطن الحوت ظن انه قد مات ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يارب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه احد من الناس .

وقال البيضاوى [٥] : في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل .

---

(١) الزمخشرى ـ الكشاف ـ ٢/٥٨١ ـ ٥٨٢

(٢) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ ٣/١٩٢ بتصرف

(٣) رواه الحاكم في مستدركه بصدد تفسير سورة الانبياء وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٤) اخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التاريخ ـ ٢/٥٨٥

(٥) البيضاوى ـ انوار التنزيل ـ ٤/٤٥

والذى اراه ان كان نداءه في الليل اجتمعت عليه ثلاث ظلمات ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل • واما من قال وجائز ان تكون كون الحوت في جوف حوت آخر فهذا الكلام لا دليل عليه وان كان نداءه في النهار فان ظلمة بطن الحوت وظلمات البحر تكفي قال تعالى (١) ( او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ) قال تعالى : ( لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين )

قال ابن جرير (٢) : نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه تائبا من خطيئته اني كنت من الظالمين في معصيتي اياك • وذكر عن ابن عباس قوله : معترفا بذنبه تائبا من خطيئته وذكر عن عوف الاعرابي قوله : لما صار يونس في بطن الحوت ظن انه قد مات ثم حرك رجله فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى : يارب اتخذت لك مسجدا في موضع ما اتخذه احد.

قال الخازن (٣) : اى حيث عصيتك وما صنعت من شيء فلم اعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته (٤) •

قال القرطبي (٥) : ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين يريد فيما خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم • وقيل في الخروج من غير ان يؤذن له ولم يكن ذلك من الله عقوبة لان الانبياء لا يجوز ان يعاقبوا وانما كان ذلك تمحيصا وقد يؤدب من لا يستحق العقاب كالصبيان ذكره الماوردى وقيل من الظالمين في دعائي على قومي بالعذاب وقد دعا نوح على قومه فلم يؤاخذ ••

---

(١) سورة النور — الآية (٤٠)
(٢) الطبري — جامع البيان — ٨١/١٧ بتصرف
(٣) علي الخازن — تفسير الخازن — ٢٥٨/٤
(٤) وهذا القول ذكره ابن جرير في تفسيره ونسبه الى محمد بن قيس ٨١/١٧
(٥) القرطبي — الجامع لاحكام القرآن — ٣٣٤/١١

وقال الواسطي في معناه (١) : نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا (اذ كانا السبب في وضعهما انفسهما في غير الموضع الذى انزلا فيه)

قال ابن مسعود (٢) : اى انه لا اله الا انت على أن مخففة من أن وضمير الشأن محذوف او اى لا اله الا انت على انها مفسرة (سبحانك) انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة .

ظلم (٣) : الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن امثال العرب في الشبه من اشبه اباه فما ظلم .

قال الاصمعي (٤) : ما ظلم اى ما وضع الشبه في غير موضعه وفي المثل من استرعى الذئب فقد ظلم .

---

(١) هو القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي عالم بالعربية مولده بواسط سنة ٥٥٠ هـ وتوفي في حلب سنة ٦٢٦ هـ ومن كتبه شرح اللمع لابن جني الاعلام ١٤/٦

(٢) ابو السعود — تفسير ابي السعود — ٨٢/٦ — ٨٣

(٣) ابن منظور — لسان العرب — ٦٤٩/٢ — ٦٥٠

(٤) هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن اصمع امام في النحو واللغة والاشعار والاخبار وكان متحرزا في التفسير واما في غيره فمتسامح مات سنة ٢١٠ هـ وولد سنة ١٢٥ هـ
البلغة — ص ١٢٩ — ١٣٠

ولزموا الطريق فلم يظلموه اى لم يعدوا عنه يقال أخذ في طريق فما ظلم يمينا ولا شمالا .

واصل الظلم الجور ومجاوزة الحد ومنه حديث الوضوء فمن زاد او نقص فقد اساء وظلم اى أساء الأدب لتركه السنة والتأدب بأدب الشرع وظلم نفسه بما نقصها من الثواب بترداد المرات في الوضوء .

والظلم الميل عن القصد والعرب تقول الزم هذا الصوب ولا تظلم عنه اى لا تجر عنه وقول الله عز وجل (ان الشرك لظلم عظيم)(١) يعني ان الله هو المحي المميت الرزاق المنعم وحده لا شريك له فاذا اشرك به غيره فذلك اعظم الظلم لانه جعل النعمة لغير ربها يقال ظلمة يظلمه ظلما ومظلمة فالظلم مصدر حقيقي والظالم الاسم يقوم مقام المصدر وهو ظالم ومظلوم .

قال ابن حجر في كتاب المظالم :(٢) والمظالم جمع مظلمة مصدر ظلم يظلم واسم لما أخذ بغير حق والظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي .

---

(١) سورة لقمان ـ الآية (١٣)

(٢) ابن حجر ـ فتح البارى ـ ٩٥/٥

والذى اراه ان أن هنا تفسيريه بمعنى اى لان أن المخففة لا تقع الا بعد فعل يقين او ما نزل منزلته مثل (علم ان سيكون منكم مرضى )(١) ( أفلا يرون ان لا يرجع اليهم )(٢) وما شابه ذلك ونداؤه لا يخرج عن قوله لا اله الا انت سبحانك فهي تفسيريه لندائه .

وارى ان سر الاتيان بضمير الخطاب ( أنت ) ان الخطاب يدل على قرب المخاطب من المخاطِب فكأنه قال يا قريب الاجابة ولانه في مقام الاستعطاف والرحمة والرجاء فهو يخاطب الله وهو مستحضر جلاله ولم يغب عنه ويمكن تقريب المعنى الذى رسمته في استشعار جلال الله عند سيدنا يونس في ندائه بما قاله الامام الغزالي :

والله ما طلعت شمس ولا غربت     الا وذكرك مقرون بأنفاسي

ولا شربت لذيذ الماء من ظمأ     الا وجدت خيالا منك في كاسي

تحذف بطلان الرأي

واريد هنا ان اسلط الأضواء على معنى التوحيد واركان لا اله الا الله وشروطها والرأى السديد في اعرابها .

جاء في شرح العقيدة الطحاوية(٣) النص التالي : اعلم ان التوحيد اول دعوة الرسل واول منازل الطريق واول مقام يقوم فيه السالك الى الله عز وجل قال تعالى ( لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ) الاعراف (٥٩)

وقال هود عليه السلام لقومه : ( اعبدوا الله مالكم من اله غيره ) الاعراف (٦٥)

وقال صالح عليه السلام لقومه ( اعبدوا الله مالكم من اله غيره ) (٧٣)

وقال شعيب عليه السلام لقومه ( اعبدوا الله مالكم من اله غيره ) الاعراف (٨٥)

وقال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل (٣٦)

وقال تعالى : ( وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ) الانبياء (٢٥)

---

(١) سورة المزمل الآية (٢٠)

(٢) سورة طه الآية (٨٩)

(٣) زهير الشاويش — شرح العقيده الطحاويه ص ٧٤ — ٧٥

ابن ابي العز الحنفي

وقال صلى الله عليه وسلم (أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) متفق عليه من حديث ابن عباس وغيره من الاصحاب (١) .

## اركان لا اله الا الله وشروطها : (٢)

ولكلمة الاخلاص اركان وشروط : فاركانها اثنان نفي واثبات وحد النفي من الاثبات لا اله ، اى نافيا جميع ما يعبد من دون الله والاثبات الا الله اى مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما انه لا شريك له في ملكه .

واما شروطها فسبعة لا تصح هذه الكلمة ولا تنفع قائلها الا اذا استجمعت له الشروط التي تلي :

١. الاول : العلم بمعناها نفيا واثباتا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فاعلم انه لا اله الا الله) (٣) وقال (الا من شهد بالحق وهم يعلمون) (٤) وقال صلى الله عليه وسلم (من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة) (٥) .

٢. الثاني : اليقين اى استيقان القلب بها قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله (اولئك هم الصادقون) (٦) وقال صلى الله عليه وسلم (اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما الا دخل الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة (من لقيت وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) كلاهما في الصحيح (٧)

---

(١) رواه البخارى في كتاب الايمان في باب (فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) عن ابن عمر ١/١١ ـ ١٢ ومسلم في كتاب الايمان باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله رقم (٢٢)

(٢) عبد العزيز السلمان ـ الكواشف الجليه عن معاني الواسطيه ص٢٩ـ٣١

(٣) سورة محمد ـ الآية (١٩)

(٤) سورة الزخرف ـ الآية (٨٦)

(٥) رواه مسلم عن عثمان رضي الله عنه في كتاب الايمان باب من مات على التوحيد

(٦) سورة الحجرات ـ الآية (١٥)

(٧) رواه مسلم في كتاب الايمان باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا عن ابي هريرة .

٠٣ الثالث الاخلاص : قال الله تعالى (١) ( وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ) وقال تعالى (٢) ( ألا لله الدين الخالص )
وعن ابي هريرة (٣) قال قلت يا رسول الله : من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسالني عن هذا الحديث أحد اول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه او نفسه ) .
وعن ابي هريرة (٤) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( قال الله تعالى : انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه ) رواه مسلم .

٠٤ الرابع الصدق قال الله تعالى (٥) ( والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون ) .
عن ابن عباس قال من جاء بـ لا اله الا الله وقال (٦) ( فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) وقال صلى الله عليه وسلم (٧) ( ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار ) متفق عليه وتقدم لنا قوله صلى الله عليه وسلم ( يشهد ان لا اله الا الله مستقينا بها قلبه ) الحديث رواه مسلم .

---

(١) سورة البينة ـ الآية ( ٥ )
(٢) سورة الزمر ـ الآية ( ٣ )
(٣) رواه البخارى في كتاب العلم باب الحرص على الحديث ١/٣٣ عن ابي هريرة
(٤) اخرجه مسلم في كتاب الزهد باب من اشرك في عمله غير الله رقم الحديث ( ٢٩٨٥ ) عن ابي هريرة
(٥) سورة الزمر ـ الآية ( ٣٣ )
(٦) سورة العنكبوت ـ الآية ( ٣ )
(٧) اخرجه البخارى في كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ان لا يفهموا ـ ١/٤١ عن انس بن مالك ، ومسلم بغير هذا اللفظ عن عبادة بن الصامت ( من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ﷺ حرم الله عليه النار ) في كتاب الايمان باب من شهد بالشهادتين حرم الله عليه النار .

وقال صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذى علمه شرائع الاسلام (١) افلح ان صدق .

٥. الخامس المحبة قال الله تعالى ( فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ) (٢) وقال صلى الله عليه وسلم ( ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله ) الحديث متفق عليه قال صلى الله عليه وسلم (٣) ( لا يؤمن احدكم حتى اكون أحب اليه من والده وولده والناس اجمعين ) متفق عليه .

٦. السادس الانقياد لها ظاهرا وباطنا (٤) قال الله تعالى ( ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ) وقال تعالى (٥) ( وانيبوا الى ربكم واسلموا له ) .

٧. السابع : القبول لها وقد جمع بعضهم شروط لا اله الا الله في بيت فقال :

علم يقين واخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

فلا يرد شيئا من لوازمها ومقتضياتها (٦) قال الله تعالى ( وعجبوا ان جاءهم منذر منهم . وقال الكافرون هذا ساحر كذاب الى قوله بل لما يذوقوا عذاب (٧) وقال ايضا في حق من لم يقبلها ( احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون ه الى قوله ( انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون .

---

(١) رواه البخارى في الايمان — باب الزكاة من الاسلام ١٧/١ عن طلحة بن عبيد الله ومسلم في كتاب الايمان باب بيان الصلوات التي هي احد اركان الاسلام رقم (١١) .

(٢) رواه البخارى في كتاب الايمان باب حلاوة الايمان ٨/١ عن انس رضي الله عنه واخرجه مسلم في الايمان في بيان خصال الايمان رقم ٤٣

(٣) رواه البخارى في كتاب الايمان باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايمان عن انس بن مالك ٩/١ ومسلم باب وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم رقم (٤٤) .

(٤) سورة لقمان الآية (٢٢)

(٥) سورة الزمر الآية (٥٤)

(٦) سورة ص الاية ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨

(٧) سورة الصافات الآية (٢٢ — ٣٥)

وقد اعترض صاحب المنتخب على النحويين في تقدير الخبر في لا اله الا هو (١) فقالوا تقديره لا اله في الوجود الا الله فقال يكون ذلك نفيا لوجود الاله ومعلوم ان نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود فكان اجراء الكلام على ظاهره والاعراض عن هذا الاضمار اولى واجاب ابو (٢) عبدالله محمد بن ابي الفضل المرسي في ري الضمآن فقال هذا كلام من لا يعرف لسان العرب فان ( اله ) في موضع مبتدا على قول سيبويه وعند غيره اسم ( لا ) وعلى التقديرين فلابد من خبر المبتدا والا فما قاله من الاستغناء عن الاضمار فاسد واما قوله اذا لم يضمر يكون نفيا للماهية فليس بشيء لان نفي الماهية هو نفي الوجود لاتتصور الماهية الا مع الوجود فلا فرق بين لا ماهية ولا وجود وهذا مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة فانهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود و ( الا الله ) مرفوع بدلا من لا اله لا يكون خبرا لـ ( الا ) ولا للمبتدا وذكر الدليل على ذلك .

وتعقب هذه الاقوال الشيخ عبدالعزيز بن باز (٣) فقال : ما قاله صاحب المنتخب ليس بجيد وهكذا ما قاله النحاة وايده الشيخ ابو عبدالله المرسي من تقدير الخبر بكلمة ( في الوجود ) ليس بصحيح لان الآلهة المعبودة من دون الله كثيرة وموجودة وتقدير الخبر بلفظ ( في الوجود لا يحصل به المقصود من بيان احقية الوهية الله سبحانه وبطلان ما سواها ) لئن لقائل ان يقول كيف تقولون ( لا اله في الوجود الا الله وقد أخبر الله سبحانه عن وجود آلهة كثيرة للمشركين كما في قوله سبحانه (وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء ) سورة هود الآية ( ١٠١ ) وقوله سبحانه ( فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ) الاحقاف ( ٢٨ ) .

---

(١) ناصر الدين الالباني (ابن أبي العز الحنفي) — شرح العقيدة الطحاويه — ص١١١ — ١١٢

(٢) هو عبدالله محمد بن عبدالله السلمي المرسي عالم بالادب والتفسير والحديث اصله من مرسيه ولد سنة ٥٧٠ هـ وتوفي سنة ٦٥٥ هـ من كتبه ( ري الضمآن ) في التفسير الاعلام ١١٠/٧

(٣) ~~زهير الشاويش~~ — شرح العقيدة الطحاوية — ص٥٩٨

ابن أبي العز الحنفي

فلا سبيل الى التخلص من هذا الاعتراض بيان عظمة هذه الكلمة وانها كلمة التوحيد المبطلة لآلهة المشركين وعبادتهم من دون الله الا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النحاة وهو كلمة ( حق ) لانها هي التي توضح بطلان جميع الآلهة وتبيين ان الإله الحق والمعبود بالحق هو الله وحده كما نبه على ذلك جمع من اهل العلم منهم ابو العباس ابن تيميه (١) وتلميذه (٢) ابن القيم وآخرون رحمهم الله ومن ادلة ذلك قوله سبحانه ( ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل ) الحج ( ٦٢ ) فأوضح سبحانه في هذه الآية انه هو الحق وان ما دعاه الناس من دونه هو الباطل فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من البشر والملائكة والجن وسائر المخلوقات واتضح بذلك انه المعبود بالحق وحده ولهذا انكر المشركون هذه الكلمة وامتنعوا من الاقرار بها لعلمهم بانها تبطل آلهتهم لانهم فهموا ان المراد بها نفي الالوهية بحق عن غير الله سبحانه ولهذا قالوا جوابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما قال لهم قولوا « لا اله الا الله ( أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب سورة ص الآية ( ٥ ) وما في معنى ذلك من الآيات وبهذا التقدير يزول جميع الاشكال ويتضح الحق المطلوب •

---

( ١ ) هو احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ولد في حران سنة ٦٦١ هـ ومات بدمشق سنة ٧٢٨ هـ نبغ في علوم الشريعة واشتهر ومن اشهر مصنفاته الفتاوى والايمان ومنهاج السنة الاعلام ١/١٤٠ — ١٤١

( ٢ ) هو ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي من اركان الاصلاح الاسلامي ولد سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧٥١ هـ ومن كتبه اعلام الموقعين والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ٦/٢٨٠ — ٢٨١

سبحانك :

قال الآلوسي (١) : سبحانك قيل انه مصدر وفعله سبح مخففا بمعنى نزه ولا يكاد يستعمل الا مضافا واما للمفعول او الفاعل منصوبا باضمار فعل وجوبا وقوله .

سبحانه ثم سبحانا نعوذ به وقبلنا سبح الجودي والجمد

شاذ كقوله سبحانك اللهم ذا السبحان ومجيئه منادى مما زعمه الكسائي ولا حجة له وذهب جماعة الى انه علم للتسبيح بمعنى التنزيه لا مصدر سبح بمعنى قال سبحان الله لئلا يلزم الدور والعلم بمعد الجنس وهل هذا الا دور ولان مدلول ذلك لفظ ومدلول هذا معنى واستدل على ذلك بقوله :ـ

قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمه التفاخر

اذ لولا انه علم لوجب صرفه لان الالف والنون في غير الصفات انما تمنع مع العلمية واجيب بان سبحان فيه على حذف المضاف اى سبحان الله وهو مراد للعلم به وابقى المضاف على حاله مراعاة لأغلب احواله وهو التجرد عن التنوين .

سبحانك : اى انزهك من كل نقص وعيب تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان تظلم احدا .

اني كنت من الظالمين : فهو عليه الصلاة والسلام بعد ان نزه ربه من كل نقص ومنه الظلم اضافة لنفسه ولما كان الظلم ليس بالامر الهين بل هو ذنب كبير بدليل ان الظالم ملعون بنص الكتاب العزيز ( آلا لعنة الله على الظالمين ) والظلم لا يليق بمقام هذا النبي الكريم لذلك رأيت انه لا يصح حمل معنى الظلم في هذه الآية على ظاهره وانما يجب حمله على المعنى اللغوى كما مر وهو وضع الشيء في غير موضعه مطلقا ليشمل الذنب وغيره وبما ان يونس عليه السلام خرج من قومه بدل ان يبقى معهم ويتحمل آذاهم ويقاس عنتهم خرج من بين ظهرانيهم بغير اذن من الله على خلاف معتاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ظنا منه ان خروجه هذا ارضاء للرب وأنفة لدينه فلاقى ما لاقى من الشدائد والاهوال لانه وضع الاباق من قومه موضع البقاء معهم اى ظلم نفسه شيئا مكان شيء اخر .

---

(١) الآلوسي ـ روح المعاني ـ ١/ ٢٢٦

وما يسأل

اما ما قاله ابن جرير والخازن وابن عباس ومن وافقهم من انه ارتكب ذنبا وعصى ربه واعترف بذلك الذنب بقوله اني كنت من الظالمين ثم تاب فهذا الكلام باطل لا يليق اطلاقه على نبي اصطفاه الله لحمل رسالته لانه لو صدر الذنب من الانبياء لضوعف عليهم العذاب لانهم ليسوا كآحاد الناس وهذا باطل فصدور الذنب عنهم باطل هذا من جهة ومن جهة اخرى قال الله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين)[1] وذلك عندما خاطب الله عز وجل ابراهيم بقوله[2] (اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) والعهد في هذه الآية قيل فيه قولان : قيل عهد النبوه وقيل عهد الامامة فان كان عهد النبوة فالظالم مذنب والنبي لا يكون مذنبا لقوله لا ينال عهدي الظالمين وان كان معنى العهد الامامة فمن لا يستحق الادنى وهي الامامة فمن باب اولى لا يستحق النبوة فاذا لم تثبت الامامة للظالمين العاصين وجب ان لا تثبت النبوه للظالمين لانه لابد ان يكون النبي اماما يقتدى به ويهتدى بهديه قال تعالى[3] (وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين

---

(١) سورة البقره الآية (١٢٤)
(٢) سورة البقرة الآية (١٢٤)
(٣) سورة الانبياء الآية (٧٣)

واعجبني ما قاله الامام الرازي (١) في تفسير قوله تعالى ( اني كنت من الظالمين ) فقال فالمعنى ظلمت نفسي بفراري من قومي بغير اذنك كأنه قال كنت من الظالمين وأنا الان من التائبين النادمين فاكشف عني المحنة يدل عليه قوله ( فاستجبنا له ) الانبياء ( ٨٨ ) وفيه وجه آخر وهو انه عليه السلام وصفه بقوله ( لا اله الا انت ) بكمال الربوبية ووصف نفسه بقوله ( اني كنت من الظالمين ) الانبياء ( ٨٧ ) بضعف البشرية والقصور في اداء حق الربوبية وهذا القدر يكفي في السؤال على ما قاله المتنبي :

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي كلام عندها وخطاب

وروى عبدالله بن رافع (٢) مولى ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (٣) ( لما اراد الله حبس يونس عليه السلام اوحى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما ) فأخذه وهوى الى اسفل البحر فسمع يونس عليه السلام حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا مثله قال تعالى : فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين .

قال ابن جرير (٤) : فاستجبنا ليونس دعاءه ايانا اذ دعانا في بطن الحوت ونجيناه من الغم الذي كان فيه بحبستنا (٥) ه في بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه وكذلك ننجي المؤمنين يقول جل ثناؤه وكما انجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر اذ دعانا كذلك ننجي المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا ودعونا .

---

(١) الرازي ـ تفسير الرازي ـ ٢١٦/٢٢
(٢) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو حرشن كان طالبا بالمدينة اخذ عن جودى النحوى وكان يضرب بفصاحته المثل البلغة ص١٠٩
(٣) رواه الامام احمد في كتاب الزهد عن سالم بن ابي الجعد ص٣٤
(٤) ابن جرير الطبرى ـ جامع البيان ـ ٨١/١٧
(٥) والظاهر بحبسينا له

قال الآلوسي (١) : فاستجبنا له اى دعاءه في ضمن الاعتراف واظهار التوبة على ألطف وجه واحسنه واخرج احمد والترمذى والنسائي والحكيم في نوادر الاصول والحاكم وصححه وابن جرير والبيهقي في الشعب وجماعة عن سعد بن ابي وقاص (٢) عن النبي (ص) قال : ( دعوة ذى النون اذ هو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط الا استجاب له واخرج ابن ابي حاتم عن الحسن ان ذلك اسم الله تعالى الاعظم واخرج ذلك الحاكم عن سعد مرفوعا وجاء عن انس مرفوعا انه عليه السلام حين دعا بذلك اقبلت دعوته تحف بالعرش فقالت الملائكة عليهم السلام هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تعالى اما تعرفون ذلك قالوا يارب ومن هو قال ذاك عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة يارب افلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه وذلك قوله فنجيناه من الغم اى الذى ناله حين التقمه الحوت بان قذفه الى الساحل بعد ساعات .

---

(١) الآلوسي — روح المعاني — ٥/ ٢٨٥ بتصرف

(٢) اخرجه الترمذى في كتاب الدعوات ، والحاكم في المستدرك — ٢/ ٣٨٣ وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ( في تفسير سورة الانبياء ) والنسائي في باب السهو وابو داود في صلاة الوتر والدارمي في فضائل القرآن

قال الآلوسي (١) : وكذلك أي مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وقرا الجحدري (٢) ننجي مشددا مضارع نجّى وقرا ابن عامر (٣) وابو بكر (٤) نجّي بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم واسكان الياء واختار ابو عبيدة هذه القراءة على القراءة بنونين لكونها اوفق بالرسم العثماني لما انه بنون واحدة وقال ابو علي (٥) في الحجة روى عن ابي عمرو نجي بالادغام والنون لا تدغم في الجيم وانما اخفيت لانها ساكنة تخرج من الخياشيم فحذفت من الكتاب وهي في اللفظ ومن قال تدغم فقد غلط لان هذه النون تخفى مع حروف الفم وتبيين الاحرف الشجرية وهي الجيم والشين والضاد وتبيينها لحن فلما اخفى السامع انه مدغم انتهى .

---

(١) الآلوسي ـ روح المعاني ـ ٥/٣٨٦

(٢) هو عاصم بن ابي صباح مقرئ بصرى مات سنة ( ١٢٨ هـ ) هامش مغني اللبيب تحقيق الدكتور مازن مبارك ص ٢٨١

(٣) هو عبدالله بن عامر بن يزيد الشامي احد القراء السبعة ولد في البلقاء سنة ٨ هـ وانتقل الى دمشق وتوفي فيها سنة ١١٨ هـ قال الذهبي مقرئ الشاميين صدوق في رواية الحديث الاعلام ٤/٢٢٨

(٤) هو ابو بكر عبدالرحمن بن الحارث المخزومي القرشي احد الفقهاء السبعة كان من سادات التابعين توفي في المدينة سنة ٩٤ هـ وكان مكفوفا الاعلام ـ ٢/٤٠

(٥) هو الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفارسي الأصل ابو علي احد الأئمة في علم العربية ولد في فسا من اعمال فارس سنة ( ٢٨٨ هـ ) وتوفي في بغداد سنة ( ٣٧٧ هـ ) من كتبه التذكرة والحجة في علل القراءات وجواهر النحو الاعلام ـ ٢/١٩٣ ـ ١٩٤

وقال ابو الفتح بن جني اصل ننجي كما في قراءة الجحدري فحذفت النون الثانية لتوالي المثلين والاخرى جيء بها لمعنى والثقل انما حصل بالثانية وذلك كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون كونها أصلية وكذا لا يضر عدم اتحاد حركتها مع حركة النون الاولى فأن الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام فقول ابي البقاء (١) ان هذا التوجيه ضعيف لوجهين احدهما ان النون الثانية اصل وهي فاء الكلمة فحذفها يبعد جدا والثاني ان حركتها غير حركة النون الاولى فلا يستثقل الجمع بينهما بخلاف تظاهرون ليس في حيز القبول وانما امتنع الحذف في تتجافى لخوف اللبس بالماضي بخلاف ما نحن فيه لانه لو كان ماضيا لم يسكن آخره وكونه سكن تخفيفا خلاف الظاهر وقيل هو فعل ماضي مبني لما لم يسم فاعله وسكنت الياء للتخفيف كما في قراءة من قرا وذروا ما بقي من الربا وقوله (٢) :

هو الخليفة فارضوا ما رضى لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف

ونائب الفاعل ضمير المصدر والمؤمنين مفعول به وقد أجاز قيام المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الاخفش والكوفيون وابو عبيد وخرجوا على ذلك قراءة أبي جعفر ليجزى قوما وقوله :

ولو وَلَدَتْ قفيرة جَرو كلب لسب بذلك الكلبَ الكلابا

---

(١) هو عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبرى عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب اصله من عكبره اصيب في صباه بالجدري فعمي ولد سنة ( ٥٣٨ هـ ) وتوفي سنة ( ٦١٦ هـ ) ومن كتبه شرح ديوان المتنبي واللباب في علل البناء والاعراب الاعلام ـ ٤/٢٠٨ ـ ٢٠٩ البلغة ص١٠٨

(٢) فقيرة كجهينة ام الفرزدق والبيت لجرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق وعجز البيت : لسب بذلك الجرو الكلابا . القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن ـ ١١/٣٣٥

والمشهور عن البصريين انه متى وجد المفعول به لم يقم غيره مقام الفاعل وقيل ان المؤمنين منصوب باضمار فعل أى وكذلك نجي هو أى الانجاء ننجي المؤمنين وقيل هو منصوب بضمير المصدر والكل كما ترى وقبل ان افسر قوله تعالى ( فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ) اريد اولا ان ابين معنى ( الغم ) .

غم الغمُّ واحد الغموم والغمُّ والغمّة : الكرب قاله اللحياني (١)

قال العجاج (٢) : بل لو شهدتِ الناس اذا تكموا بغمة لولم تُفرج غمّوا

تكموا أى غطوا بالغمّ .

أي فاستجاب الله دعاء سيدنا يونس والفاء هنا تفصيلية اى استجاب دعاءه ونجاه من الكرب وكان دعاء يونس بطريق الايماء لان ظاهره التسبيح ولكن المراد من ذلك التسبيح الدعاء ومن كرم الله على عبادة انه اذا دعا المسلم بتسبيح يونس عليه السلام استجاب الله له دعاءه ومما يؤيد ما اقول ما جاء عن سعد بن مالك (٣) انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( اسم الله (٤) الذى اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى دعوة يونس بن متى قال : فقلت يارسول الله هي ليونس بن متى خاصة ام لجماعة المسلمين ؟ قال هي ليونس بن متىٰ خاصة وللمؤمنين عامة اذا دعوا بها الم تسمع قول الله تبارك وتعالى ( فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ..

---

(١) ابن منظور - لسان العرب - ١٠١٩/٢

(٢) هو عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر التميمي ابو الشعثاء العجاج راجز مجيد من الشعراء ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها ثم اسلم وعاش الى ايام الوليد بن عبدالملك وهو اول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد توفي سنة ٩٠ هـ الاعلام ٢١٧/٤ - ٢١٨

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى الانصاري ابو سعيد صحابي كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه احاديث كثيرة ولد سنة ١٠ هـ وتوفي سنة ٧٤ هـ في المدينة المنوره الاعلام ١٣٨/٣

(٤) حديث دعوة ذوالنون رواه الترمذي كما مر واللفظ له والنسائي والحاكم وقال صحيح الاسناد وزاد في طريق عنده فقال رجل رسول الله هل كانت ليونس خاصة ام للمؤمنين عامة .. الخ عبدالعظيم المنذرى ٤٨٨/٢

فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين فهو شرط الله لمن دعاه بها •

ولقد انكر بعض الزائغين قصة يونس عليه السلام واحالوا امكان بقاء روح حي في بطن حيوان وتصدى لهم المطهر بن طاهر المقدسي فقال[١]: واما الزائغون عن القصد فمن منكر بقاء ذى روح في بطن حيوان وتأول ذلك حجة لزمته وحقا اسكته ونداءه في الظلمات قالوا هي ظلمات الجهل والحيرة والقاءه بالعراء طرف من العلم به وانشاءه هذا كما قالوا في تأويل العصا واليد لموسى والسفينة لنوح وسائر المعجزات والله اعلم وكيف يصح لهم هذا التأويل وهم يقرؤون وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ويقرؤون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقرؤون فالتقمه الحوت وهو مليم اوليس الجنين في بطن امه متنفس حي فهل يعجز من ابقى الاجنة في ظلم الارحام ان يبقى الارواح في اجسام المحبوسين حيث لا يصل اليهم الهواء والله المستعان •

وقد اورد ابن حزم الاندلسي[٢] ما ورد على هذه الآيات من اعتراضات وتأويلات وأجاب عنها اجابة رائعة •

قال ابو محمد[٣]: وذكروا امر يونس عليه السلام وقول الله تعالى عنه وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقوله لنبيه عليه السلام فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم •

---

(١) المطهر بن طاهر — البدء والتاريخ — ٣/١١٢ — ١١٣

(٢) هو علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهرى ابو محمد عالم الاندلس في عصره واحد ائمة الاسلام ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ وتوفي في بادية لبلة بعد ان اقصته الملوك وطاردته سنة ٤٥٦ هـ ومن مصنفاته الفصل في الملل والاهواء والنحل والمحلى وجمهرة الانساب الاعلام ٥/٥٩

(٣) ابو محمد ابن حزم الظاهرى — الفصل في الملل والاهواء والنحل — ٤/١٧

وقوله تعالى ( فالتقمه الحوت وهو مليم قالوا ولا ذنب اعظم من المغاضبة لله عز وجل ومن كبر ذنبا ممن ظن ان الله لا يقدر عليه وقد اخبر الله تعالى انه استحق الذم لولا ان تداركه نعمة الله عز وجل وانه استحق الملامة وانه أقر على نفسه انه كان من الظالمين ونهى الله تعالى نبيه ان يكون مثله •

قال ابو محمد : هذا كله لا حجة لهم فيه بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العلمين اما اخبار الله تعالى ان يونس ذهب مغاضبا (على يغاضب) ربه قط ولا قال الله تعالى انه غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كان قائلا على الله الكذب وزائدا في القرآن ما ليس فيه هذا لا يحل ولا يجوز ان يظن بمن له أدنى مسكة من عقل انه يغاضب ربه تعالى فكيف ان يفعل ذلك نبي من الانبياء فعلمنا يقينا انه انما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك وان كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك الا رضاء الله عز وجل واما قوله تعالى ( فظن ان لن نقدر عليه ) فليس على ما ظنوه من الظن السخيف الذى لا يجوز ان يظن بضعيفه من النساء او بضعيف من الرجال الا ان يكون قد بلغ الغاية من الجهل فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم ومن المحال المتيقن ان يكون نبي يظن ان الله تعالى الذى ارسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى ان آدميا مثله يقدر عليه ولا شك في ان من نسب هذا للنبي صلى الله عليه وسلم الفاضل فانه يشتد غضبه لو نسب ذلك اليه او الى ابنه فكيف الى يونس عليه السلام الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فقد بطل ظنهم بلا شك وصح ان معنى قوله فظن ان لن نقدر عليه أى لن نضيق عليه كما قال تعالى ( واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ) اى ضيق عليه فظن يونس عليه السلام ان الله تعالى لا يضيق عليه في مغاضبته لقومه اذ ظن انه محسن في فعله ذلك وانما نهى الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم عن ان يكون كصاحب الحوت فنعم نهاه الله عز وجل عن مغاضبة قومه وامره بالصبر

على آذاهم والمطاولة لهم واما قول الله تعالى انه استحق الذم والملامة لولا النعمة التي تداركته بها البث معاقبا في بطن الحوت فهذا نفس ما قلناه من ان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون في الدنيا على ما فعلوه مما يظنونه خيرا وقربة الى الله عز وجل اذا لم يوافق مراد ربهم وعلى هذا الوجه اقر على نفسه انه كان من الظالمين والظلم وضع الشيء في غير موضعه .

فلما وضع النبي صلى الله عليه وسلم المغاضبة في غير موضعها اعترف في ذلك بالظلم لا على انه قصده وهو يدري انه ظلم .

انقضى الكلام في يونس عليه السلام وبالله تعالى التوفيق

# العبـــــــر والعظـــــــات

١) يعلمنا اللـه سـبحانـه وتعالى في هاتيـن الآيتيـن كيف يلجـاء الانسـان الى ربـه خاصـة اذا اظلـم عليـه الافـق وتراكمت عليـه الغمـوم فهـو سـبحانـه وحده يفتـح ابواب الفرج بعد الضيق ويكرم السـائل من ايسـر طريق فهو الذى يغيـر ولا يتغير فيجعل بعـد الغروب شـروقا وبعد الذبـول نمـوا وازدهـارا •

٢• يعلمنـا اللـه سبحانـه اذا وقعنـا في ضنك او ابتـلاء او محنـة ونريد اسـتجابـة الدعـاء ان ندعـو بدعـاء نبي اللـه يونـس وتعهد عـز وجـل بالاجابـة فقـال وكذلك ننجي المؤمنيـن •

٣) وفي مطلع هـذه الآيـات حكمـة بالغـة وهـي ان الغضب صفـة مذمومـة وان الانسـان اذا غضـب فقـد اتـزان نفسـه وقـد يتصرف بما لا يحمد عقبـاه ولهذا كـان النبي محمـدا عندمـا يغاضبـه بعض قومـه لا يزيـده شـدة الجهل إلا حلمـا ويصدق الشـاعر حيـن يقـول :

من لـي بانسـان اذا اغضبتـه وجهلت كان الحلم رد جوابـه

## سورة النســــــــاء

قال تعالى (١) ( انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا )

وقبل ان اشرح معنى هذه الآية المباركة اريد ان ابين سبب نزولها جاء في تفسير ابن كثير (٢) عن ابن عباس قال

قال سكن وعدى بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله انزل على بشر من شيء بعد موسى فانزل الله في ذلك من قولهما ( انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ٠٠٠٠ الى اخر الايات وذكر ابن جرير عن محمد ابن كعب القرظي قال : انزل الله (٣) ( يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ) الى قوله وقولهم على مريم بهتانا عظيما ٠

قال فلما تلاها عليهم يعني على اليهود واخبرهم باعمالهم الخبيثة جحدوا كل ما انزل الله وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء ولا موسى ولا عيسى ولا على نبي من شيء قال فحل حبوته وقال ولا على احد فانزل الله عز وجل (٤) ( وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء ) ٠

وفي هذا الذى قاله محمد بن كعب القرظي نظر فان هذه الآية التي في سورة الانعام مكية وهذه الاية التي في سورة النساء مدينة وهي

---

(١) سورة النساء ـ الآية ١٦٣
(٢) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ ١/٥٨٥ بتصرف
(٣) سورة النساء ـ الآية ١٥٣
(٤) سورة الانعام ـ الآية ٩١

رد عليهم لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء قال الله تعالى ( فقد سألوا موسى اكبر من ذلك[1] ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم وما كانوا عليه وما هم عليه الآن من الكذب والافتراء ثم ذكر تعالى انه اوحى الى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما اوحى الى غيره من الانبياء المتقدمين فقال ( انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ... الى قوله ( وآتينا داود زبورا ) .

وقيل ان آية الانعام مدنية ايضاً ،

---

(١) سورة النساء ـ الآية (١٥٣)

ذكـــــــر المناســــبة :

المناســبة بيــن هــذه الآيـــة وبيــن الآيتيــن الســابقتين فــي ســورة الانبيــاء هــي انــه تعالــى لما تحدث عــن رســول اللــه يونــس كيف أبــق من قومــه وذهب مغاضبــا قبــل ان يأتيــه اذن صريــح من اللــه بالانصراف عنهــم جــاء النص الثانــي بيــن مهمتــه ومهمات باقي الرســـل الكرام عليهم الصــلاة والســلام فقــال تعالــى بعد ان ذكــر وحيهم فـــي هــذه الآيــة اعقبــه بقولــه رســلا مبشــرين ومنذريــن لئــلا يكــون للناس على اللــه حجــة بعــد الرســل وكان اللــه عزيزا حكيمــا اى مبشــرين بالثواب لمــن آمــن واتقــى ومنذريــن بالعقاب لمــن كــذب وعصى لئــلا يكــون للناس عــذر كقولهــم (فيقولوا ربنــا لولا ارســلت الينــا رســولا فنتبــع آياتــك ونكــون من المؤمنيــن)(١) فيبعث اللــه الرســل عليهــم الصــلاة والســلام لقطع دابــر عــذرهــم وكان اللــه عزيــزا في ملكــه وارادتــه حكيما في صنعه وتدبيــره .

معنــى هــذه الآيـــــة الكريمــــــة :

هــذه الآيــة جاءت جوابــا لأهــل الكتاب الذيــن جادلــوا رســول اللـــه صلى اللــه عليــه وســلم حــول عــدم نــزول اى كتــاب على احد من بعــد موسى فجــاء النص يوضــح ان الرســول عليــه الصلاة والسلام ليس بدعــا من الرســـل وانمــا شــأنــه في حقيقــة الارســال كشــأن مشــاهير الانبيــاء والرســل الذيــن لا شــك في نبوتهــم ورســالاتهم حيث قال تعالــى (انا اوحينــا اليك كما اوحينا الى نــوح والنبيــن) اى اوحينا اليك يامحمــد مثل الايحــاء الذى اوحينــاه الى نــوح والنبيــن الذيــن جاءوا من بعــد نــوح وربمــا جــاء ذكــر نـــوح هنــا اولا لانــه اول نبي عذبت امتــه لردهــم دعوتــه فدعــا عليهم فأســتجاب اللــه دعــاءه واهلك اهل الارض وجاء من بعــده ابراهيــم واعقبــه اســماعيل

(١) ســـورة القصص الآيـــة (٤٧)

واسحق ولداه واوحى الله الى ابن اسحق يعقوب والى ابنائه يعقوب الاسباط وبعدهم اوحى الله الى عيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وانزل الله على ابيه داود زبورا ، والزبور هو اسم الكتاب المنزل على سيدنا داود ومصدره مزبور ومعناه مكتوب .

## العبــر والعظـــــــات

١ • ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ائمة هـدى ومصابيح نـور وان وحيهم واحـد ولهذا اوصانـا تعالى بالايمان بهم وان لافرق بين احد منهـم قال تعالى في سورة البقرة الآيـة (٢٨٥) لا نفرق بين احد مـن رسـله •

٢ • اخـذ اللـه عليهم الميثاق وهو ان يبلغوا رسالاته ويدعو اليه وان يصدق بعضهم بعضا قال تعالى في سورة الاحزاب الآيـة (٧)
( واذ اخـذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نـوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا عظيما • وقال في سورة آل عمران (٨١) واذا اخـذ اللـه ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتـاب وحكمـة ثـم جاءكم رسـول مصدق لما معكم لتؤمنن بـه ولتنصرنـه قـال أأقررتم وآخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قـال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين •

٣ • ان في قصص الانبياء عبرا وعظات وحكما وتوجيهات جيء بها للذكرى لما كان لـه قلب او القى السمع وهو شـهيد وتتضمن البشاره للعابدين الصادقين والانذار للعابثين المفسدين فهي تشترك في توحيد الـه وتنزيهه عن كل نقص والعمل لبلوغ رضاه وان يحب الانسان ما يكره اذا احبه اللـه وان يكره ما يحب اذا كرهـه اللـه وان الدنيـا مزرعـة الآخـرة فكلما زرع في بساتينها من بذور خير واحسان ومعروف جنى ثمار اشجارها في الآخرة مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشـر

وصدق الشاعر حيـن يقـــــول :

النفس تبكي على الدنيـا وقد علمت ... ان السلامة فيها ترك ما فيهـا
لادار للمرء بعد الموت يسكنها ... الا التي كان قبل الموت يبنيها
فان بناها بخير طاب مسكنه ... وان بناها بشـر خاب بانيها
واعمل لدار غدا رضوان خازنها ... والجار احمد والديان ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

# الفصل الثالث

## ذكر فضل سيدنا يونس عليه السلام

## ذكر فضل سيدنا يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

قال تعالى في سورة الصافات الآية ( ١٣٩ ) ( وان يونس لمن المرسلين ) وذكره تعالى في جملة الانبياء الكرام في سورة النساء الآية ( ١٦٣ ) كما مرّ بنا ( انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ) .

وورد ذكره في سورة الانعام الآيات ( ٨٣ ــ ٨٦ ) في عداد الانبياء الذين فضلهم الله على العالمين حيث قال تعالى ( وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) .

١. روى الامام البخاري في صحيحه ، عن عبد الله[(١)] رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي لاحد ان يكون خيرا من ابن متى .

٢. وروى ايضا عن ابي هريرة[(٢)] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب .

---

(١) رواه الامام البخاري في صحيحه في تفسير سورة الصافات ( وان يونس لمن المرسلين ) ٦/٣٠

(٢) رواه الامام البخاري في صحيحه في تفسير سورة الصافات ( وان يونس لمن المرسلين ) ٦/٣١ ورواه البخاري ايضا في تفسير سورة النساء باب ( انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله ويونس وهارون وسليمان ) ٥/١٨٥ .

٥٣ وروى عن قتادة عن ابي العالية قال حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى .(١)

٥٤ وروى ايضا عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى .(٢)

قال السندي (٣) : لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى اي ليس لاحد ان يقول ذلك افتخارا اي يقول ذلك من نفسه واما اذا اوحي اليه او يقوله تحدثا بنعمة الله فهو ليس من هذا القبيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٤) ( انا سيد ولد آدم ولا فخر ) فانه قال ذلك اما لانه اوحي اليه قدرا اوجاها لديه او لانه قصد به التحديث بالنعمة والله تعالى اعلم .

قال ابن حجر (٥) : قال العلماء انما قال ذلك تواضعا ان كان قاله بعد ان اعلم انه افضل الخلق وان كان قاله قبل علمه بذلك فلا اشكال وقيل خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته ان يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة .

قال ابن الاثير الجزري (٦) في الجمع بين حديثي أنا سيد ولد آدم ولا فخر ولا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى : أن قوله أنا سيد ولد آدم انما هو اخبار عما اكرمه الله تعالى به من الفضل والسؤدد وتحدث بنعمة الله عنده واعلام

---

(١) رواه الامام البخاري في صحيحه في تفسير سورة الانعام باب ( يونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ) ١٩٣/٥

(٢) رواه البخاري في تفسير سورة النساء باب انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح ١٨٥/٥ .

(٣) السندي — البخاري حاشية السندي — ٢٤٤/٢

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٦١٨) في المناقب باب رقم (٣) وقال هذا حديث حسن عن ابي سعيد الخدري واخرجه الترمذي ايضا في كتاب التفسير في تفسير سورة الاسراء باب قوله تعالى ( عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ) الاية ( ٧٩ ) .

(٥) ابن حجر — فتح الباري باب قول الله تعالى (١٣٩) الصافات ( وان يونس لمن المرسلين ) — ٤٥٢/٦

(٦) ابن الاثير الجزري — جامع الاصول في احاديث الرسول — ٥٢٧/٨

لا متعبذلك ليكون ايمانهم به على حسب ذلك واما قوله في يونس عليه السلام فيحتمل ان يكون اراد بقوله لا ينبغي لعبد او لاحد غير نفسه او ان يكون عاما فيه وفي غيره من الناس فيكون هذا على سبيل الهضم واظهار التواضع لربه •

يقول : لا ينبغي لي ان اقول : انا خير منه لان الفضيلة التي نلتها كرامة من الله وخصوصيه منه لم أنلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها وانما يجب عليّ ان اشكر عليها ربي وانما خص يونس بالذكر لما قصه الله علينا من شأنه وما كان من قلة صبره على اذى قومه فخرج مغاضبا ولم يصبر كما صبر اولو العزم من الرسل

١• روى الامام مسلم[(١)] عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يعني الله تبارك وتعالى ( لاينبغي لعبد لي ) ( وقال ابن المثنى[(٢)] ) لعبدي ان يقول انا خير من يونس بن متى عليه السلام •

٢• وفي رواية ثانية لمسلم عن قتادة[(٣)] قال سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ( يعني ابن عباس ) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه الى ابيه •

٣• وفي رواية ثالثة عن ابي هريرة[(٤)] قال : بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئا كرهه او لم يرضه

---

(١) رواه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل رقم ( ٢٣٧٦ ) باب في ذكر يونس عليه السلام •

(٢) هو محمد بن المثنى بن عبيد عالم بالحديث من الحفاظ كان ثقة ثبتاً ولد في البصرة سنة ( ١٦٧ هـ ) وتوفي بها سنة ( ٢٥٢ هـ ) قال ابن ناصر الدين : حدث عنه الائمة الستة وابن خزيمة وابن صاعد قال ابن حيان كان صاحب كتاب لا يقرأ الا من كتابه ـ الاعلام ـ ٧/٢٤٠

(٣) رواه الامام مسلم في كتاب الفضائل في فضائل موسى عليه السلام

(٤) رواه الامام البخاري في تفسير سورة الاعراف عن ابي سعيد باب قوله تعالى ( ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ) ٥/١٩٦ •
ورواه الامام مسلم رقم ( ٢٣٧٤ ) في الفضائل باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم •

(١)
شك عبد العزيز قال لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر قال فسمعه رجل من الانصار فلطم وجهه قال تقول والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قال فذهب اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابا القاسم ان لي ذمة وعهدا وقال فلان لطم وجهي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لطمت وجهه قال قال يا رسول الله والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وانت بين أظهرنا قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال لا تفضلوا بين انبياء الله فانه ينفخ في الصور فيصعق من السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال ثم ينفخ فيه آخرى فاكون اول من بعث او في اول من بعث فاذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش فلا ادري أحوسب بصعقته يوم الطور او بعث قبلي ولا اقول ان احدا أفضل من يونس بن متى عليه السلام . (٢)
(٣)
قال الامام النووي : قوله صلى الله عليه وسلم ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى ) وفي رواية ان الله تعالى قال لا ينبغي لعبد لي يقول انا خير من يونس بن متى وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد يقول انا خير من يونس بن متى قال العلماء هذه الاحاديث تحتمل وجهين احدهما انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم انه افضل من يونس ثم ذلك قال انا سيد ولد آدم ولم يقل هنا ان يونس افضل منه او من غيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة التيمي المدني ابو عبد الله فقيه من حفاظ الحديث الثقات كان وقورا عاقلا اصله من اصبهان نزل المدينة ثم قصد بغداد فتوفي فيها سنة ( ١٦٤ هـ ) وصلى عليه الخليفة المهدي — الاعلام ٤/١٤٥—١٤٦

(٢) الامام النووي — صحيح مسلم بشرح النووي — ١٥/١٣٢ — ١٣٣ فضائل موسى عليه السلام .

(٣) هو محي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف النووي ولد سنة ٦٣١ هـ في نوا علامة بالفقه والحديث توفي سنة ٦٧٦ هـ ومن كتبه تهذيب الاسماء واللغات والمنهاج في شرح صحيح مسلم الاعلام ٩/١٨٤ — ١٨٥

والثاني انه صلى الله عليه وسلم قال هذا زجراً عن ان يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس صلى الله عليه وسلم من أجل ما في القرآن العزيز من قصته قال العلماء وما جرى ليونس صلى الله عليه وسلم لم يحطه من النبوة مثقال ذرة وخص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر واما قوله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس فالضمير في انا قيل يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يعود الى القائل أي لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادة او علم او غير ذلك من الفضائل فانه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة ويؤيده هذا التأويل الرواية التي قبله وهي قوله تعالى لا ينبغي لعبد أن يقول انا خير من يونس ابن متى والله أعلم .

وعن ابن عباس[1] ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا ينبغي لاحد ان يقول انا عند الله خير من يونس بن متى رواه الطبراني[2] وفيه ابو يحيى القتات وهو ضعيف وقد وثق .

---

(١) الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ ٨/٢٠٩ .

(٢) هو سليمان بن احمد بن ايوب ابو القاسم من كبار المحدثين اصله من طبرية الشام واليها نسبته ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفي في اصبهان سنة ٣٦٠ هـ له ثلاثة معاجم في الحديث الاعلام ٣/١٨١

وروى ابو داود عن قتاده عن ابي العاليه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى [1]

وروى ابو داود عن عبد الله بن جعفر [2] قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( ما ينبغي لنبي ان يقول اني خير من يونس بن متى [3]

وروى ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل يهودي والذي اصطفى موسى فرفع المسلم يده فلطم وجه اليهودي فذهب اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فأكون اول من يفيق فاذ موسى باطش في جانب العرش فلا ادري اكان ممن صعق فأفاق قبلي او كان ممن استثنى الله عز وجل [4] .

وقد تقدم مثله في البخارى ومسلم .

---

(١) رواه ابو داود في سننه رقم ٤٦٦٩ باب التخيير بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ٤/٢١٧ — ٢١٨ تحقيق محي الدين عبد الحميد دار احياء السنة النبوية — وتقدم مثله عند البخارى ومسلم .

(٢) هو ابو جعفر عبد الله بن جعفر بن ابي طالب القرشي الهاشمي وهو اول مولود في الاسلام بارض الحبشة باتفاق العلماء وكان كريما جوادا حليما وكان يسمى بحر الجود ولد سنة ١هـ وتوفي سنة ٨٠هـ بالمدينة وهو ابن ثمانين سنة
تهذيب الاسماء واللغات الجزء الاول من القسم الاول ص ٢٦٣ — ٢٦٤

(٣) رواه ابو داود في سننه رقم ٤٦٧٠ باب التخيير بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

(٤) رواه داود في سننه باب التخيير بين الانبياء ٤/٢١٨

روى الامام احمد عن قتادة قال سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه الى ابيه .(١)

وروى ايضا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(٢) ما من احد من ولد آدم الا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى عليه السلام

وروى الامام احمد عن قتادة عن ابي العالية قال :(٣) حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي لعبد قال عفان عبد في ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه الى ابيه .(٤)

اخرج الحاكم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :(٥) من قال اني خير من يونس بن متى فقد كذب . وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ انما اتفقا على حديث ابي العالية عن ابن عباس لا ينبغي لاحد ان يقول اني خير من يونس بن متى .

روى الامام مسلم في صحيحه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بوادي الازرق فقال أيّ واد هذا فقالوا هذا وادي الازرق قال : كأني انظر الى موسى عليه السلام هابطا من الثنية وله جؤار الى الله بالتلبية ثم اتى على ثنية هرشى فقال أيّ ثنية هذه قالوا ثنية هرشى قال كأني انظر الى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة وهو يلبي .(٦)

---

(١) رواه الامام احمد في مسنده في المناقب ٢٧/٤ تحقيق احمد محمد شاكر دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٥ هـ

(٢) رواه الامام احمد في مسنده في المناقب ٨٠/٤

(٣) رواه الامام احمد في مسنده في المناقب ٢٢٨/٤

(٤) هو الذى حدث الامام احمد بن حنبل عن حماد بن سلمة قال اخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رسول الله قال : ما من احد .. الخ

(٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب التاريخ ـ ٢ / ٥٨٤

(٦) رواه الامام مسلم في صحيحه في باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات .

٠١ جؤار بضم الجيم والهمز هو رفع الصوت ٠

٠٢ ثنية هرشى : هي بفتح الهاء واسكان الراء وبالشين المعجمة مقصور مقصورة الألف وهو جبل على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة ٠

٠٣ الجعدة : اى مكتنزة اللحم

٠٤ الخطام : بكسر الخاء فهو الحبل الذى يقاد به البعير يجعل على خطم ٠

٠٥ واما الخلبة : بضم الخاء المعجمة وبالباء الموحدة بينهما لام وهو الليف ٠

وروى (١) الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على ثنية فقال ما هذه قالوا ثنية كذا وكذا فقال : كأني انظر الى يونس بن متى على ناقة خطامها ليف وعليه جبة من صوف وهو يقول لبيك اللهم لبيك ٠ وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ٠

وجاء في منتخب (٢) كنز العمال عن ابي هريرة كأني انظر الى يونس بن متى عليه عباءتا ن قطوانيتا ن يلبي تجيبه الجبال والله عز وجل فيقول له لبيك يايونس هذا أنا معك ( قط ) في الافراد عن ابن عباس ( الافعال ) القطوانية العباءة البيضاء المنسوبة الى بلدة قطوان بلدة في العراق ٠

---

(١) رواه الحاكم في كتاب المستدرك على الصحيحين في التاريخ ـ ٢ / ٥٨٤
(٢) علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي ـ منتخب كنز العمال بهامش الجزء الرابع من مسند الامام احمد بن حنبل ص ٣٣٤

جاء في شرح العقيدة الطحاوية (١) : واما ما يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ( لا تفضلوني على يونس بن متى ) وان بعض الشيوخ قال (٢) : لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالا جزيلا فلما اعطوه فسره بان قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج وعدوا هذا تفسيرا عظيما • وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظا ومعنى فان هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه احد من اهل الكتب التي يعتمد عليها وانما اللفظ الذى في الصحيح لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي رواية ( من قال اني خير من يونس بن متى فقد كذب ) وهذا اللفظ يدل على العموم لا ينبغي لاحد ان يفضل نفسه على يونس بن متى • ليس فيه نهي المسلمين ان يفضلوا محمدا على يونس وذلك لان الله تعالى قد أخبر عنه انه التقمه الحوت وهو مليم اى فاعل ما يلام عليه وقال تعالى ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ) الانبياء ( ٨٧ ) فقد يقع في نفس بعض الناس انه اكمل من يونس فلا يحتاج الى هذا المقام اذ لا يفعل ما يلام عليه ومن ظن هذا فقد كذب بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ) كما قال اول الانبياء وآخرهم فأولهم آدم قد قال ( ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ) الاعراف ( ٢٣ ) وآخرهم وافضلهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح حديث الاستفتاح (٣) من رواية علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره بعد قوله ( وجهت وجهي ) آخره ( اللهم انت الملك لا اله الا انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب الا انت الى آخر الحديث وكذا قال موسى عليه السلام ( رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم ) القصص ( ١٦ ) وأيضا فيونس صلى الله عليه وسلم لما قيل فيه ( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت القلم ( ٤٨ ) •

---

(١) ابن ابي العز الحنفي [illegible] ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ ص١٧٢ ـ ١٢٣

(٢) الذى سئل هو امام الحرمين فقال لا اقول لكم وجه ذلك حتى ياخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها دينه حياة الحيوان الكبرى ـ للدميرى ص ٢٤٤

(٣) رواه الخمسة الا البخارى ـ التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول ١/١٨٢ ـ ١٨٣ عن علي كرم الله وجهه •

فنهي . نبينا صلى الله عليه وسلم عن التشبه به وامره بالتشبه بأولي العزم حيث قيل له ( فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ) الاحقاف ( ٣٥ ) فقد يقول من يقول ( أنا خير من يونس ) للأفضل ان يفخر على دونه فكيف اذا لم يكن افضل فان الله لا يحب كل مختال فخور وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال(١) ( اوحي الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغي احد على احد ) فالله تعالى نهى ان يفخر على عموم المؤمنين فكيف على نبي كريم ؟ فلهذا قال ( لا ينبغي لعبد ان يقول أنا خير من يونس بن متى ) فهذا نهي عام لكل احد ان يتفضل ويفتخر على يونس وقوله ( من قال اني خير من يونس بن متى فقد كذب ) فانه لو قدر انه كان افضل فهذا الكلام يصير نقصا فيكون كاذبا وهذا لا يقوله نبي كريم بل هو تقدير مطلق أي من قال هذا فهو كاذب وان كان لا يقوله نبي كما قال تعالى ( لئن اشركت ليحبطن عملك ) الزمر ( ٦٥ ) وان كان صلى الله عليه وسلم معصوما عن الشرك لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الاعمال . وانما اخبر صلى الله عليه وسلم انه سيد ولد آدم لأننا لا يمكننا ان نعلم ذلك الا بخبره اذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله كما اخبرنا هو بفضائل الانبياء قبله صلى الله عليهم وسلم اجمعين ولهذا اتبعه بقوله ( ولا فخر كما جاء في رواية )

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفه نعيمها واهلها في باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا اهل الجنة واهل النار عن عياض بن حمار رضي الله عنه .

# الباب الثاني

## في دعوة يونس عليه السلام

# الفصل الاول

## دعوته عليه الصلاة والسلام

الدَّعوة والدِّعوة والمَدعاة والمِدعاة لغة : مادعوت اليه من طعام او شراب الكسر في الدِّعوة لعدي بن الرباب وسائر العرب يفتحون وخص اللحياني (٢) بالدعوة الوليمة .
(١)

قال الجوهري (٣) : كنا في مدعاة فلان وهو مصدر يريدون الدعاء الى طعام وقال الله عز وجل ( والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ) (٤) دار السلام هي الجنة ودعاء الله خلقه اليها كما يدعو الرجل الناس الى مدعاة اى مادبة يتخذها وطعام يدعو الناس اليه وفي الحديث (٥) انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دعي احدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل وان كان صائما فليصل وفي العرس دعوة ايضا وهو في مدعاتهم كما تقول في عرسهم .

والدعاة لغة (٦) : قوم يدعون الى بيعة هدى او ضلال واحدهم داع ورجل داعية اذا كان يدعو الناس الى بدعة او دين ادخلت الهاء فيه للمبالغة والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله تعالى وكذلك المؤذن وفي التهذيب المؤذن داعي الله والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الامة الى توحيد الله وطاعته قال الله عز وجل مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن وولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا اجيبوا داعي الله سورة الاحقاف آية (٣١)

---

(١) ابن منظور - لسان العرب - ٩٨٧/١

(٢) هو علي بن حازم اللحياني له كتاب في النوادر وكان الفراء اذا املى كتابه في النوادر ودخل اللحياني امسك عن الاملاء حتى يخرج فاذا خرج قال : هذا احفظ الناس للنادر - البلغة ص ١٥٣

(٣) اسماعيل بن حماد الجوهري اخذ عن ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي وغيرهما . امام في النحو واللغة والصرف وخطه يضرب المثل جودة طاف ديار ربيعة ومضر وصنف الصحاح للاستاذ ابي منصور البيشكي ومات سنة ( ٣٩٨ هـ ) - البلغة ص ٣٦

(٤) سورة يونس - الآية ( ٢٥ )

(٥) رواه مسلم رقم ( ١٤٣١ ) ( ١٤٣٢ ) في النكاح باب الامر باجابة الداعي الى دعوة عن ابي هريرة وابو داود رقم ( ٣٧٤٢ ) في الاطعمة باب ماجاء في اجابة الدعوة والترمذي رقم ( ٧٨١ ) في الصوم باب ماجاء في اجابة الصائم الدعوة .

(٦) ابن منظور - لسان العرب - ٩٨٧/١

الدعـوة شـرعـاً (١) : الحث على الخيـر مطلقـاً من قـول أو فعـل مثل توحيـد الله وطاعتـه والامـر بالعدل والاحسـان وصلـة الرحـم واجتنـاب النواهي كالفحشـاء والمنكـر والبغـي .

فدعـوة يونـس : هـي حث قومـه على توحيـد اللـه وعبـادتـه وامتثـال اوامـره واجتنـاب نواهيـه وذلك بتطبيـق شـرعتـه ومنهاجـه الذيـن وضعهـا اللـه لهـم قـال تعالـى (٢) : ( لكل جعلنا منكـم شـرعـة ومنهاجـاً ) (٣) .

وارى ان تقسـيم دعـوة سـيدنـا يونـس كغيره من الرسـل البـررة الى اربعـة اركـان اشـرحهـا بشـيء من التفصيـل :

---

(١) بحثت في بعض كتب الدعـوة ولم اعثر على تعريف للدعـوة شـرعاً مثل اصول الدعـوة للدكتور عبد الكريم زيدان وكتاب دعوة الرسـل لمحمـد احمد العدوى وكتاب بين الرعاة والدعـاة لمحمـد محمود الصواف لذلـك رأيت ان اعرفـه بهـذا التعريف .

(٢) سـورة المائـدة ـ الآيـة ( ٤٨ )

(٣) قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآيـة الخطاب في قولـه لكل جعلنا منكم شـرعة ومنهاجاً . خطاب للامـم الثلاث ( امة موسـى وامـة عيسـى وامـة محمـد ) عليهم السـلام بدليـل ان ذكر هؤلاء الثلاثـة قد تقدم في قولـه ( انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيـون ) ثـم قال ( وقفينـا على آثارهـم بعيسى ابن مريـم ) ثـم قـال ( وانزلنـا اليـك الكتـاب ) ثـم قال ( لكل جعلنا منكم شـرعة ومنهاجاً ) تفسير الرازي ـ ١٢/١٢ .

الشريعة فعلية بمعنى مفعول وهي الاشـياء التي أوجبها اللـه على المكلفيـن أن يشـرعوا فيهـا .

المنهاج . هـو الطريق الواضـح يقال نهجت لك الطريق وانهجت أي اوضحـت .

## اركان دعوة يونس عليه السلام :

الركن الاول : الداعية وهو سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام

الركن الثاني : موضوع الدعوة وهو الدين الذى جاء به يونس عليه السلام

الركن الثالث : المدعوون وهم قوم يونس عليه السلام .

الركن الرابع : منهجه وطريقته بالدعوة الى الله .

### الركن الاول :

الداعية وهو رسول الله يونس عليه السلام الذى ارسله الله الى اهل نينوى بعد ان تمادوا في كفرهم وعاثوا في الارض مفسدين قال الله تعالى ( وان يونس لمن المرسلين ) الصافات ( ١٣٩ ) وقال الله تعالى ( وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ) سورة الصافات ( ١٤٧ ) ويرجع سبب اختيار الله له عليه السلام لهذه المهمة الى علمه انه من اكمل الناس عقلا واطيبهم اصلا واقواهم شكيمة واحسنهم سلوكا فشرفه الله برتبة النبوة وقلده وسام الرسالة وذلك لاقامة الحجة على الظالمين وغيرهم ممن يحتذرون عن عدم وصول رسول اليهم يخبرهم بآيات الله واحكامه وينذرهم لقاء يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

قال تعالى ( يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ) الانعام ( ١٣٠ )

### الركن الثاني :

موضوع الدعوة ، هو الاسلام ويتضمن :

١. التوحيد بقسميه الربوبية والالوهية . [redacted]
٢. عمل الصالحات وترك المنكرات
٣. تقرير الجزاء على الاعمال الحسن منها والقبيح او بعبارة اخرى بشارة الطائعين وانذار العاصين .

فالاسلام الذى دعا اليه يونس عليه السلام هو الاستسلام التام والانقياد والخضوع لرب العالمين لا عن طريق الاكراه كما قال تعالى ( لااكراه في الدين ) البقرة ( ٢٥٦ ) بل عن اقتناع وطيب نفس واختيار لان الخضوع القسري لا يكون الا لله الواحد القهار وذلك لان كل مخلوق مهما بلغ من الذكاء والفطنة كالانسان مثلا او قوة البدن كالأسد خاضع لله لاريب في ذلك سواء في وجوده وبقائه ام في موته وفنائه • قال تعالى ( أفغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون ) آل عمران ( ٨٣ )

الشهادة : (١)

قال ابن تيميه : الاخبار بالشيء عن علم به واعتقاد لصحته وثبوته ولا تعتبر الشهادة الا اذا كانت مصحوبة بالاقرار والاذعان وواطأ القلب عليها اللسان فان الله قد كذب المنافقين في قولهم ( نشهد انك لرسول الله ) مع انهم قالوا بألسنتهم •

ولا اله الا الله : هي كلمة التوحيد التي اتفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم وما من رسول منهم الا جعلها مفتتح امره وقطب رحاه •

ومعنى الأله : (٢) أَلِهَ • أَلَهَ فلان إِلاهَةً وأُلوهةً وأُلوهِيَةً عَبَدَ الاله : كل ما تخذ معبوداً .

ويطلق الاله على المعبود بحق كقوله تعالى ( فاعلم ان لااله الا الله واستغفر لذنبك ) سورة محمد ( ١٩ ) اما اله فعلى المعبود بباطل كما قال تعالى ( أفرأيت من اتخذ الهه هواه ) الفرقان ( ٤٣ ) • وقال تعالى ( وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء ) هود ( ١٠١ ) •

---

(١) محمد خليل هراس ـ شرح العقيدة الواسطيه لشيخ الاسلام ابن تيميه ـ ص١١ الطبعة (٤) مؤسسة مكة للطباعة والاعلام •

(٢) المعجم الوسيط ـ ١/٢٤ مجمع اللغة العربية

معني كلمة التوحيد : اشهد ان لا اله الا الله : اني اعلم واعتقد واقر واعترف انه لا معبود يستحق العبادة اطلاقا الا الله

لانه هو المعبود الحق ويجب اظهار ذلك على لساني واعمل بمقتضى هذه الشهادة في كل سلوكي وتصرفاتي علما بان افراد الخالق وحده بالعبادة يسمى توحيد الألوهية والذى يتضمن توحيد الربوبية والمقصود بتوحيد الربوبية ان الله تعالى وحده خالق كل شيء وتوحيد الألوهية هو استحقاقه سبحانه وتعالى ان يعبد وحده لا شريك له وبهذا بعث جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى ( وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ) الانبياء ( ٢٥ )

وقال تعالى ( ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل الحج ( ٦٢ ) • وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الالوهية وهذا يقتضي افراده سبحانه بالعبادة لانه هو المعبود بحق وان غيره لا يستحق ذرة من تقديس او عبادة •

قال الشاعر :

وفي كل شيء له آية : تدل على انه واحد

وقال آخر :

تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الاعلى اليك رسائل

وقد كان فيها لو تأملت خطها الا كل شيء ما خلا الله باطل

واشهد ان يونس رسول الله :

ومعناها اني اعلم واصدق واعتقد اعتقادا جازما لا شائبة به ان يونس مرسل من عند الله مع نطق هذه الشهادة باللسان وتطبيقها في السلوك والعمل •

وبعد هذه الشهادة وذلك التوحيد كان موضوع دعوته ينصب على الايمان بالملائكة والكتب السماوية والرسل الكرام والبعث بعد الموت ويؤيد ما اقول

(١)
ماقاله ابن القيم :

فالرسل متفقون قطعا في اصول الدين دون شرائع الايمان
كل له شرع ومنهاج وذا في الامر لاالتوحيد فافهم ذان
فالدين في التوحيد دين واحد لم يختلف منهم عليه اثنان
...... الى ان يقول رحمه الله :
وكذلك نقطع انهم ايضا دعوا للخمس وهي قواعد الايمان
ايماننا بالله ثم برسله وبكتبه وقيامة الابدان
وبجنده وهم الملائكة هم رسله لمصالح الاكوان

وعلى كل ماتقدم ينصب الثواب والعقاب فاذا اراد الانسان التوفيق والرشاد فما عليه الا الانقياد الى شرع الله بنفس مطمئنة راضية وقلب مؤمن صادق ولسان رطب بذكر الله مع التعلق بين الخوف من بطش الله تعالى والرجاء لرحمته واحسانه وبهذا الذل والخضوع لله مع المحبة الخالصة له وحسن التوكل عليه يكون الانسان ملكا في صورة آدم وجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام جاؤوا بالاسلام والدعوة اليه قال تعالى ( ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ءام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ) البقره ( ١٣٢ ، ١٣٣ )
وقال تعالى ( ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ) لقمان ( ٢٢ )
وقد دعا ابراهيم عليه السلام لنفسه ولابنه اسمعيل ولذريتهما بالاسلام فقال ( ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ) البقرة ( ١٢٨ )
وقال نوح عليه السلام ( وامرت ان اكون من المسلمين ) يونس ( ٧٢ )
وقال يوسف عليه السلام ( فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ) يوسف ( ١٠١ )
وقالت ملكة سبأ عند ما جيء بها ورأت صرح سليمان قالت ( رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) النمل ( ٤٤ )

---

(١) عبدالعزيز المحمد السلمان — الكواشف الجلية — ص ٦٩

وقال موسى ( يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ) يونس ٨٤
وقال الحواريون من قوم عيسى عليه السلام ( قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون ) المائدة ( ١١١ ) .

والاسلام في كل هذا معناه الاستسلام والانقياد الى الله ثم صار علما على ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما يطلق اسم عبدالله على كل انسان ثم يخصص بشخص ممهن يدعونه بعبدالله .

واخيرا اوصى الله المؤمنين الايمان بالرسل جميعا وان الذى آمن من اهل الكتاب بمثل ايمانكم فقد هدى الى صراط مستقيم وان اعرض فهو في خلاف معكم وان عاقبته الخسران .

قال تعالى ( قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق ) سورة البقرة ( ١٣٦ ، ١٣٧ )

ومما تقدم يتبين لنا ان يونس عليه السلام دعا الى الاسلام كاخوانه الرسل عليهم الصلاة والسلام وصدق تعالى بقوله ( ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ) آل عمران ( ٨٥ )

## ٢ ـ عمـــل الصالحات وترك المنكـــرات :

اختار الله رسله الكرام على علم واصطنعهم لنفسه ربّاهم على عينه حفظهم قبل بعثتهم بقدرته وسلطانه عندما انقذهم من طغيان وضلال اقوامهم وحفظهم بعد نبوتهم بلطفه واحسانه وذلك عندما رسّخ فيهم حب الخير والايمان وزينهما في قلوبهم وجعل عقولهم حاكمة على تصرفاتهم فلا يصدر منهم حكم الا عن تعقل وفهم واقتناع واكرمهم بالوحي الذى جعله الله حاكما على عقولهم فكما انه جعل عقولهم حاكمة على عواطفهم جعل الوحي حاكما على عقولهم لان العقل البشري مهما بلغ من كمال فانه ناقص لانه مخلوق ولا كمال الا للخالق العظيم جل جلاله ومن نعم الله على انبيائه ان جعل عواطفهم مشحونة بالحب الالهي والتعلق الرحماني فعصمهم سبحانه عن المعاصي •

انطلق يونس عليه السلام يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ولسان حاله يقول ( قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ) يوسف ( ١٠٨ ) فبعد ان ارسى قواعد التوحيد في قلب من آمن برسالته واعلن التبرؤ من عبادة الطاغوت كما هو دأب الانبياء السابقين والرسل المكرمين قال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) سورة النحل ( ٣٦ ) والطاغوت كل ما عبد من دون الله من الانس والجن والاصنام ويطلق كذلك على الشيطان والكاهن والساحر كما يراد به كل رأس في الضلال يصرف الناس عن طرق الخير •

ولما كان يونس من اهل الكتاب فلا شك انه دعا قومه الى توحيد الله كما دعا الى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة قال تعالى ( وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة • وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ) البينة ( ٤ ، ٥ )

قال القرطبي[1]: قوله تعالى ( حنفاء ) اى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وكان ابن عباس يقول حنفاء على دين ابراهيم عليه السلام

---

(١) القرطبي ـ احكام القرآن ـ ٢٠/١٤٤

وقيل الحنيف من اختتن وحج قاله سعيد بن جبير .
وقال القرطبي : ويقيمون الصلاة أي بحدودها في اوقاتها ويؤتوا الزكاة أي يعطوها عند محلها وذلك دين القيمة أي ذلك الدين الذي امروا به دين القيمة اي الدين المستقيم وقال الزجاج اي ذلك دين الملة المستقيمة .
وامرهم بالصيام كما قال تعالى ( يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ) البقره ( ١٨٣ ) .
قال ابن كثير (١) : وقد روي ان الصيام كان اولا كما كان عليه الامم قبلنا من كل شهر ثلاثة ايام عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وعطاء وقتادة والضحاك بن مزاحم وزاد لم يزل هذا مشروطا من زمان نوح الى ان نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان وقال الحسن البصري ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .... اياما معدودات ) فقال والله لقد كتب الصيام على كل امة قد خلت كما كتبه علينا شهرا كاملا واياما معدودات عددا معلوما ) وروى عن السدي نحوه .
اما كيفية صومهم فقد روى (٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كتب عليهم اذا صلى احدهم العتمة ونام حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى مثلها قال ابن ابي حاتم وروى عن ابن عباس وابي العالية وعبد الرحمن بن ابي ليلي ومجاهد وسعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والربيع بن انس وعطاء الخرساني نحو ذلك .
وكان يونس عليه السلام قدوة في كل خير من اطعمة المحتاجين كالارامل والايتام والفقراء وكان حسن الجوار طيب السمعة اذا حدث صدق واذا وعد اوفى بوعده واذا أئتمن حافظ على الامانة حتى يردها كما اخذها وكان يحب الذكر والعبادة منذ ان كان صبيا قبل نبوته ونما ذلك الحب بعد نبوته وازداد وكان يحب العباد والزهاد ويسأل عنهم ويتردد اليهم فقد ذكر ابن قتيبة (٣) : ان يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه يقول متعتني ما شئت وسلبتني حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يابار ياوصول .

---

(١) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ ٢١٣/١
(٢) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ ٢١٣/١ ـ ٢١٤
(٣) ابن قتيبة الدينوري ـ عيون الاخبار ـ ٢٩٢/٢ نسخة مصوره عن مطبعة دار الكتب

وكان عليه السلام يحذر الناس من الكذب والخيانة والقتل ويوصي بحفظ الانفس وما يفقد العقل كالمخدرات النباتية مثلاً وكان حريصاً اشد الحرص على حفظ الاعراض وصيانة الانساب كما انه كان لا يقبل التبذير والاسراف وينهى عن البخل والشح وكان يوصي بصلة الرحم والرفق بالخدم والعبيد وينهى عن الظلم والبغي والفحشاء والكبرياء وكان يوصي بالصبر عند البلاء والرضا بالقضاء وشكر النعم في الرخاء .

تحذف هذه العبارة

والذي يؤيد ما قلته ان قومه عندما رأوا صدق دعوته وحسن سيرته فبالرغم من غيابه وبمجرد رؤيتهم أمارات العذاب تابوا الى الله وتراد وا المظالم وطبقوا ما اوصاهم به من شرعة ومنهاج ولهذا اكرمهم الله بكشف عذاب الخزي عنهم ومتعهم الى حين انقضاء آجالهم .

٣ـ البشارة للطائعين والانذار للعاصين :

قال تعالى ( وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ) الكهف ( ٥٦ )

وقال تعالى ( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ) النساء ( ١٦٥ ) سبق ان تكلمت عن تفسير هذه الآية ولكن لابد من الاشارة الى معنى التبشير والانذار فنقول بشر فلانا بالامر فرحه به والبشارة الخبر السار لا يعلمه المخبر به فاذا بلغه ذلك استبشر أى فرح وسر اما الانذار نقول انذره الشيء اعلمه به وخوفه منه والانذار التحذير والتخويف والآية التي بين ايدينا وضحت لنا مهام الرسل وواجباتهم فهم مأمورون بتبليغ الاحكام والاوامر الالهية الى اقوامهم او الى من بعثهم الله اليهم فهم أخشى الناس لله واتقاهم واعلمهم باوامر الله ونواهيه قال الله تعالى ( الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ) الاحزاب ( ٣٩ )

وقد ادى الرسل المقربون الكرام واجباتهم على اتم وجه واكمله فلم يتخلف منهم احد عن اداء رسالته .

قال تعالى ( اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) الانعام ( ٩٠ )

نعم انار الرسل دياجير الظلام ونشروا لواء التوحيد واقاموا العدل ونصروا المستضعفين في الارض وقضوا على الرذائل قدر ما استطاعوا واشاعوا الفضيلة ولم يكتفوا بهذا بل وضحوا لاقوامهم واممهم فضائل الصالحات وما اعد الله لاهلها وانذروا وحذروا من المعاصي وبينوا ما اوعد الله لاهلها وكانوا يزهدون في الدنيا ويقولون كما قال تعالى ( اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ) الحديد ( ٢٠ ) وقال تعالى : ( وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ) العنكبوت ( ٦٤ ) .

وكان الرسل عليهم صلوات الله وسلامه يصفون الجنة وحدائقها ونعيمها وحواريها وان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وكان سيدنا يونس يرغب قومه كذلك كما كان يبين لقومه ان الجنة تأخذ زينتها وبهجتها كما تتزين العروس ليلة زفافها للطائعين العابدين الشاكرين وانها تشتاق للمتقين وتدنوا لهم .

قال تعالى ( وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد ) سورة ق ( ٣١ ) وان الملائكة تستقبل اهل الاحسان والورع والصبر من المحسنين المقربين وتقول لهم ( ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ) ق ( ٣٤ ، ٣٥ ) . وبعد ان بشر نبي الله يونس المؤمنين الطائعين الفائزين بما اعد الله لهم من النعيم المقيم انذر المكذبين الضالين وقص عليهم اخبار الامم الخالية وكيف حاق بهم العذاب بسبب تكذيب رسلهم وضرب لهم الامثال مثل قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وقوم لوط قال تعالى ( كل كذب الرسل فحق وعيد ) ق ( ١٤ ) ووصف لهم النار باهوالها وشدائدها وبين لهم نوع وقودها كما وصف لهم الملائكة الذين وكلهم الله بعذاب الكافرين وهم غلاظ شداد لا يعصون لله امرا ابدا ثم حدثهم عن كيفية القاء المشركين والكافرين جهنم عندما يأمر الله الملائكة بقوله ( القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب ) ق ( ٢٤ ، ٢٥ ) واخيرا شرح لهم ان جهنم مستعدة لقبول كافة المنحرفين عن جادة الحق من عباد الاصنام والاوثان والانسان والكواكب كما قال تعالى ( يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد ) ق ( ٣٠ ) وبعد الانتهاء من الركن الثاني من اركان دعوة يونس عليه السلام انتقل الى الركن الثالث .

الركن الثالث المدعون وهم قوم رسول الله يونس عليه السلام الذين دعاهم للايمان بالله ونبذ عبادة غيره من الآلهة المزعومة الباطله قال تعالى ( واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله ) البقره ( ٨٣ ) وكان يذكرهم قول ابراهيم كما قال تعالى ( انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون ) العنكبوت ( ١٧ ) ولابد من سؤال هنا من الذي يستجيب لمثل هذه الدعوة ؟ واجاب سبحانه وتعالى بقوله ( انما يستجيب الذين يسمعون ) ٣٦ الانعام وقال السيد قطب (١) في تفسيره ان الناس يواجهون هذا الحق الذي جاءهم به الرسول من عند الله وهم فريقان فريق حي أجهزة الاستقبال الفطريه فيه حيه عاملة مفتوحة وهؤلاء يستجيبون للهدى فهو من القوة والوضوح والاصطلاح مع الفطره والتلاقي معها الى الحد الذي يكفي ان تسمعه فتستجيب له انما يستجيب الذين يسمعون وفريق ميت معطل الفطره لا يسمع ولا يستقبل ومن ثم لا يتأثر ولا يستجيب • ليس هذا الحق لا يحمل دليله فدليله كامن فيه وحتى يبلغ الى الفطره وجدت فيها مصادقة فاستجابت اليه حتما انما الذي ينقص هذا الفريق من الناس هو حياة الفطره وقيام اجهزة الاستقبال فيها بمجرد التلقي وهؤلاء لا حيلة فيهم للرسول ولا مجال معهم للبرهان انما يتعلق امرهم بمشيئة الله ان شاء بعثهم ان علم منهم ما يستحق ان يحييهم وان شاء لم يبعثهم في هذه الحياة الدنيا وبقوا أمواتا بالحياة حتى يرجعوا اليه في الآخرة والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون •

هذه هي قصة الاستجابة وعدم الاستجابه : تكشف حقيقة الموقف كله وتحدد واجب الرسول وعمله وتترك الامر كله لصاحب الامر يقضي فيه بما يريد • فيتضح لنا مما تقدم من هو المستجيب المنتفع ومن هو المعرض الخاسر •

وقال الفخر الرازي (٢) في تفسير هذه الايه : اعلم انه تعالى بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان ولا يتركون الكفر فقال : انما يستجيب الذين يسمعون يعني الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون انما يستجيب من يسمع كقوله تعالى ( انك لا تسمع الموتى ) النمل ( ٨٠ ) •

---

(١) سيد قطب — في ظلال القرآن — ٧ ص ١٠٧٩
(٢) الفخر الرازي — التفسير الكبير — ١٥/٢٠٩

## الحالـــــــة الدينيـــــــة :

وأرى قبل الحديث عن الركن الرابع وهو طريقته في الدعوة ان اقدم لمحة عاجلة عن الحالة الدينية في عصره عليه السلام .

كان قوم يونس كما مر بنا يعبدون آلهة كثيرة ويرجع السبب في ذلك الى خوفهم من قوى الطبيعة فأي قوة بنظرهم اقوى او أنفع او اخطر يمثلون لها الهة يلوذون بها عند الكربات والمحن هذا من جهة كما جعلوا لعظمائهم وسادتهم الكبار الهة من جهة ثانية كذلك للحب والوفاء الهة كما جعلوا الهة للسماء وللارض السفلى والهواء وجعلوا للسحر ولعلوم عصرهم الهة بل للكتابة والقلم والحرب جعلوا الهة اخرى وسأذكر نماذج للآلهة التي عبدوها في ذلك العصر كما جاءت في كتاب مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (١) .

١. الاله آشور : وهو الاله القومي للاشوريين ومع ان الاشوريين قد سوا وعبدوا معظم الآلهة السومرية ـ البابلية الا انهم خصوا الاله اشور بالتعظيم والعبادة ويرجح ان اسم الاشوريين من اسم هذا الاله وعندما اسس الاشوريون مملكة قوية عظم شأن الههم اشور وصار على رأس الالهة البابلية والاشورية ويمثل الاله اشور عادة بانسان يطير بجناحين وبيده القوس والسهم والجناحان تنبعثان من قرص الشمس .

٢. الاله آنو : عبد آنو في جميع انحاء العراق وفي جميع الادوار التاريخية وعبده الاشوريين وشيد الملوك الاشوريون للآنو معبداً في مدينة أشور وقد نعته العراقيون القدماء بابي الالهة وتمثل السماء .

٣. انليل : ويأتي بعد آنو في المرتبة والمنزلة وهو الاله الخاص بالهواء والجو والظواهر المتعلقة بهما وكان اعظم اله عند السومريين والبابليين

٤. أيا : اله العلوم والسحر : قدس الاله ايا في جميع انحاء العراق ـ السومريون والبابليون والآشوريون .

٥. الاله نبو : وهو اله الكتابة والقلم وكذلك اله المعرفة والحكمة ـ وسكرتير الآلهة في مجالسها المقدسة عبده العراقيون القدماء وظلت اهميته عظيمة في بلدان امبراطوريتي البابليين والآشوريين . امبراطورية بابل و آشور

---

(١) الاستاذ طه باقر ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ القسم الاول ص ٢٤٧ الطبعة الثانيـــــة .

٦. الاله سين : اله القمر باسم الاله عند السومريين والبابليين ( سين ) وعند الآراميين شهر وهناك شواهد على استمرار عبادته حتى القرن السادس قبل الميلاد وعبده الاشوريون وبلغ عندهم مبلغا بحيث ان الملوك الآشوريون قد عينوا ابناءهم وبناتهم ليكونوا كهنة له •

٧. الاله الشمس ( شمش ) : ويلي الاله القمر في المنزلة وقد ولدت الشمس عن القمر عبدالآشوريون هذا الاله وشيدوا له بعض المعابد مع العلم انه عبد من قبل السومريين وسموه باسم ( اوتو ) وكذلك البابليين وسموه ( شمش ) • والاشوريون سموه شمش •(١)

٨. الاله ادد : اله العواصف والرعد قدسه الآشوريون وعبدوه وشيدوا له معبد في بلاد آشور ويرجح كثيرا ان اصل هذا الاله من الساميين الغربيين في جهات سوريا • وعبده الحثيون باسم ( تشوب ).

٩. عشتار : وهي الالهة التي اشتهرت بكونها آلهة الحب وآلهة الحرب وقد احتلت مكانا بارزا في ديانة سكان العراق الاقدمين وقد عبدت من قبل السومريين باسم ( انانا ) وعبدت من قبل الاكديين والآشوريين الساميين باسم عشتار وعرفت باسم عشتارو • وعشتاريت عند الاقوام السامية الاخرى واخذ عبادتها الاغريق وسموها باسم ( افروديت ) وعبدها الرومان باسم ( فينوس ) وقال الدكتور عبدالعزيز صباغ : استعار رجال دينها ( آشور ) بعض صفات مردون رب بابل وخلعوها على معبودهم آشور وادعوا ان مردون خصص من اجله منذ الازل آلهة الاقاليم الاربعة حتى يمجدوه ولا يتهيب من عبادته احد واعتبروا عشتار زوجه له ولقبوها بعليت اي السيدة او الملكة وخلعوا عليها طابع الحروب وصوروها بقوس وسيف •(٢)

١٠. نوجال : آلهة الارض السفلى : عبده الاشوريون وشيد له بعض ملوكهم مثل سنحاريب معابد في شمال العراق •

---

(١) اثبت العلم في هذا العصر ان القمر يستمد نوره من الشمس بخلاف ما كان عليه العرف في ذلك العصر •

(٢) الدكتور / عبدالعزيز صباغ ــ الشرق الادنى القديم ( مصر والعراق ) ٤٩٨/١ القاهره ــ الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية سنة ١٩٦٧

## الركن الرابع : منهجه وطريقته بالدعوه :

الحقيقة التي اريد ان اوضحها للقارئ الكريم ان منهج رسول الله يونس وطريقته في الدعوة لم تختلفا عن مناهج وطرق باق الرسل الكرام ولو كان ثمة خلاف في ذلك لذكره الله عز وجل في كتابه العزيز وعند قراءتنا لسيرة هذا الرسول الكريم ودعوته لم نعثر الا على بيان عقابه في حبسه في بطن الحوت وبيان السبب في ذلك من انه كان قليل الصبر على قومه وخرج مغاضبا قبل ان يأذن الله له بالخروج من بينهم ولذلك حذر الله رسوله محمدا من ان يقع بمثل ما وقع به يونس عند دعوته لقومه فقال تعالى ( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ) ( ن ) ( ٤٨ ) أى حثه على الثبات في مجال الدعوة وعدم الفرار من قومه والطريقة التي اتبعها رسول الله يونس في تبليغ دعوته هي احدث طريقة توصل اليها علماء النفس لمعالجة المرضى في هذا العصر لان الرسل عليهم الصلاة والسلام يعالجون امراض العقيدة والنفس والسلوك واطباء النفس يقتصرون على علاج امراض النفس والاعصاب وشتان بين الفريقين لان الفريق الاول ان اصاب فيها ونعمت وان لم يصب نزل الوحي من عند الله ليبان الصواب اما الفريق الثاني ان اصاب كان خيرا وان لم يصب كان ضحية خطئه المريض • (١)

ومناهج العلاج عند علماء النفس هي التشخيص السيكولوجي وذلك بانتقاء الوسائط العلاجية المناسبة وتحقيقا لهذه الاهداف ينبغي استجلاب المعلومات بصدد الجوانب الاربعة الكبرى الآتية ١ ـ وصف السلوك الراهن ٢ ـ التاريخ ثم الحالة البدنية والسيكولوجيه ٣ ـ التاريخ ثم الحالة النفسية والاجتماعية ٤ ـ عينات من السلوك • هذا وان مقدار المعلومات اللازمة في كل من هذه الجوانب او مدى ما تنطوى عليه من اكتمال ليختلف من حالة لأخرى وفقا لطبيعتها • فالانبياء عليهم السلام اذا ارسلوا الى قوم درسوا احوال سلوك الافراد لمعرفة الامراض والاوبئة والعلل الاجتماعية المنتشرة فيهم مثل ، الكفر الزنا ، القتل ، السرقة ، الكذب ، قطع الطريق ، السحر والغش •••

---

(١) جمع من المؤلفين باشراف ج • ب جيلفورد ترجمة جمع من الدكاترة اشراف الدكتور يوسف مراد ٢ / ٦٣٨ ـ ميادين علم النفس ٦٣٨ دار المعارف بمصر ١٩٧٠

وما شابه ذلك ثم يدقق الرسل في فحص ضروب السلوك لان منها ما يقتضي نضجا بدنيا فضلا عن المران والخبره كالسرقة مثلا فانها تحتاج الى جرأة وخفة وسرعة بديهه وكذلك قطاع الطرق يجب ان يكونوا اقوياء لعلمهم بانهم قد يتعرضون لا ناس شجعان لا يخافون ان وقع عليهم الموت او وقعوا عليه ولان من العلل البدنية ما قد يكون على قدر بالغ من الاهمية في تفسير سلوك الفرد على نحو صحيح ودراسة سلوك الفرد يقرر اتجاهه في الحياة ونظراته اليها واخيرا دراسة عينات او نماذج من السلوك عن طريق الاختبار السيكولوجي لان المريض حيث يعطى اختبارا سيكولوجيا يكشف به عن اسباب المرض ٠

فاذا عرفت الاسباب سهل العلاج

ومثال ذلك : الكفر بالله هو الجحود وسببه اما الجهل او التقليد والاتباع او المصلحة فالجهل سبب لعدم الايمان بالله لان الجاهل لم يفهم الادلة والبراهين في اثبات وجود الله ووحدانيته او لجهله يلزم جانب العناد فيبقى على الكفر بالرغم من وضوح الادلة لديه ٠

والتقليد كما قال تعالى (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ) الزخرف ( ٢٢ ) ٠

وقال تعالى ( انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ) الزخرف ( ٢٣ )

والمصلحة : (كسدنة الآلهة) فهؤلاء يعرضون عن الايمان لان مصالحهم تتوقف على عبادة هذه الآلهة الباطلة ولو آمنوا لحرموا من تلك الهدايا والقرابين التي تقدم لهم ٠

ومثال آخر : الزنا سببه فرط الشهوة الجامحة او قلة المال للزواج اوحب الرذيلة وغير ذلك ٠

والكذب سببه الخوف او حب الظهور او غير ذلك ٠

وكل ذلك امراض اجتماعية وانماط سلوكية منحرفة جاء يونس عليه السلام لعلاجها وفقا لما جاء به من تعاليم كما قال تعالى ( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ) المائدة ( ٤٨ ) ٠

وهكذا بدأ عليه السلام يعرض نفسه على الناس في مجالسهم ومتاجرهم ومزارعهم ومصانعهم يدعو الى الله ويحثهم على التأمل في ملكوت السموات والارض ويذكرهم بالاقوام الذين كذبوا رسلهم كيف كانت عاقبتهم كيف طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم

(١)
يتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خالية عمرتها الذئاب العاوية واهاب
(٢)
بقومه الجاهلين ان يرشوا بعقولكم عن عبادة الاصنام وكرموا جباهكم ان تسجد
لهذه الاوثان وتبصروا في انفسكم وانعموا النظر فيما حولكم وما يحيط بكم تجدوا وراء
هذا الكون البديع الها كبيرا فردا صمدا جديرا بان يخص بالعبادة ويقصد
وحده بالتقديس ارسلني هداية لكم ورحمة بكم لأدلكم عليه وارشدكم اليه
اذ كان الجهل قد ران على قلوبكم فلم تتبصروا وغشى على بصائركم فلم تتدبر فدهش
القوم ان سمعوا قولا لم يألفوه وحديثا عن إله لم يعرفوه وكبر عليهم
(٣)
ان يروا واحدا كان منهم فخرج عليهم ورجلا من عامتهم ينصب نفسه رسولا
عليهم وهاديا لهم قالوا ما هذا القول الذي تهذر به والبهتان الذي تدعو
اليه هذه الآلهة عبدها آباؤنا من قبل ونعبدها نحن اليوم .
وما الذي حدث في الكون او ظهر من الاحداث حتى نترك هذا الدين الذي نعتقده
ونستريح اليه الى دين ابتدعته واخترعته وجئت تدعو اليه وتجاهد فيه قال
ياقوم ارفعوا عن عيونكم غشاوة التقليد ومزقوا عن عقولكم نسيج الاوهام
ودعاهم الى شهادة ان لا اله الا الله وانه رسول الله والايمان بالرسل
قبله وبكتبهم وبالبعث بعد الموت كما دعاهم للايمان بالملائكة .
واخذ يسرد الادلة والبراهين على كل ما يقوله من حقائق ساطعة في اثبات
وجود الله ووحدانيته بالقول وكان مثالا للنبل في اخلاقه وعمله فلما
لم يجد من يستجيب له بالرغم من المواعظ والحكم انذرهم حلول العذاب
وغادر القرية وركب سفينة فهاج البحر واقترعوا فوقعت القرعة عليه ثلاث
مرات ثم القي في البحر فالتقمه الحوت وهو مليم .

---

(١) محمد احمد جاد المولى — قصص القران — ص ١٤٠ — ١٤١ الطبعة الاولى مطبعة الاستقامة ١٣٥٦ / ١٩٣٧

(٢) المراد بالجاهلين هنا الجهل بعبادة الاله الحق وهو الله سبحانه وتعالى لا الجهل ضد العلم والمعرفة فانهم كانوا قد بلغوا القمة في علوم زمانهم

(٣) قوله كان منهم فيه نظر لانه كان من اهل فلسطين وارسله الله الى اهل نينوى فدعاهم الى عبادة الله الواحد الاحد كما رجحنا ذلك سابقا .

## النتائج التي تمخضت عنها دعوته عليه السلام

٠١ قوبلت دعوته بادئ ذي بدء بالتكذيب الا انه انذرهم حلول العذاب وغادر القرية ٠

٠٢ عندما رأوا امارات العذاب تابوا الى الله عن بكرة ابيهم واستقاموا على طريق الخير والايمان ٠

٠٣ اعيد اليهم رسولهم ليكمل اداء رسالته من تبليغ الاحكام والعبادات والمثل فعاش بين اظهرهم معززا مكرما مهيب الجانب مربيا ومرشدا

٠٤ كشف الله عن قومه عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعهم الى انقضاء آجالهم ومن يكرمه الله في الدنيا بكشف العذاب عنه فلاينساه بالآخره من الرحمة والرضوان وادخال الجنان لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين ٠

## كيف نستفيد من قصة يونس ودعوته في مجال الدعوة المعاصرة

١ ـ اختيار الدعاة : فكما ان الله اختار رسله واصطفاهم من بين البشر اجمعين يجدر بنا ان نختار الدعاة الى الله تعالى ولا يعني هذا ان غير هؤلاء الدعاة غير مكلفين بالدعوة ولكن هناك خصائص او شروط يجب توافرها في الدعاة المثاليين منها العلم وقوة الايمان والغيره على الدين والقدره على تأليف القلوب وكونهم محبوبين ثقات عند من يدعونهم واسعي الصدر اقوياء الملاحظة وغير ذلك كما اشرت سابقا .

والا فالدعوة واجبة على كل مسلم ومسلمة في كل الاوقات وجميع الاحوال بقدر الوسع لان القدرة هي مناط الوجوب وقدره فمن لا يقدر لا يجب عليه يقول الدكتور عبد الكريم زيدان (١) : ان المكلف بالدعوة الى الله هو كل مسلم ومسلمة لان الامة الاسلامية تتكون منهم فكل بالغ عاقل من الامة ـ وهي المكلفة بالدعوة الى الله ـ مكلف بهذا الواجب ذكرا كان او انثى فلا يختص العلماء او كما يسميهم البعض رجال الدين بأصل هذا الواجب لانه واجب على الجميع وانما يختصون بتبليغ تفاصيله واحكامه ومعانيه نظرا لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته ويزيد الامر وضوحا ـ وهو ان المكلف بالدعوة الى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة قول ربنا جل جلاله ( قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين ) يوسف ( ١٠٨ ) فاتباع الرسول المؤمنون به يدعون الى الله على بصيرة اى علم ويقين كما كان رسولهم صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله على بصيرة ويقين ومعنى ذلك من اللوازم الضرورية لايمان المسلم ان يدعو الى الله فاذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا على وجود نقص او خلل في ايمانه يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب واجب الدعوة الى الله .

---

(١) الدكتور عبد الكريم زيدان ـ أصول الدعوة ـ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ الطبعة الثالثة ١٣٩٦/١٩٧٦

قال ابن كثير[1] في تفسير هذه الآية يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الى الثقلين الجن والانس آمرا له ان يخبر الناس ان هذه سبيله اي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يدعو الى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي .
واعجبني ما قاله الرازي بهذا الخصوص عند تفسير قوله تعالى ( ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ) آل عمران ( ١٠٤ ) .
قال في قوله ( منكم[2] ) قولان احدهما ان ( من ) ههنا ليست للتبعيض لدليلين الاول ان الله تعالى اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل امة في قوله ( كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .
الثاني : هو انه لا مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه ويجب على كل احد دفع الضرر عن النفس اذا ثبت هذا فنقول معنى هذه الآية كونوا امة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر واما كلمة ( من ) فهي هنا للتبيين لا للتبعيض كقوله تعالى ( فاجتنبوا الرجس من الاوثان ) سورة الحج ( ٣٠ ) ويقال ايضا لفلان من اولاده جند وللأمير من غلمانه عسكر يريد بذلك جميع اولاده وغلمانه لا بعضهم كذا ههنا ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به قوم سقط التكليف عن الباقين ونظيره قوله تعالى ( انفروا خفافا وثقالا ) التوبة ( ٤١ ) وقوله تعالى ( الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ) التوبة ٣٩ فالامر عام ثم اذا قامت به طائفة وقعت الكفاية وزال التكليف عن الباقين .

---

(١) ابن كثير — تفسير القرآن العظيم — ٢/٤٩٥ — ٤٩٦ ١٩٦٩/١٠٠٠٨ .

(٢) الامام الرازي — تفسير الرازي — ٨/١٦٦

والقول الثاني : ان من ههنا للتبعيض والقائلون بهذا القول اختلفوا ايضا على قولين احدهما ان فائدة كلمة ( من ) هي ان في القوم من لا يقدر على الدعوة ولا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل النساء والمرضى والعاجزين والثاني ان هذا التكليف مختص بالعلماء ويدل عليه وجهان الاول : ان هذه الآية مشتملة على الامر بثلاثة اشياء الدعوه الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعلوم ان الدعوة الى الخير مشروط بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر فان الجاهل ربما عاد الى الباطل وامر بالمنكر ونهى عن المعروف وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة .

قال ابن كثير[1] والمقصود من هذه الآية ان تكون فرقة من هذه الامة متصدية لهذا الشأن وان كان ذلك واجبا على كل فرد من الامة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من[2] رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان .

---

(١) ابن كثير — تفسير القرآن العظيم — ٣٩٠/١ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الايمان — باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان — عن ابي سعيد الخدري والترمذي في الفتن باب ما جاء في تغيير المنكر باليد وابو داود رقم (١١٤٠) في صلاة العيدين باب الخطبة يوم العيد والنسائي في الايمان باب تفاضل اهل الايمان وابن ماجة في الفتن

## ٢ . استمرار الداعية بالدعوة وان لم يستجب لدعوته احد :

ان الدعاة اعلام هدى ومصابيح خير يؤدون واجبا من اشق الواجبات واعظمها فهم يعالجون التواءات النفوس وانحرافاتها واعتزازها بما هي عليه من جهل وضلال ولا يريدون على اعمالهم مالا ولا جاها ولا ثناء وانما يريدون اجرهم من عند الله ولما كانت الهداية بيد الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء فما على الداعيه الا التبليغ والتبيين لأن الدعوة امتثال لامر الله فهي اذن عبادة كسائر العبادات وخير مثال على هذا ان نوحا عليه السلام مكث في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعو قومه وكذلك بقية الرسل فمنهم من آمن به بعضهم ومنهم من آمن به كلهم ومنهم من لم يؤمن به احد يقول الدكتور عبدالكريم زيدان : ومما يؤكد وجوب الاستمرار على الدعوة الى الله حرمة اليأس واحتمال الاجابه لان الامور بيد الله وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن[1] يقلبها كيف يشاء فلا يستطيع الداعي ان يقطع بعدم الاجابة فيجب عليه الاستمرار بالدعوة والوعظ والارشاد حتى يقضي الله امرا كان مفعولا .

ويجب على الدعاة ان يجعلوا نصب اعينهم قول الله عز وجل ( ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ) فصلت (٣٣) للاهتداء بهديه والاستنارة بنوره .

قال السيد[2] بصدد تفسير هذه الآية : ان كلمة الدعوة هي احسن كلمة تقال في الارض وتصعد في مقدمة الكلم الطيب الى السماء ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن الا التبليغ ولا على الداعيه بعد ذلك ان تتلقى كلمته بالاعراض او بسوء الأدب او بالتبجح في الانكار فهو انما يتقدم بالحسنة فهو في المقام الرفيع وغيره يتقدم بالسيئة فهو في المكان الدون .

---

(١) عبدالكريم زيدان — اصول الدعوة ص ٣١٢

(٢) سيد قطب — في ظلال القرآن — ٣١٢١/٥

## ٥٣ الصبر على البلاء :

قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ( اصبر وما صبرك الا بالله ) النحل ( ١٢٧ ) .
وقال تعالى ( فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ) الروم ( ٦٠ ) .
وقال سبحانه ( ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين الانعام ( ٣٤ ) .
وقال سبحانه ( لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ) ال عمران ( ١٨٦ ) .

ومن البديهي ان الابتلاء مما جرت به سنة الله في الحياة وان الدعاة الى الله يبتلون بانواع الاذى من المشركين والمنافقين والملحدين وقد لاقى الرسل عليهم الصلاة والسلام الوانا من الاعتداء والافتراء وما وقع لرسول الله من ايذاء قريش في مكة والصبيان والعبيد في الطائف واليهود في المدينة خير امثلة في الصبر ولم يزده هذا الاعتداء والايذاء والابتلاء الا عزما وتصميما على مواصلة الدعوة حتى حقق اعظم الانتصارات ووصل الى اسمى الغايات وهي انقاذ الناس من الظلمات الى النور ومن الجور الى العدالة ومن ذل الخيانة الى عز الامانة ومن الكذب والافتراء الى الصدق والوفاء فجعل من الرعاة دعاة ومن الطغاة هداة ومن الجهلاء حكماء فانقلبت الحياة من ظلم وشقاء الى قسط وهناء فيجب على الدعاة المعاصرين الاستفادة من صبر الانبياء وتحملهم لأن الصبر مختبر الرجال ومصنع الابطال فمن صبر ظفر ومن لج عثر قال تعالى ( الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) العنكبوت ( ١ ، ٢ ، ٣ ) وفي هذا الجانب لم يوفق سيدنا يونس عليه السلام ولذا رأينا ان الله سبحانه نهى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ان يتأسى به او ينهج نهجه

عند ايذاء قومه له من عدم الثبات في مجال الدعوة والفرار من قومه فقال تعالى ( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ) لان يونس عليه السلام اراد من قومه سرعة استجابة دعوته والوقوف تحت لوائه وتنفيذ ما امرهم به فلم يكن يتمتع بكامل الصبر وان كان اصله موجودا فيه .

وعلق محمود زهران على تصرف سيدنا يونس فقال (١) ( وما هكذا تكون الدعوات ولا بهذا المثالت تساس الناس ولا بهذه السرعة السريعة يتخلى الانسان عن دينه وبدنه .

والدعوة الراسخة تقوم بالتربية والترويض والاقناع وببسط جناح اللين والرحمة وما هكذا أخذ نوح قومه فقد مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وما آمنوا ولا اهتدوا بل لم يؤمن ولده بدين ابيه .

شرط الدعوة وواجب الداعي ان يتسع صدره للمعارضة ولا يغضب اذا نفر منه القوم ومن دينه الجديد واذا حنوا الى ما سرى في دمائهم مما ورثوه عن الاجداد ثم تأليف النفوس وتسرب الدعوة الى القلوب واستمالة العواطف لقد فاتك كل هذا يا ايها النبي يونس فقلت وانذرت وهددت وتعجلت فنفضت يدك وسحبت نفسك وتخليت عن متابعة رسالتك وهجرت القوم وتركتهم حائرين لا يجتمع نجاح في دعوة وفظاظة وغلظة ولا تتأتى استمالة قلوب لدين اذا كانت سياط العذاب سلطة فوق الرؤوس .

بل ان المنجهمة في الدعوة سبب الانفضاض عنها والنفرة منها ومقاومتها (٢) ( ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ) .

---

(١) محمد زهران – قصص من القرآن – ص ٢٠٨ – ٢٠٩ دار الكتاب العربي بمصر الطبعة الاولى ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦

(٢) سورة آل عمران (١٥٩)

ولكن أرى أن في عبارات الاستاذ محمود زهران غلظة لا تتناسب مع مقام هذا النبي الكريم الذى اثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى) كما تقدم في البخارى ومسلم وغيرهما •

وقد قيل قديما ان لكل سيف نبوة ولكل جواد كبوة وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم الا الحدود) اخرجه ابو داود وقال عليه الصلاة والسلام (من اقال عثرة اقاله الله يوم القيامة •

---

(١) رقم (٤٣٧٥) في الحدود باب في الحد يشفع فيه واخرجه الامام احمد في مسنده ١٨١/٦ وقال المناوي في فيض القدير : والحاصل انه ضعيف وله شواهد تقوية الى الحسن ومن زعم وضعه كالقزويني أفرط او حسنه كالعلائي فرط — ٦٠٣/٣ جامع الاصول في احاديث الرسول — تحقيق عبدالقادر الارناؤوط —

(٢) اخرجه الامام احمد في مسنده في باب الأدب والخلق والاجتماع رقم (٧٤٢٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه في الجزء الثالث عشر •

٥٤ ان كان في عصر يونس عليه السلام الهة كثيرة من الحجارة او من المعادن او غير ذلك تعبد فان في عصرنا هذا طواغيت كثيرة تعبد أيضا الا ان الفرق بين الفريقين ان الفريق الاول يعتقد بهذه الالهة الصماء التي لا كلام لها ولا حركة فيها النفع والضر ويرجع ذلك لسببين الاول بساطتهم وسذاجتهم وتلهفهم الى شيء يلوذون به ويهرعون اليه عند الشدائد ؛
والسبب الثاني : عدم وصول رسول اليهم ليبلغهم آيات ربهم بما فيها من عبادات وتشريعات ومواعظ ولذا نراهم عندما جاءهم رسول يدعوهم للايمان بالله لم يؤمنوا لأول وهلة ولكن بعد ان رأوا أمارات العذاب آمنوا بالله وتابوا عما فعلوا وساروا على طريق النور والسعادة واجتنبوا طريق الشر والشقاوة .
اما الطريق الثاني : فهم المفتونون بتكنلوجيا العصر وباصحاب المذاهب الهدامة والعقائد الفاسدة فأضافوا الى عبادة الجماد عبادة الانسان وذلك بطاعته فيما شرع لهم من قوانين ونظم سياسية واجتماعية واقتصادية .
ومن طواغيت هذا العصر الشيوعية : ذلك المذهب المادي الذي اساسه لا اله والحياة مادية فهي تحارب الاديان وتعلن ان الدين أفيون الشعوب ومنها الماسونية تلك المنظمة السرية التي تهدف للقضاء على الدين وفي محاضرات محفل الشرق ١٩٢٣ (١) قولهم انه يجب ان تبقى الماسونية لملة واحدة وعليه ان يقتضي محو جميع الاديان ومنتسبيها من الاساس ومنها تقديس العلم التجريبي : وهو الاغترار بما وصل اليه العصر من اختراعات واكتشافات في كافة الميادين

---

(١) عبد الرحمن الميداني — مكائد يهودية عبر التاريخ ص ٢٠٩

منها : صنع القنابل الذرية والهيدروجينية والصواريخ عابرة القارات وزرع القلب والكلية والعين في الطب بالاضافة الى ادخال الحاسبة الالكترونية من العمليات الحسابية البسيطة الى اعقد نظم التشخيص والتحليل الطبي وبناء ناطحات السحاب وما شابه ذلك من امور الهندسة وارسال الاقمار الصناعية والمركبات الفضائية لسبر اغوار الفضاء ولا تزال لحد الان طوائف تعبد الاصنام والاوثان والاشجار والشيطان . اما الاصنام والاوثان لا يزالان يعبدان في بعض المناطق المتخلفة شمال استراليا وبعض دول افريقيا وكذلك في جزيرة بالي في شرق اندونوسيا قرب جاوا وغير ذلك .

والغريب من عباد هذا العصر انهم يسمون النفاق سياسة والتحلل الجنسي ثقافة والتهاون في العمل والفوضى حرية واثاره النعرات الطائفية والعنصرية قومية ولهذا فان مهمة الدعاة في هذا العصر شاقة فيجب عليهم ان يكونوا على مستوى تحديات العصر لتفنيد اراء وأباطيل هؤلاء القوم وتحطيم معاقلهم المزخرفة والبراقة وذلك بالحجة القاطعة والبرهان الساطع كما حطم الرسل الكرام الاوثان في القرون الماضية وكشفوا اللثام عن اضاليلهم وخرافاتهم ومفترياتهم بالرأي السديد والعقل الرشيد والتوجيه السماوي من الحليم المجيد .

---

(١) عبدالرحمن حبنكة الميداني — مكايد يهودية عبر التاريخ
ص ٢٣٨

## الفصل الثاني

### الاسرائيليات والموضوعات في قصة يونس ودعوته :

قال الدكتور محمد ابو شهبة (١) : الاسرائيليات جمع اسرائيليه نسبة الى بني اسرائيل والنسبه في مثل هذا تكون لعجز المركب الاضافي لا لصدره واسرائيل هو يعقوب عليه السلام اى عبدالله وبنو اسرائيل هم ابناء يعقوب ومن تناسلوا منهم فيما بعد الى عهد موسى ومن جاء بعده من الانبياء حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفوا باليهود او بيهود من قديم الزمان .

اما من آمنوا بعيسى فقد اصبحوا يطلق عليهم اسم النصارى واما من آمن بخاتم الانبياء فقد اصبح في عداد المسلمين ويعرفون بمسلمي اهل الكتاب وقد اكثر الله من خطابهم ببني اسرائيل في القرآن الكريم تذكيرا لهم بأبوة هذا النبي الصالح حتى يتأسوا به ويتخلقوا بأخلاقه ويتركوا ما كانوا عليه من نكرات نعم الله عليهم وعلى آبائهم وما كانوا يتصفون به من الجحود والغدر واللئم والخيانة وكذلك ذكرهم باسم اليهود في غير ما آيه .

الموضوعات : جمع موضوع وهو اسم مفعول من الفعل وضع وفي اللغة (٢) : وضع فلان من فلان وعنه وضعا وموضوعا وضعة حط من قدره ودرجته ووضع عن غريمة نقصما له عليه شيئا ووضع فلانا اذله ووضع عنه الامر اسقطه يقال وضع عنه الديـن والجزيه والجناية والحرب ونحو ذلك ووضعت الحامل ولدها وضعا ولدته فهي واضع .

الموضوع : اصطلاحا اى عند ائمة الحديث ( هو الحديث المختلق المصنوع ) ومعنى هذا هو كل ما يتحدث به من كلام او خبر ويكون هذا الكلام او الخبر مخترعا مفترى وذلك بان يكون خلاف المطبوع ومفتعل من قائله .

---

(١) الدكتور محمد ابو شهبه ـ الاسرائيليات ـ صفحة ٢١ ـ ٢٢

(٢) المعجم الوسيط ـ ٢/١٠٥١ مجمع اللغة العربية

وقال الامام السيوطي (١) : الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع هو شر الضعيف وتحرم روايته مع العلم به اى بوضعه في اى معنى كان سواء الاحكام والقصص والترغيب وغيرها الا مبينا أي مقرونا ببيان وضعه لحديث مسلم (٢) : من حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكذابين •

وقال الدكتور محمد ابو شهبة (٣) : الاختلاق اعم من أن يكون ابتدع كلاما لم يسبق اليه او اخذ كلام الغير ثم نسبه الى النبي فيكون الاختلاق في نسبته اليه •

المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم او على من بعده من الصحابة والتابعين لكنه اذا اطلق ينصرف الى الموضوع على النبي صلى الله عليه وسلم اما الموضوع على غيره فيقيد فيقال مثلا موضوع على ابن عباس او مجاهد •

والمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة اما على المعنى اللغوى الاول فلانه منحط ساقط عن الاعتبار واما على المعنى الثاني فلما فيه من معنى التوليد والتسبب في الوجود والموضوع من حيث مادته ونصه نوعان :

١ • ان يضع الواضع كلاما لبعض الصحابة او التابعين او الحكماء او ما يروى من الاسرائيليات فينسبه الى رسول الله ليروج وينال القبول مثال ما هو من قول الصحابة ما يروى من حديث احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما فالصحيح انه من قول سيدنا علي كرم الله وجهه ومثال ما هو من قول التابعين حديث كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل ••• فهو من كلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومثال ما هو من كلام الحكماء ( المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء ) فمن قول الحارث بن كلدة طبيب العرب •

---

(١) السيوطي ـ تدريب الراوي ـ ١/٢٧٤ ـ ٢٧٥

(٢) رواه مسلم في المقدمة باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والترمذي رقم ( ٢٦٦٤ ) في العلم باب ما جاء فيمن يروي حديثا وهو يرى انه كذب عن سمرة بن جندب وابن ماجه رقم ( ٤١ ) عن المغيرة بن شعبة باب من حدث عن رسول الله •

(٣) الدكتور محمد ابو شهبة ـ الاسرائيليات ـ ص ٢٤ ـ ٢٥

## نشــــأة الوضــــع فــي التفســـير :

يقــول الدكتــور محمد حسـين الذهبي (١) : نشأ الوضـع في التفسير مع نشأتـه في الحديث لانهمـا كانـا اول الامـر مزيجـا لا يسـتقل احدهمـا عـن الاخـر فكمـا اننـا نجـد في الحديث الصحيح والحسـن والضعيف وفـي رواتـه من هـو موثـوق بـه ومن هـو مشكوك فيـه ومن عـرف بالوضـع نجـد مثـل ذلك فيمـا روي من التفسير ومن روى من المفسـرين وكان مبدأ ظهـور (٢) الوضـع في سـنة احدى واربعين من الهجرة حين اختلف المسلمون سـياسيا وتفرقوا الى شـيعة وخوارج وجمهور ووجـد من اهـل البدع والاهـواء من روجـوا لبدعهـم وتعصبوا لاهوائهم ودخل في الاسـلام من تبطن الكفـر والتحف الاسـلام بقصـد الكيد لـه وتضليل اهلـه فوضعوا من روايات باطلـة ليصلوا بها الى اغراضهـم السـيئة ورغباتهـم الخبيثـة ٠

نمـاذج لبعض الاسـرائيليـات :

١٠ جاء في بعض كتب التفسير القصة التالية (٣) : يونس هو ذو النون وهو ابن متى وهو ابن العجوز التي نزل عليها الياس فاسـتخفى عندهـا من قومه سـتة اشـهر ويونـس صبي يرضـع وكانت ام يونس تخدمـه بنفسها وتؤانسـه ولا تدخـر عنـه كرامـة تقدر عليها ثم ان الياس سـئم ضيق البيوت فلحق بالجبال ومات ابن المرأة يونـس فخرجـت في اثـر الياس تطوف وراءه في الجبال حتى وجدتـه فسـألته ان يدعـوا لها لعلـه يحيي لها ولدهـا فجاء الياس الى الصبي بعد اربعة عشر يومـا من موتـه فتوضـأ وصلى ودعـا اللـه فأحيـا اللـه يونـس بن متى بدعـوة الياس عليه السلام ولكن مثل هذه الحكاية لا بد لها من سند أولا ولما لم يكن لها سـند فلا يعتمد عليها وثانيا ان اللـه اختار رسـله على علـم واصطنعهـم لنفسـه ورباهـم على عينـه منـذ طفولتهم الى اداء رسالاتهم فلا يعرضهم للموت ثم الاحياء الا لحكمة بليغة واين الحكمة هنا بموت هذا النبي في صباه ثم احيائـه وارساله الى من كلف بارساله اليهم ٠

---

(١) الدكتور محمد حسين الذهبي ـ التفسير والمفسرون ـ ١/١٥٧ ـ ١٥٨

(٢) ولعلـه اراد ظهور الوضع فربما كان الشيء موجودا ولم نعلم بـه

(٣) القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن ـ ١٥/١٢١ سليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل ـ ٣/٥٥٢ ـ ٥٥٣ كتاب الفتوحات الالهية طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائـه في مصر ٠ احمد الصاوى ـ حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ٣٠/٣٤٦

٢ • القصة الثانية عن الخازن[1] قال : قيل لما وصل الى البحر ( يونس ) كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجه اخرى فأخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب فركب وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر • وارى ان قول الخازن قيل يدل على التضعيف هذا من جهة ومن جهة ثانية ان الله ارحم واكرم من ان يعاقب نبيه باكثر من عقوبة سجنه في بطن الحوت بان يفجعه بولديه وزوجته •

واضاف النويري[2] قصصا طريفة بهذا الصدد بعد ان عزم على المسير لينذر اهل نينوى فقال : فعزم على المسير وودع امه وحمل اهله حتى بلغ شاطئ دجلة فنزل هناك وفكّر في امره وضعفه وعياله وقال : كيف لي بمطاولة الجبابرة والفراعنة او اقبل على اهيه وقال عزمت على الفرار • فنهاه اهله عن ذلك فسكت وقام ليعبر دجلة الى بلاد نينوى فعبر بولده الاكبر ثم رجع واخذ ولده الثاني فلما توسط دجلة زاد الماء فغرق ابنه الذى كان معه وكان في يده نقره من الذهب كان قد ورثها من حميه فغرقت وجاء ذئب الى ولده الذى عبر به فاحتمله فصاحت المرأة : يايونس ان ابنك اخذه الذئب فخرج يونس من الماء يعدو خلف الذئب فالتفت اليه وقال ارجع يايونس فاني مأمور فرجع يونس باكيا على ولديه فلما بلغ الشط لم ير اهله فجلس يبكي فاوحى الله اليه انك شكوت كثرة العيال وقد ارحتك منهم فاذهب الآن الى قومك

---

(١) الخازن ـ تفسير الخازن ـ ٦/٣٠

(٢) النويرى ـ نهاية الأرب ـ ١٤/١٧٤ ـ ١٨١ بتصرف

فاني سأرد عليك اهلك وولديك وانا على كل شيء قدير فطابت نفسه وسار حتى بلغ بلاد نينوى فتوسط سوقها ونادى ياقوم قولوا باجمعكم لا اله الا الله واني يونس عبده ورسوله واستطرد النويري في حديثه فلم يزل يونس يدعوهم الى طاعة الله في كل يوم عامة نهاره حتى اذا جاء المساء اتى شط دجلة فيصلي حتى يصبح ثم يعود اليهم والناس يضربونه ويرجمونه ويسبونه حتى ضجر واستغاث الى ربه فاوحى الله تعالى اليه يا يونس : انك دعوت القوم فلا تعجل عليهم وادعهم اربعين يوما فان آمنوا والا جاءهم العذاب فدعاهم حتى استكمل المدة ولم يؤمنوا . فاوحى الله اليه ان اخرج من بين اظهرهم فخرج حتى بلغ شاطئ دجلة فقعد ينظر الى العذاب كيف ينزل بالقوم فامر الله جبريل ان يرسل على قوم يونس سحابة فيها الوان العذاب فانطلق الى مالك وامره بذلك فاخرج شرارة من الحطمة على مثال سحابة سوداء مظلمة واستطرد حتى قال وجعلت السحابة تدنو حتى قربت منهم ورمتهم بشرر كالرماد الاحمر لا يقع على شيء الا احرقه واستمر النويري في حديثه وذكر قول الكسائي : فلم يزل يسير اي يونس حتى لحق بساحل البحر فاذا هو بسفينة ماره فلوح اليهم فدخلوا اليه فقال احملوني معكم فاني رجل منقطع غريب من بيت المقدس فحملوه فقعد على كوثل السفينة ( الكوثل ذنب السفينة ) فلما توسطوا البحر هبت عليهم رياح كثيرة من جميع الجوانب واشرفوا على الغرق ..... ثم رمى يونس نفسه في البحر فابتلعه الحوت وبقي في جوف الحوت وهو يسمع تسبيح الحيتان بلغاتهم واستطرد النويري في حديثه حتى قال فتقدم الحوت الى الساحل وقذفه قال خرج كالفرخ الذي لا ريش له وهو لا يقدر على القيام فانبت الله عليه شجرة من يقطين كان لها ثلاثة اغصان غصن قبل المشرق وغصن قبل المغرب والغصن الثالث على رأسه وجاءه جبريل فقال : يا يونس ان الله اعطاك من الجنة ما ترضى به ثم امرّ يده على رأسه وجسمه فانبت الله شعره ولحيته وامر الله ظبية فوقفت بين يدي يونس وكلمته باذن الله قمص من لبنها فقوي عند شربه ثم بشرته بايمان قومه واخبرته ما كان من امرهم وسبب ايمانهم وذكرت اشتياقهم الى رؤيته ...

قال الهي تبت اليك من ذنبي لا اعود اليه ابدا " وسار حتى دخل قرية وهناك امرأة معها رجل وهو ينادى : من يحمل هذه المرأة الى بلاد نينوى ويردها الى زوجها وله مائة مثقال من الذهب ؟ فنظر اليها يونس فاذا هي امرأته فقال : ايها الرجل ما قصة هذه المرأة ؟ قال : انها كانت قاعدة على شاطئ دجلة تنتظر زوجها يونس فمر بها ملك من ملوك هذه القرية فاحتملها وأراد ان يفجر بها فأيبس الله يديه ورجليه فسألها ان تدعوا له بالفرج ولا يعود الى ذلك فدعت له فلما عافاه الله لوقته دفعها الى واعطاني مائة مثقال ذهب على ان احملها الى بلاد نينوى وما يمكنني ذلك قال يونس : انا احملها فاعطني الذهب فاعطاه اياه وسلم اليه المرأة فسارا وقد فرحا حتى آتيا قرية أخرى . برجل يبيع سمكة فاشتراها يونس وقعد ليصلحها فشق بطنها فوجد فيها تلك الصره الذهب التي وقعت منه في دجلة فقال الحمد لله الذى رد على اهلي ومالي اللهم فاردد على اولادى يا ارحم الراحمين • ثم سار فاذا هو برجل على دابة ومن ورائه غلام فاذا هو ولد يونس الصغير فتعلق به فقال له الرجل من انت قال : انا يونس فسلم اليه الغلام وقال : الحمد لله الذى رد الامانة الى اهلها وخلص ذمتي فسأل يونس عن قصة الغلام فقال : انا رجل صياد وكنت قد القيت الشبكة في طرف دجلة فوقع هذا الغلام فيها فأخذته واذا بهاتف يقول : ياصياد احفظ هذا الغلام حتى ياتي اليك يونس فانه ابوه فادفعه له • ثم قال له : يانبي الله ادع لي ان يغنيني الله عن صيد السمك فدعا له فرزقه الله مالا وولدا وسار يونس حتى قرب من بلاد نينوى فاذا هو براع على قارعة الطريق يرعى غنما وهو

يقول : اللهم اردد علي والدي فرآه يونس فعرفه وهو ولده الاكبر فتعانقا وبكيا طويلا ثم قال له : يا ابتا ان هذه الاغنام لرجل في القرية فسر معي حتى ردها اليه فسارا الى القرية واذا بشيخ على باب داره فقال له الغلام : هذا أبي فقام الشيخ الى يونس وسلم عليه فقال له يونس هل تعرف قصة هذا الغلام ؟ قال الشيخ : نعم كنت ارعى هذه الغنم واذا بهذا الغلام على ظهر ذئب فكلمني الذئب بقدرة الله وقال اذا جاء يونس فادفع له هذا الغلام .

ثم قال له : يانبي الله ادع الله ان يغفر لي ذنوبي وان يميتني في وقتي هذا فدعا له فقبضه الله لوقته فغسله يونس وكفنه وصلى عليه ودفنه .

وانت ترى أخي القارئ كيف ان نزول العذاب بشرر كالرماد الاحمر يعارض ما ورد في القرآن الكريم من كشف العذاب عن قوم يونس ومر بنا ما ذكره العلماء في تفسير كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا في سورة يونس عليه السلام . واما القصص الاخرى فليس فيها اى دليل من كتاب او سنة .

٣ . ذكر العلامة الآلوسي (١) في تفسير قوله تعالى : ومتعناهم الى حين قول ابن عباس ان المراد الى يوم القيامة فهم احياء الا ان الله تعالى سترهم عن الناس على حد ما يقال في الخضر عليه السلام واضاف الآلوسي بقوله ورأيت في بعض الكتب ما يوافقه الا انه ذكر فيه انهم يظهرون ايام المهدى ويكونون من جملة انصاره ثم يموتون والكل مما لا صحة له .

---

(١) الآلوسي — روح المعاني — ٣/٤٩٦

والدليل على ذلك مارواه الامام مسلم (١) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ . وفي رواية اخرى عن جابر بن عبدالله ايضا قال : واقسم بالله (اى الرسول) ما على الارض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة .

٥٤ قال وهب بن منبه (٢) أنبت الله عليه الدبّاء فأظلته ورأى خضرتها فاعجبته ثم نام فاستيقظ وقد يبست فحزن عليها فقيل له لم تخلق ولم تسق ولم تنبت تحزن عليها وانا الذى خلقت مائة الف من الناس او يزيدون ثم رحمتهم فشق عليك وذكر الخازن والبغوي قصة حزنه وبكائه على تلك الشجرة وذكرها الرازى ونسبها الى ابن عباس .

وكل ماذكره المفسرون بهذا الخصوص مقتبس مما جاء في الكتاب المقدس (العهد القديم) كما ذكرته سابقا مفصلا وعلقت عليه .

والدليل على بطلانها أنّ الانبياء لا ينشغلون بغير الله ولا يحزنون الا على ما فاتهم مما يتعلق بامر الله .

٥٥ وأورد الفخر الرازى (٣) وبعض المفسرين قصة عن ابن عباس قال : وذكر ابن عباس في قصة يونس عليه السلام انه كان يسكن مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبى تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف وكان الله تعالى اوحى الى بني اسرائيل اذا أسركم عدو او اصابكم مصيبة فادعوني استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا اوحى الله تعالى بعد حين الى نبي من انبيائهم ان اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له حتى يبعث الى بني اسرائيل نبيا فاختار يونس عليه السلام لقوته وامانته قال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا أمينا وانت كذلك

---

(١) رواه الامام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب ما اعلم اليوم نفسا منفوسة يأتي عليها مائة سنة رقم الحديث (٢٥٣٨)

(٢) ابن الجوزى — التبصره — ص ٣٢٨ وكذلك الخازن ٣١/٦ والرازى — تفسير الرازى — ١٦٥/٢٦

(٣) الرازى — التفسير الكبير — ١٦٤/٢٦ — ١٦٥

فقال يونس وفي بني اسرائيل من هو اقوى مني فلم لا تبعثه فألح الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى اتى بحر الروم ووجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما دخلت لجه البحر اشرفت على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا رأيناه نقترع فمن خرج سهمه نغرقه فلئن يغرق واحد خير من غرق الكل فخرج سهم يونس فقال التجار نحن اولى بالمعصية من نبي الله ثم عادوا ثانيا وثالثا يقترعون فيخرج سهم يونس فقال يا هؤلاء انا العاصي وتلفف بكساء ورمى بنفسه فابتلعته السمكة اخرجته الى نهر مصر ثم الى بحر فارس ثم الى بحر البطائح ثم الى دجلة فصعدت به ورمته بارض نصيبين بالعراء وهو كالفرخ المنتوف لا شعر ولا لحم .

وهذه القصة فيها نظر من نواحي كثيرة منها ان الملك غزا فلسطين فسبى بعض الاسباط ولم يسب الكل ولماذا لم يوح الله الى نبيه يونس راسا بل اوحى الى الملك ليبلغ يونس وهناك من اضاف الى هذه الرواية فقال فطافت به البحار كلها واضاف البغوي(١) ( بقوله ) فقال يونس انا الرجل العاصي والعبد الآبق فالقى نفسه في الماء فابتلعه الحوت ثم جاء حوت آخر اكبر منه وابتلع هذا الحوت واوحى الله الى الحوت لا تؤذى منه شعره فاني جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعاما لك .

وهذه الزيادة الاخيرة تتعارض تماما مع ما قبل من انه خرج بلا شعر ولا لحم والقصتان متعارضتان وان تعارضتا تساقطتا .

---

(١) البغوي — بحاشية الخازن ١٧٣/٧

# الخاتمـــــــة

بســـــــم الله الرحمـــــن الرحيـــــــم

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد .

فان الانبياء هم صفوة الله من خلقه اختارهم سبحانه وتعالى لهداية البشرية من الكفر والعصيان الى عبادة الملك الرحمن فأدوا أمانة النبوة حق الأداء فجزاهم الله على عملهم خير الجزاء .

ومن نعم الله عليّ أن اكرمني بالبحث عن رسول من رسله المكرمين وعبد من عباده الصالحين وهو ذو النون عليه السلام حيث ترجمت لحياته الكريمة وشرحت رسالته العظيمة فوجدته ينبوعا من ينابيع الحكمة ومشكاة من مصابيح الهداية الا انني ـ والحق يقال ـ واجهت في بحثي مصاعب جمة منها قلة المصادر التاريخية التي تتحدث عن الفترة التي عاشها رسول الله يونس عليه الصلاة والسلام في عهد الاشوريين والبابليين مما جعلني على اتصال دائم مع زملائي واصدقائي في محافظة نينوى في العراق لتزويدي بالمصادر والمراجع والصورات للاستفادة منها في بحثي كما ارسلت رسائل الى مدير متحف آثار محافظة نينوى للاستفادة مما كتب عن آثار تلك المدينة فيما يتعلق بالآشوريين والغريب ان تلك المصادر التي تحدثت عن يونس عليه الصلاة والسلام لم تذكر الفترة او القرن الذى عاش فيه فضلا عن سنة ولادته أو وفاته إلا ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية ( الكوميديا ) وكتاب العقيدة الاسلامية لعبد الرحمن الميداني على سبيل الظن والتخمين ...

ولكنني لم اقف مكتوفا تجاه هذه المسألة بل جمعت ما قيل عن مولد أو وفاة الانبياء الذين عاصروه وكذلك الملوك حتى توصلت الى القرن الذى عاش فيه والفترة التي ارسل فيها على وجه التقريب .

ومن المصاعب كذلك دعوته ومنهجه في الدعوة والاسس التي قامت عليها دعوته حيث لم يتطرق العلماء القدامى لذلك . واما المعاصرون فلم يذكروا إلا مقتطفات بسيطة لا تشمل الا جزء يسيرا لا يستحق الذكر عن دعوته .

ومن المشاكل العويصة التي واجهتها هو عدم ورود ذكر القصص والاخبار في كتب الاسرائيليات التي وردت في تفاسير القرآن عن يونس عليه السلام مثل كتاب الاسرائيليات والموضوعات للدكتور محمد ابي شهبة وكذلك التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي وغيرهما مما جعلني أراجع كتب التفسير وكتب الاحاديث المعتمدة مع مقارنة لما جاء في الكتاب المقدس لأصل الى الاسرائيليات التي وردت في قصة يونس عليه السلام .

واخيرا لقد وفقني الله في اتمام بحثي واظهاره على هذه الصوره (من التناسق والترابط مع وضوح حقائقه التي اوردتها كوضوح الشمس في رابعة النهار) واستطعت بمنّ الله عليّ وفضله أن أتوصل الى النتائج التاليه في رسالتي :

١. ان دراسة القصة القرآنيه تفتح امام طالب العلم آفاقا واسعة حيث يطلع على مصادر التاريخ القديمة اطلاعا شاملا ويقارنها بما كتب في الحديث ( اى التاريخ الحديث )

٢. يطلع الكاتب على معظم كتب التفسير القديمة والحديثه من مأثور ومعقول ثم يقارن وبهذا يعطي للقارئ الكريم ثمره يانعة يستسيغ اكلها والاستفادة منها .

٣. يطلع الكاتب على مصادر الحديث وذلك بواسطة تخريج الاحاديث وتمييز صحيحها من سقيمها .

٤. يطلع الكاتب على الحكم والاسرار من ذكر القصة القرآنيه مفرقه ولم تذكر في موضع واحد وذلك بذكر المناسبة ما بين ايات تلك القصة .

٥. يتعلم طالب العلم كيف يفسر كتاب الله وذلك بالاعتماد على الكتاب نفسه او على الحديث الصحيح وفي حالة تعذرهما ان يلتجأ الى اللغه ببيان مفردات الكلمات مع استعمال العقل الواعي من غير مخالفة للاصول العامه الشرعيه .

٦. الاطلاع على كتب اللغة والادب للاستفادة منهما في بيان معاني مفردات الآيات القرآنيه .

٧. اهمية القصة في القرآن للداعيه المسلم لكي يأخذ منها الدروس والعبر للاستفادة منها في مجال الدعوة .

٨• في دراسة الطالب للقصة القرآنية يتعرض لمسائل فقهية بالاضافة الى المسائل اللغوية والادبية والتاريخ والحديث وعلم النفس وبعض العلوم المعاصرة مما تجعل الطالب او المفسر فقيها ومحدثا ولغويا ومؤرخا وطبيبا نفسيا بالاضافة الى كونه مفسرا وصدق تعالى بقوله (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين )(١)

٩• يتضح لدارس القصة القرآنية ان ليس كل ما ذكره المفسرون صحيحا بل فيه الصحيح وفيه غير ذلك •

١٠• يتعلم الباحث كيف يكون وارثا لأخلاق وآداب وعلوم الانبياء فيتخلق بأخلاقهم ويتأسى بأدبهم ويستنير بدعوتهم •

١١• واتضح لي ان القصة القرآنية لم تدرس دراسة وافية ودقيقة بل فيها الغث والسمين واقترح ان تدرس كافة القصص القرآنية دراسة علمية ويضم بعضها الى بعض لأمكان الاستفادة منها لمن يريد ان يكتب في تفسير كتاب الله خالية من الموضوعات والافتراءات والاسرائيليات وليستفاد من الحكمة التي كانت سببا في ذكرها في كتاب الله العزيز •

واخيرا فان ما كتبته ان اصبت فيه الحق فهو هدى من عند الله وان لم اوفق فهو من تقصيري وعجزي . أسأله تعالى ان ينعم علي بعفوه وكرمه كما ان النقص في الانسان من سنن الله في الكون كما قال العماد الاصبهاني :
( اني رأيت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال في غده لو غير هذا لكان احسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك هذا لكان اجمل • وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر )

---

(١) سورة النحل ( ٨٩ )

ولا كمال الا لله وابتهل الى المولى القدير ان يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وان يلهمني السداد والرشد وان يحسن عاقبتي في الامور كلها وان يجيرني من خزى الدنيا وعذاب الآخره والله ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## فهرست الامثال

## الاعــــــلام

يونس عليه السلام ـ ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ،
١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ،
١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ،
٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣
٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨
٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥
١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥
١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠
١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ،
١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ،
١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

## فهرست الامكنه والمواضع

## مصادر البحث

١. الاتقان في علوم القرآن
مطبعة مصطفى البابي الحلبي
١٣٧٠ - ١٩٥١
الطبعة الثالثة

٢. الاثار الباقيه عن القرون الخاليه
ابو الريحان محمد بن احمد البيروني
مكتبة المثنى قاسم محمد الرجب ١٩٢٣ م

٣. اثار البلاد واخبار العباد
زكريا بن محمد بن محمود القزويني
دار صادر للطباعه والنشر بيروت ١٣٨٠ هـ

٤. ارشاد العقل السليم الى مزايا القران الكريم
ابو السعود محمد بن محمد العمادى
المطبعة المصريه ١٣٤٧ هـ

٥. اسباب نزول القرآن
لابي الحسن علي بن احمد الواحدى
تحقيق السيد احمد صقر الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ
دار الكتاب الجديد - لجنة احياء التراث الاسلامي .

٦. الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .
الدكتور محمد محمد ابو شهبه
الهيئة العامه لشؤون المطابع الاميريه بالقاهره ١٣٩٣ هـ

٧. الاشارات الى معرفة الزيارات
علي الهروى
دمشق ١٩٥٤ م

٠٨ اصول الدعوه
الدكتور عبد الكريم زيدان
الطبعة الثالثه ١٣٩٦ هـ
٠٩ الاعلام
خير الدين الزركلي
الطبعه الرابعه عام ١٩٧٩ م ٠ دار العلم للملايين
٠١٠ انجيل برنابا
ترجمة الدكتور خليل سعاده عن الانكليزيه ومقدمه محمد رشيد رضا
مطبعة محمد علي صبيح واولاده بالازهر
٠١١ الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل
مجير الدين الحنبلي
دار الجيل ـ عمان الاردن ١٩٧٣ م
٠١٢ أنوار التنزيل واسرار التأويل
المعروف بتفسير البيضاوى
عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى
مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع بيروت
٠١٣ البحر المحيط
محمد بن يوسف ابو حيان
مطبعة السعاده ـ الطبعه الاولى ١٣٢٨ هـ

٠١٤ البخارى حاشية السندى
للامام السندى
دار الفكر بيروت

٠١٥ البدء والتاريخ
المطهر بن طاهر المقدسي
طبع بالاوفست مكتبة المثنى

٠١٦ البدايه والنهايه
ابو الفداء اسماعيل بن كثير
مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النصر بالرياض ١٩٦٦ م

٠١٧ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
للامام جلال الدين السيوطي
طبعه البابي الحلبي بمصر ١٩٦٤ م

٠١٨ بلادنا فلسطين
مصطفى مراد الدباغ
مطبوعات رابطه الجامعيين بمحافظة الخليل
منشورات دار الطليعة بيروت
الطبعة الثانيه ١٣٩٣ هـ

٠١٩ البلغه في تاريخ ائمة اللغه
للفيروز آبادى
تحقيق محمد المصرى
منشورات وزارة الثقافه دمشق

٠٢٠ بهجة المجالس وانس المجالس
يوسف بن عبدالله بن محمد القرطبي
تحقيق محمد مرسي الخولي
الدار المصريه للتأليف والترجمه

٠٢١ بين الرعاة والدعاة
محمد محمود الصواف
مؤسسة الرسالة
الشركة المتحدة للتوزيع ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

٥٢٢ — التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول
الشيخ منصور علي ناصف
الطبعة الرابعة ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م
دار الفكر

٥٢٣ — تاج العروس من جواهر القاموس
محمد مرتضى الزبيدى
المطبعه الخيريه بمصر ١٣٠٦ هـ

٥٢٤ — تاريخ خليفه بن خياط
رواية بقي بن مخلد
تحقيق سهيل زكّار
دمشق ١٩٦٨ م

٥٢٥ — تاريخ الامم والملوك
ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى
مطبعة الاستقامه بالقاهره ١٣٥٧ هـ

٥٢٦ — التبصره
ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى
تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد
الطبعه الاولى ١٣٩٠ هـ
مطبعة عيسى البابي وشركاه

٥٢٧ — تدريب الراوى
جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
الطبعة الثانيه — ١٩٦٦ م
تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف
دار الكتب الحديثه لصاحبها توفيق عفيفي

٥٢٨ — تذكرة الحفاظ
أبي عبد الله شمس الدين الذهبي
تصحيح عبد الرحمن المعلمي
دار احياء التراث العربي — بيروت

٥٢٩ — ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء
احمد بن الخياط الموصلي
تحقيق سعيد الديوه جي
مطبعة الجمهوريه في الموصل ١٣٨٥ هـ

٥٣٠ — الترغيب والترهيب من الحديث الشريف
زكي الدين عبد العظيم عبد القوى المنذرى
ضبط احاديثه وعلق عليه مصطفى محمد عماره
الطبعه الثالثه ١٣٨٨ هـ
دار احياء التراث العربي بيروت — لبنان .

٥٣١ تفسير البغوى بهامش تفسير الخازن
للامام البغوى

٥٣٢ تفسير الجلالين
بتفسير الامامين جلال الدين محمد بن احمد المحلي والشيخ
جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي .
مكتبة الملاح للطبع والنشر

٥٣٣ تفسير الجوهرى
الشيخ طنطاوى جوهرى
الطبعة الثانيه
مطبعة مصطفى البابي بمصر

٥٣٤ تفسير عبد الرزاق
الامام عبد الرزاق الصنعاني
مكتبة المايكروفيل _ مركز البحث العلمي في مكه المكرمه
مخطوطه ومصوره تحت رقم ٢٤٢ تفسير _
دار الكتب المصريه ( مخطوط )

٥٣٥ تفسير القرآن الحكيم
الشهير بتفسير المنار
محمد رشيد رضا
دار المعرفه _ لبنان
الطبعة الثانيه اعيدت بالاوفست

٥٣٦ تفسير القرآن العظيم
لابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

٥٣٧ التفسير الكبير
الامام الفخر الرازى
مؤسسة المطبوعات الاسلاميه بمصر

٥٣٨ التفسير والمفسرون
الدكتور محمد حسين الذهبي
مطبعة السعاده _ الطبعة الثانيه ١٣٩٦ هـ

٥٣٩ ـ تهذيب الاسماء واللغات
لابي زكريا محي الدين بن شرف النووي
الطبعة المنيرية
٥٤٠ ـ تهذيب التهذيب
الحافظ احمد بن علي بن حجر
دار المعارف بالهند عام ١٣٢٦ هـ
٥٤١ ـ التوراة والتاريخ
عمانوئيل رئيس
المطبعة المصريه بالموصل
١٩٦٥ م
٥٤٢ ـ الجامع لاحكام القرآن
لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي
دار الكتاب العربي للطباعه والنشر ـ القاهره ١٣٨٧ هـ
طبعه مصوره عن دار الكتب المصريه
٥٤٣ ـ جامع الاصول في احاديث الرسول
محمد بن الاثير الجزري
تحقيق عبد القادر الارناؤوط
مطبعة الملاح ١٣٨٩ هـ
٥٤٤ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن
لابي جعفر محمد بن جرير الطبري
الطبعه الثالثه ١٣٨٨
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر
٥٤٥ ـ الجامع الصحيح ( سنن الترمذي )
لابي عيسى محمد بن عيسى
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
الطبعه الاولى ١٩٥٦ م

٠٤٦ ـ حاشية السندى على سنن النسائي
المطبوعه بحاشية سنن النسائي بشرح السيوطي
دار احياء التراث العربي ـ بيروت

٠٤٧ حاشية الصاوى على تفسير الجلالين
احمد بن محمد الصاوى المالكي
دار الفكر ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م

٠٤٨ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء
ابو نعيم احمد الاصفهاني
مصر ـ مطبعة السعادة ١٣٥١ هـ

٠٤٩ حياة الحيوان الكبرى
للشيخ كمال الدين الدميرى
الناشر المكتبه الاسلاميه
لصاحبها الحاج رياض الشيخ

٠٥٠ دائرة المعارف البريطانيه بالانكليزيه

٠٥١ دائرة معارف القرن العشرين
الاستاذ محمد فريد وجدى

٠٥٢ الدرر في اختصار المغازى والسير
ابن عبد البر الحافظ يوسف بن عبد البر النمرى
تحقيق الدكتور شوقي ضيف
القاهره ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م

٥٥٣ الدر المنثور
جلال الدين السيوطي
الناشر : محمد امين دمج
بيروت

٥٥٤ دعوة الرسل
محمد احمد العدوى
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٥٤ هـ

٥٥٥ ديوان اميه بن ابي الصلت
تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي
مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٥ م

٥٥٦ رحلة ابن بطوطه
احمد بن بطوطه
مصر ١٣٨٦ هـ
مطبعة الاستقامه بالقاهره

٥٥٧ رحلة ابن جبير
محمد بن جبير
دار صادر للطباعه والنشر
بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

٥٥٨ رحلتي الى العراق ١٨١٦ م
جمس بكنفهام
ترجمة سليم طه التكريتي
مطبعة اسعد في بغداد ١٩٦٨ م

٠٥٩ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني
ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي
المطبعة الكبرى ببولاق — مصر — المحميه — الطبعة الاولى

٠٦٠ الروض المعطار في خبر الاقطار
محمد بن محمد عبد المنعم الحميري
تحقيق الدكتور احسان عباس
دار القلم لبنان ١٩٧٥ م

٠٦١ الزهد للامام احمد بن حنبل
كتاب الزهد للامام ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل
الشيباني
دار الكتب العلميه — بيروت ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

٠٦٢ سفر نامه
ناصر خسرو
ترجم الى العربيه في مصر سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٧٥ م
عن اللغه الفارسيه وهي رحلة قام بها ناصر خسرو
الى فلسطين

٠٦٣ سنن ابي داود
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
دار احياء السنة النبويه

٠٦٤ سنن ابن ماجه ( ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني )
٢٠٧هـ — ٢٧٣ هـ
محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٧٢ هـ
دار احياء الكتب العربيه
عيسى البابي الحلبي وشركاه

٥٦٥ سنن الدارمي
الامام ابو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي
طبع في مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٤٩ هـ

٥٦٦ سنن النسائي بشرح السيوطي
دار احياء التراث العربي
بيروت

٥٦٧ - السيره النبويه
عبد الملك بن هشام
دار احياء التراث

٥٦٨ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب
عبد الحي ابن العماد الحنبلي
مصر ١٣٥٠

٥٦٩ - شرح ابن عقيل
تحقيق محي الدين عبد الحميد
الطبعه الرابعه عشره سنة ١٣٨٤ - ١٩٦٤
مطبعة السعاده في مصر

٥٧٠ - شرح صحيح مسلم ( صحيح مسلم بشرح النووى )
محي الدين يحيى ابن شرف النووى
الطبعه الثانيه ١٣٩٢ هـ
دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان

٥٧١ - شرح العقيده الطحاويه
بقلم زهير الشاويش
الطبعه الاولى ١٣٩٢
المكتب الاسلامي

٥٧٢ ـ شرح العقيدة الواسطيه لشيخ الاسلام ابن تيميه
محمد خليل هراس
الطبعه الرابعه ـ مؤسسة مكة للطباعه والاعلام

٥٧٣ الشرق الادنى القديم ( مصر والعراق )
الدكتور عبدالعزيز صباغ
الهيئة العامه لشؤون المطابع الاميريه بالقاهره ١٩٦٧ م

٥٧٤ شرح القصائد العشر
صنعة الخطيب التبريزى
تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه
نشر وتوزيع المكتبه العربيه بحلب
الطبعه الاولى ١٣٨٨ هـ

٥٧٥ صحيح البخارى
لابي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى
دار الطباعه العامره • وكذلك طبعه دور مطابع الشعب

٥٧٦ ـ صحيح مسلم
مسلم بن الحجاج القشيرى
تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي
دار احياء الكتب العربيه عام ١٣٧٤ هـ

٥٧٧ ـ الطبقات الكبرى
الامام ابن سعد
دار صادر للطباعه والنشر ١٣٧٧ هـ
بيروت

٥٧٨ — العبر في ديوان المبتدأ والخبر
لابن خلدون
بيروت ١٩٥٦ م

٥٧٩ — العرب واليهود في التاريخ
الدكتور احمد سوسه
الطبعه الثانيه
العربي للطباعه والاعلان والنشر

٥٨٠ — العقيده الاسلاميه وأسسها
عبدالرحمن حبنكه الميداني
الطبعه الاولى
١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦ م

٥٨١ — عيون الاخبار
للامام عبدالله بن مسلم بن قتيبه
نسخة مصوره عن طبعة دار الكتب

٥٨٢ — فتح البارى بشرح الامام البخارى
للامام احمد بن علي بن حجر العسقلاني
رقم كتبه وابوابه واحاديثه محمد فواد عبدالباقي
الطبعه السلفيه .

٥٨٣ — الفتوحات الالهيه بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيه
سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر

٥٨٤ - الفصل في الملل والاهواء والنحل
ابو محمد علي بن احمد بن حزم الظاهرى
دار المعرفه للطباعه والنشر بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٥٨٥ - في ارض المعجزات
الاستاذ محمد كامل حتى
دار الكتاب المصرى
١٩٥٧ م - ١٣٧٧ هـ

٥٨٦ - في ظلال القرآن
سيد قطب
مطبعة دار الشروق
الطبعه الشرعيه السابعه
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٥٨٧ - قاموس الكتاب المقدس بالانكليزيه
الدكتور جورج بوست

٥٨٨ - قصص الانبياء ( عرائس المجالس )
احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى
الطبعه الرابعه ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م
مطبعة مصطفى البابي الحلبي

٥٨٩ - قصص الانبياء
لابي الفداء اسماعيل بن كثير
تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد
الطبعه الاولى ١٣٨٨ هـ -
مطبعة دار التأليف

٥٩٠ - قصص الانبيـاء
عبدالوهاب النجـار
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع
القاهـره

٥٩١ - قصص القرآن
محمد احمد جاد المولى
الطبعه الاولى
مطبعة الاستقامه بالقاهره ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م

٥٩٢ - قصص من القرآن
محمود زهران
الطبعه الاولى ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م
دار الكتاب العربي بمصر .

٥٩٣ - الكامل في التاريخ
لابي الحسن علي بن ابي الكرم
المعروف بابن الاثير الجزري
الطبعه الثانيه ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م
دار الكتاب العربي

٥٩٤ - الكتاب المقدس العهد الجديد
الطبعه الرابعه ١٩٦٩ م
المطبعه الكاثوليكيه - بيروت

٥٩٥ - الكتاب المقدس ( العهد القديم )
مترجم عن اللغات العبرانيه والكلدانيه واليونانيه وانتشر على
يد جمعية التوراة البريطانيه والاجنبيه

٥٩٦ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل
جار الله محمود بن عمر الزمخشري
شركة مكتبة ومطبعة الحلبي بمصر عام ١٣٨٥ هـ

٥٩٧ ـ الكواشف الجليه عن معاني الواسطيه
عبد العزيز المحمد السلمان
الطبعه الرابعه

٥٩٨ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل
علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي المعروف
بالخازن
مطبعة التقدم العلميه بمصر ١٣٤٩ هـ

٥٩٩ ـ لسان العرب
جمال الدين محمد مكرم الانصاري
طبعه مصوره عن طبعة بولاق معها تصويبات وفهارس

٥١٠٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي
مكتبة القدس لصاحبها حسام الدين القدسي

٥١٠١ ـ محاضرات في القرآن والتفسير الموضوعي
الدكتور محمد عبد المنعم القيعي
١٣٩٩ هـ ـ ١٤٠٠ هـ

٠١٠٢ - المختصر في اخبار البشر
عماد الدين ابو الفداء اسماعيل
دار المعرفه للطباعه والنشر - بيروت - لبنان

٠١٠٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر
لابي الحسن علي بن الحسين المسعودى
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
الطبعة الرابعه ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

١٠٤ - المسالك والممالك
لابي القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن
خرداذبه
طبع بالاوفست في مكتبة المثنى في بغداد عن طبع ١٨٨٩م

٠١٠٥ - المستدرك على الصحيحين
لابي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري
مكتبة ومطابع النصر الحديثه - الرياض
وطبعه مكتب المطبوعات الاسلاميه بيروت - لبنان

٠١٠٦ - مسند الامام احمد
تحقيق احمد محمد شاكر
دار المعارف بمصر ١٣٧٥ هـ

٠١٠٧ - المشترك وضعا والمفترق صقعا
ياقوت ابن عبدالله الحموى

٠١٠٨ - المعـارف
عبدالله بن مسلم بن قتيبه
تحقيق الدكتور ثروت عكاشه
الطبعه الثانيه
دار المعارف بمصر

٠١٠٩ - مع الانبياء في القرآن الكريم
عفيف عبد الفتاح طباره
الطبعه الثانيه

٠١١٠ - معجم البلدان
ياقوت الحموى
دار صادر للطباعه والنشر
بيروت ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

٠١١١ - المعجم الوسيط
اشراف عبد السلام هارون
مجمع اللغه العربيه

٠١١٢ - مغني اللبيب عن كتب الاعاريب
لجمال الدين بن هشام الانصارى
تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد على حمدالله
الطبعه الخامسه
دار الفكر بيروت وطبعه دار احياء الكتب العربيه مطبعة
عيسى البابي وشركاه ( غير محققه )

١١٣٠ ـ مقارنة الاديـــان
الدكتـور احمد شـلبي
الطبعـه الخامســه
مكتبـة النهضـه المصريـه سـنة ١٩٧٨ م

١١٤٠ ـ مقدمة في تاريخ الحضـارات القديمـه
الاسـتاذ طـه باقـر
القسـم الاول ـ الطبعـه الثانيـه

١١٥ — مكائد يهوديه عبر التاريخ
عبدالرحمن حبنكه الميداني
الطبعه الاولى ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م
دار القلم دمشق — بيروت

١١٦ — منهل الاولياء ومشرب الاصفياء
من سادات الموصل الحدباء
محمد امين بن خير الله الخطيب العمري
مطبعة الجمهوريه — الموصل ١٣٨٨ هـ

١١٧ — منهه الادباء في تاريخ الموصل الحدباء
ياسين بن خير الله الخطيب العمري
تحقيق سعيد الديوه جي
مطبعة الهدف — الموصل ١٣٧٤ هـ

١١٨ — الموسوعة العربيه الميسره
اشراف محمد غربال
صوره طبق الاصل من طبعة ١٩٦٥ م
دار الشعب مؤسسة فرانلكني للطباعه والنشر

١١٩ — موطأ الامام مالك
تصحيح وترقيم وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي

١٢٠ — مبادىء علم النفس
تاليف جمع من المؤلفين باشراف ج . ب — جيلفورد
ترجمة جمع من الدكاتره باشراف الدكتور يوسف مراد
مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م

١٢١ - النبوه والانبياء
محمد علي الصابوني
الطبعه الثانيه ١٤٠٠ هـ

١٢٢ - نزهة النظر شرح
نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر
للامام احمد بن علي حجر العسقلاني
المكتبه العلميه في المدينه المنوره

١٢٣ - نهاية الارب في فنون الادب
شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري
نسخة مصوره عن طبعه دار الكتب مع استدراكات
وفهارس جامعه

## فهرست موضوعات الرسالة